

كتبياسية



مجموعة عربية ١٠٠٪



ترجمته: عبد العظيم السيد
رأبته: عبد السلام



المنشور: دار القومية للطباعة والنشر

كتب سياسية

الطائف والأطلس
في
ساعة الانحلال

بقلم
أندريه نونان

مقدمة المترجم

الكتاب « حلف الأطلنطي في ساعة الانحلال » يعرض أمامنا أهم المشاكل العالمية التي شغلت بال العالم أجمع خلال الخمسين سنة الأخيرة ، فعرض أمامنا مشكلة الحروب العالمية الأولى والثانية وما تمخض عنها من نتائج ، ومشكلة تقسيم ألمانيا ومشكلة عدم الاعتراف بالصين الشعبية ، وكموى والجزائر ومشكلة السويس وأخيرا وهي أهم المشاكل التي عرضها ، مشكلة الحرب الباردة ، وما يحوطها من أقنعة وما يتخللها من خيوط وتعقيدات .

أما اسم الكتاب نفسه فله صلة كبيرة بمحتويات الكتاب لأنه رأى أن حلف الأطلنطي عبارة عن محور عجلة تلف بحوله الأحداث ، فيحس ويشعر بها ساعة فيتخذ موقفا موجبا ويشعر بها ساعة أخرى ويتخذ موقفا سالبا ولكن في كلا الحالتين فالموقف واحد فهو هو الحلف الأطلنطي ، والآن فلنرجع الى الكتاب ونستعرض أهم ماورد فيه .

بالرغم من أن عنوان الكتاب « الحلف الأطلنطي في ساعة الانحلال » إلا أنه يتبدى بالكلام عن المستر خروشنوف .

وإذا ما تساءلنا عن المصيب فقد نصل إلى هذه النتيجة ، وهي أن المستر خروشوف هو أحد خطوات البرهان على صحة هذا العنوان لأن المستر خروشوف أصبح شخصية طغت على الشخصيات المشتركة في هذا الحلف مجتمعة ، فحينما يتحدث عن مشكلة نزع السلاح فإنما يتحدث بينما صواريخ الاتحاد السوفيتي تشق الفضاء وتسير فيه ، لأنه حديث القوى القادر الذي يتحدث وفي يده زمام الأمور ويدل ذلك على أن الانسانية قد أصيبت بمرض متوطن يسمى مرض الحرب . ففي الساعة التي تكون فيها أبعد ما تكون عن الحرب ، تقع الحرب وتودي بالملايين من النفوس البشرية .

وينتقل الكتاب بعد الحديث عن الحرب إلى الحديث عن الحلف فهو يقول أن الحلف الاطلنطي « هو حجر الزاوية الذي تقوم عليه سياستنا الخارجية » على حد قول الرئيس ايزنهاور ولقد ثبت هذا القول عند توجيه الاذار النهائي في آخر نوفمبر سنة ١٩٥٨ الخاص بمشكلة برلين ، إذ اتحدت الدول الغربية في ذلك الوقت بطريقة لم يسبق لها مثيل في التاريخ . ولكن لكل حادث ما يقابله فبينما نرى هذا الاصرار في مشكلة برلين نرى الانقسام يحدث في مشكلة السويس ، فبالرغم من أننا وجدناهم في أول الأمر يدافعون في هيئة الأمم المتحدة عن موقف فرنسا وبريطانيا إلا أن الولايات المتحدة سرعان ما تخلت عنهما وأعلنت رغبتها في الانسحاب .

وهناك كذلك حوادث تدل على الجبن الذي حل
بالحلف بأكمله اذ أنهم لم يستطيعوا أن يتدخلوا عندما رأوا
الاعتداء السوفييتي المسلح يقضى على الثورة المجرية وحينما
رأوا ثورة العمال تندلع في ألمانيا الشرقية ، إنه حلف لم يستطع
استغلال ضعف المعسكر المناويء له .

ولكن بالرغم من هذا إلا أن الحلف يعتبر العمود الفقري
الذي يحافظ على الاوضاع في أوروبا والذي لولاها لكانت
تغيرت كلية ، هل يستطيع هذا الحلف المحافظة على السلم
الحقيقي ، أم أنه سيقود أعضاء الحلف رويدا رويدا الى الهلاك
أم أنه سيضعهم في مأزق لا مخرج منه ؟ وعلى أى فالاحداث
كفيلة بأن تجيب على هذه الأسئلة .

ويرجع الكتاب ويتحدث ثانية عن الفراغ الحزبي الذي
شمل أوروبا بعد سنة ١٩٤٤ ففي هذا الوقت كان في امكان
الاتحاد السوفييتي اقامة اطار حديدي حول أوروبا جميعها لأنه
كان القوة الوحيدة التي تمسك بيدها الورقة الرابعة في أوروبا
بما لها من قوة وعدة ، بينما كانت الدول الأوروبية تعاني الضعف
الشديد ، وكان لزاما عليها أن تؤلف الحلف الأطلنطي حتى
يكون سدا في وجه التوسع السوفييتي .

ونجد في الحقيقة أن جميع الدول الأعضاء الداخلة في
الحلف لا تملك القوة اللازمة للدفاع عن نفسها بنفسها أو

حتى يعقدها معاهدات ثنائية فيما بينها ، فالعمود الأول الذى يقوم عليه الحلف هو الولايات المتحدة الأمريكية اذ أنها فقط هي التى فى يدها القوى السيكلوجية الضرورية لتكوين حلف دفاعى غربى ذى قوى فعالة ، فهى التى أرغمت ستالين من قبل على الانزواء بعد الانتصار على هتلر ، ذلك لأنه كان يخاف من أن تقوم الولايات المتحدة بهجوم وقائى .

فالحلف الأطلنطى يعتبر أول خطوة خطتها الولايات المتحدة فى تحطيم تقاليدھا وذلك بعقدها معاهدات دفاعية مع الدول الواقعة على الشاطئ الآخر من المحيط وغرضها الأول والأخير هو إقامة جدار سميک ضد التوسع الشيوعى .

وأهم التصوص التى وردت فى معاهدة الحلف هي « أى اعتداء على عضو فيه سواء كان ذلك فى أوروبا أو فى أمريكا الشمالية .. يعتبر اعتداء موجها ضد جميع الدول الاعضاء وبالتالي فانه لو حدث مثل هذا الهجوم فلكل عضو الحق فى الدفاع الفردى أو المشترك الذى نصت عليه المادة الواحدة والخمسون من ميثاق هيئة الامم المتحدة » .

وبعد التوقيع على هذا الحلف دعيت الدول الأعضاء لاتخاذ تدابير سريعة نحو اعادة تسليحها لأن الموقف الاستراتيجى فى ذلك الوقت كان يتميز بعدم وجود قوات فى غرب أوروبا . ولكن فى نفس الوقت احتفظت الولايات المتحدة باحتكاره

لاستعمال الأسلحة الذرية ولكن مع ضمانها حماية الدول الغربية . وبعد ذلك بعدة سنوات اجتمعت لجنة من «العقلاء» ونادت بعقد مؤتمر لشبونة الذى قضى بتكوين خمسين فرقة عسكرية للحلف فى سنة ١٩٥٤ .

وفى نفس الوقت قامت مشكلة أخرى هى إعادة تسليح ألمانيا فكانت الآراء منقسمة فى هذا الصدد فبعضهم يقف بجانب تسليحها والبعض الآخر يعارضون هذا الاتجاه .. وهذه المشكلة مازالت قائمة حتى الآن .

وبعد أن قويت شكينة الحلف ظهرت فى المجال الدولى مشكلة أخرى وهى مشكلة وضع رقابة على القوات المسلحة فى كل من المعسكر الغربى والشرقى لمنع وقوع أى هجوم مفاجئ ، وإقامة نظام للرقابة فى كلا الجانبين وقد أخذت هذه المشكلة من وقت ومجهودات الحلف الكثير الا أنها لم تصل الى نتيجة .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى تعديد النفقات العسكرية التى اتفقت على الحلف ومدى فداحة تلك النفقات ، ولقد أفادت هذه النفقات خاصة فى الميدانين الجوى والاليكترونى حتى أصبحت انطلاقة عجلة التسليح أقوى وأسرع بكثير من عجلة التقدم التجارى . ولكن ذلك الحلف وجدناه يفقد قوته فى عملياته الحربية التى قادها فى الهند الصينية وقناة السويس وأماكن كثيرة أخرى .

ويقول الكاتب انه كان من الممكن تقليل تلك النفقات بالقضاء على حلقات المنافسة في انتاج الأسلحة والاستفادة من الأبحاث العلمية في الميدان الحربى التى تصل اليها أى دولة من دول الحلف فنجد مثلا حلفاء فرنسا يمتنعون عن تزويدها بأسرار الأسلحة النووية والأوتوماتيكية مما يجعلها تنفق الكثير على هذه الأبحاث .

ولكن هناك أشياء يمكن أن تحدث وأشياء لايمكن أن تكون ، فالتنافس فى ميدان الأسلحة هذا أمر مفروغ منه أما وقوع الحرب فهذه مسألة تستحق التفكير ، لأن انطلاق أى شرارة تؤدى الى اندلاع الحرب ستكون نتائجها وخيمة على الجنس البشرى أجمع لأنها ستقضى على الملايين من الناس فى عدة لحظات .

ويتحدث الكاتب بعد ذلك عن التضامن الأطلنطى والتضحية بالذات لأنه ليس من الضرورى أن تشترك دولة فيه فى حرب ما وتكون هى طرفا مباشرا فيها ، ولذلك فانا نجد المعنى الحقيقى لهذا الحلف فى هذا التماسك والترابط .

ويتحدث بعد ذلك عن النظامين الشيوعى والرأسمالى فهو يقول ان النظام الرأسمالى يؤدى الى تكوين دول ديمقراطية يتمتع فيها الأفراد بالحرريات فى حين أن النظام الشيوعى يؤمن بالعبودية . ولكن عاد الكاتب وقال أن النظام الرأسمالى يؤدى الى صراع بين الطبقات ، فمن أى طبقة

تتكون الحكومات الغربية ؟ انها تتكون من طبقة للأغنياء واللوردات . وقد كانت بعض الخطب التي ألقيت في أوروبا عن هذا الوضع مؤذنة بقيام صراع بين الطبقة العاملة في أوروبا والثوار الوطنيين في آسيا وأفريقيا .

وحيثما يذكر الكاتب الجزائري فهو يقول أن فرنسا قد رفضت تدخل أى دولة من دول الحلف في سياستها في شمال إفريقيا . ولكن لا يخفى على دول الحلف اتجاه دول شمال إفريقيا الى الحصول على استقلالها خصوصا بعد حصول تونس ومراكش على هذا الاستقلال .

وانتقل الكاتب بعد ذلك وتحدث عن قيام مجتمع أطلنطي يقوم على أساس الوحدة الاقتصادية والتعاونية بين دول الحلف لأن الغرض الأساسي من قيام الحلف لم يكن مجرد غرض عسكري بل كان غرضا يرمى الى التعاون بكافة أنواعه - وهو يأمل أن يمتد ذلك الحلف ويشمل دول العالم أجمع ويعمل على نشر السلم والأمن ورفع مستويات المعيشة في الدول المتخلفة ...

والاتجاه الذي يرمى اليه هذا الكتاب هو قيام وحدة عالمية شاملة بين جميع دول الأرض تقوم على الصداقة والتعاون داخل نطاق ميثاق هيئة الأمم المتحدة وهو يناشد العالم أجمع العمل على انقاذ البشر من الأخطار التي تتهددهم مثل الحرب .

والعبودية والجوع والمرض والفقر على أن تبدأ حملة الانقاذ في داخل دول الحلف وتمتد الى الدول الاشتراكية وبذلك يعطى للأمم المتحدة فرصة لوضع نهاية للصراع الحالي ، والسير بها نحو الأمن الجماعي ، ونزع السلاح نزعا كلياً خاضعا للرقابة ، وتكوين مجلس للأمن جدير بهذا الاسم ، يقوم بفض المنازعات التي تنشأ بين الدول المختلفة . ويظهر من الكتاب أن الكاتب محايد موضوعي تحدث بصراحة عن حلقات الصراع المختلفة القائمة في العالم وأعطى كل ذي حق حقه .

وحيثما تناول مشكلة السويس تحدث عنها بصراحة وقال ان بريطانيا وفرنسا قد ارتكبتا خطأ في شن الهجوم على مصر ولكنه قال ان الدافع الذي دفعها الى ذلك هو اعتقادها أن عبد الناصر كان عندئذ مؤيدا للشيوعية ولكن أثبتت الحوادث العكس . وكانت مشكلة السويس هي البرهان الأول على مدى قصور الحلف وعدم تماسكه .

وتحدث بعد ذلك عن المساعدات غير المشروطة ووقعها في نفوس الدول التي تحصل عليها فقال أن الدول تميل الى عدم التقيد بارتباطات سياسية لتشككها في جميع المحاولات التي تبذلها الدول الكبرى فيما يتعلق بما تقدمه من مساعدات وتتهمها بالاستعمار والانتهازية والدليل على ذلك توقف الولايات المتحدة الأمريكية عن مساعدة مصر اقتصاديا بعد

تأميم القناة مما برهن على أن معظم الدول لا تقدم المساعدات إلا لأنها ترمى الى شيء من ورائها .

والمبدأ الأخير الذى ينادى به الكاتب هو نشر مبادئ الحرية والديمقراطية التى تؤدى الى حياة أفضل وذلك بإلغاء الامتيازات الكبيرة التى يتمتع بها الأغنياء ويحرم منها الفقراء ، وذلك بإعادة تقسيم الثروات واعطاء جزء منها للفقراء لأن لهم حقا فى امتلاكها .

فالتفوق ليس هو التفوق فى المعارك ولكنه فى شق طريقنا فى الحياة وفى توفير حريتنا الفكرية والعملية وفى مقدرتنا على تغيير وجه البسيطة دون أن نحوله الى معسكرات لإبادة الجنس البشرى .

الحلف الأطلنطي في ساعة الانحلال

مقدمة

لقد بدأ شبح الحرب الباردة في الانتشاع . وأمام صورة ستالين المفكر سقط الطاغية البيزنطي خلف أسوار الكرملين العظيمة التي كان يبدو عليها وكأنها على وشك الانصهار على رأس الجنس البشري كله ويحل محلها فان يؤمن بالذرة الأخضر وبشراب الفودكا وهو يقف بين نظامين أحدهما قديم والآخر حديث وهو الذي يدعو له والذي يؤمن بالتعايش السلمي والتنافس العلمي والاقتصادي والفني والفكري على أساس العقل والفكر السليم . وتلك المسافات الشاسعة التي تقطعها الصواريخ كل يوم خلال ساعات الصمت الرهيبة أصبحت هي الميدان الذي يعاير فيه مقدرات الدول ومدى تفوقها على بعضها . انهم يتحدثون عن « الانحلال » وعن « الاستكانة » وعن التغيرات التي اكتشفت جميع النظم السياسية وعن التعاون العالمي بين الدول فحتى رئيس الوزراء الألماني أديناور نفسه قال ، مثنيا على المستر خروشوف بأنه مخلص حينما يتحدث في نزع السلاح .

فلا يوجد شخص في مشارق الأرض ومغاربها يكره ذلك الرجل لأنه يعتقد بكل ما أوتي من وجود بأن كل شخص في العالم لا يقل عنه عظمة . ولكنه يقضى حياته في مخبأ الخوف محاولاً أن يبعد عن سلالة أسمى مرض أصيبت به الإنسانية ذلك المرض لن ينجح أبداً في التخلص منه : إنه الحرب .

وهناك علامات أخرى ، ولا تقل أهمية عن تلك العلامات التي تنذرنا بالخطر انها علامات تبشر بالأمل والتفاؤل . لأنه في الحقيقة يظهر الآن ألامنا واضحة جليا أن أي تلاق بين الجيوش المسلحة سيؤدي الى عمليات انتحارية جماعية . ذلك لأن ثمن ذلك التفاؤل سيثقل ظهر كل عضو مشترك فيه بحمل لن يستطيع تحمله .

ولكن هناك علامات أخرى ، ذات معان مختلفة تدفعنا الى التريث والتعقل فأسباب الصراع لم تختف بعد . فما زالت كثير من الأفكار العظيمة منقسمة الى نصفين فما زال الصراع دائراً في الجزائر وأندونيسيا ولاوس - فلم يخف الستار الحديدي اليوم عنه بالأمس ذلك الستار الذي يفصل بين الآراء سواء في الجرائد أو الكتب ، فزعيم الحزب الشيوعي الاشتراكي نيكيتا خروشوف لا يملأ رأسه إلا بشيء واحد فقط ، انه شيء لا يشر بالتوافق والسلم العالمي ، ألا وهو انتصار معسكر واحد ، معسكره هو .

وهذا هو ماجعل زعماء ورؤساء المعسكر الآخر يقتنعون

بأنه لم يحن الوقت بعد لتخفيض قواتهم العسكرية . فلقد أعلن بيان مشترك بعد اجتماع الرئيس ايزنهاور برئيس الحكومة الإيطالية بعد بضعة أيام من رحيل واشنطنجتون من المستر خروشوف ، وقال هذا البيان « ان الحلف الاطلنطي هو حجر الزاوية التي تقوم عليها سياستنا الخارجية » .

وتظهر معاهدة حلف الاطلنطي ، تلك المعاهدة التي سيقام ذكرائها الثانية بعد أيام قلائل هي احدى الجدران الأساسية التي تقوم عليها الحياة العالمية ويجب أن نقول أنه هو البناء الصلب الذي تكون من اثني عشر دولة هي (الولايات المتحدة ، كندا ، بريطانيا العظمى ، فرنسا ، بلجيكا ، الأراضي الواطئة ، لوكسمبورج ، ايطاليا ، البرتغال ، النرويج الدانمرك) كما انضمت الى تلك الدول ثلاث دول أخرى هي اليونان ، تركيا ، ألمانيا الفيدرالية — ولقد استمر هذا الحلف بالرغم من كل الاضطرابات والأمواج التي تلاطمت حوله ، وبالرغم من كل التجارب العصيبة التي مر بها .

وكان هذا الحلف هو السبب في تهديدات ستالين ، وتركته ضحكات ستالين جامدا كالمرمر وجاء خروشوف واستخدم بدوره تهديدات سلفه . ولكن أزمة برلين الثانية الذي أحدثها الانذار النهائي الصادر في السابع والعشرين من نوفمبر ١٩٥٨ ولقد نسي اليوم تماما . كان له نفس مفعول

الانذار الأول - وابتدأ هذا الانذار بمحاصرة المدينة : فأعاد التضامن الغربى الذى كانوا أهملوه - وهو الشىء الذى كانوا يشتهونه من كل نفوسهم . وسيقول التاريخ ان ذلك الحلف سيقاوم ويبقى طويلا بالرغم من تعارضه للسلام ، كما أنه يشر بقدرة أعظم من أى حلف انعقد من قبل .

وعلى أى حال فاننا نرى فى الوقت الحاضر فى ذلك القرن الذى يمتلىء بخطب الاحتقار ، وبقصاصات الأوراق ، نرى سجل حياة طويلة تربو على العشرين عاما ، ونجد فى منتصف هذا السجل أزمة السويس ، التى رأينا أعضاء ذلك الحلف يعارضونها بكل ما أوتوا من قوة فى هيئة الأمم المتحدة بالرغم من أنهم لم يكونوا على حق .

ولكن لماذا اتخذوا ذلك الموقف ؟ فالدول الموقعة على هذا الحلف تطرى دائما على كل من يتجاوب مع مطالبهم الأساسية ، ألم يحافظ على الحدود والنظم السياسية للدول الموقعة على هذا الميثاق محافظة تامة ، وهل هم أقل من دول العالم التى تختلط فيها مصالحها الداخلية وتشابك تشابكا عظيما ؟ ألا يبحثون ولو عبثا عن أى معنى يبرر الكلمة « اعتداء » التى ألصقتها الدعاية السوفيتية منذ زمن طويل بأسمهم ، وإذا بعدنا الآن عن رماحهم وحرابهم وماذا يجب عليهم أن يفعلوه فى العمليات الحربية العدائية فاننا يجب أن نقول أن الحلف الأطلنطى وما عنده من مقدرات ظهرت لتضعيفة وغير

قادرة على استغلال مشكلات المعسكر المناوىء له ، الامر الذى يدفع هنا المعسكر الى اتخاذ قرارات معينة وضرب حدودهم بل واعتبارهم جبناء ... ذلك لأنهم لم يحركوا ساكنا فى اسكات ثورة العمال فى برلين الشرقية والقضاء عليها تماما فى يونيو سنة ١٩٥٣ وكذلك فى سحق الثورة المجرية . هذا دون أن يتذكروا انتصار يوغوسلافيا فى الحصول على استقلالها ، وفنلندا فى المحافظة هى الاخرى على استقلالها وأن بولونيا استعادت جزءا من حريتها .

مرت عشر سنوات على معاهدة حلف شمال الاطلسي ولكن خط الحدود الذى يفصل بين المعسكرين لم يتحرك مليمترا واحدا فى أوروبا الا باستثناء واحدا : ففى النمسا حيث اتخذ الاتحاد السوفيتي قرارا مفاجئا سنة ١٩٥٥ بالتوقيع على معاهدة الدولة التى كانت تهدف بدون شك الى اغراء ألمانيا ، بغرض خلق « سويسرا » أخرى ولذلك منتهى بالحياد الدائم .

وعند اعتبارنا لذلك الاستقرار الغربى ، فستتجه بنا بعض الظنون الى الاعتقاد بأنه ليس فى مقدرة أحد أن يضع تلك الأمور على بساط البحث والجدال والحقيقة ان هذا الحلف يعتبر العمود الراسخ الذى يحافظ على الوضع القائم فى أوروبا الى الأبد .

ولكن بالرغم من هذا العمود الراسخ الذى لا يتزعزع

تحدث بعض التغيرات الحاسمة سواء أمامه أو خلفه . فالموقف الاستراتيجي ، والسياسي والاجتماعي الذي تضمنه الحلف الأطلنطي تسبب في مقاساته من انقلابات ذات نتائج جسيمة .

والسؤال الذي يواجهنا الآن هو عما اذا كان هو أنسب حلف وأنسب شيء بالرغم من شكله الحالي ، لمواجهة التهديدات الكثيرة الموجهة ضده . وهل سيستطيع على الأقل - المحافظة على السلم الحقيقي . أو أنه سيضعنا في مأزق أو أنه سيحططنا رويدا رويدا في انتظار اليوم الذي نستطيع فيه أن نبلغ إلى مستر خروشوف - هذا تبعا لارادته هو التي يعمل من أجلها ، وهي خلق موقف انعكاسي لذلك الذي كان سائدا منذ عشرين عاما ، واقامة سد حول الرأسمالية بحيث تبقى في بلد واحد فقط .

الحرب الدائمة لحفظ ميزان الرعب :

عندما اجتمع اثنا عشر ميذا يلبسون لباسا أسود حول الرئيس ترومان ... ووضعوا توقيعاتهم على معاهدة حلف شمال الأطلنطي التي عقدت في الرابع من ابريل سنة ١٩٤٩. في واشنطنجتونا . وكان الغرض من هذه المعاهدة هو بدون شك حفظ مستقبل الأجيال القادمة . هل اعتقدوا حقا أن مايفعلوا بوضعهم هذه الخطة ما هو الا « دعامة ثانية للسلام » بجانب تلك الدعامة الأولى التي أقامها المارشال ؟ وهل كان

أرئيت يافين، صادقا حينما أكد أن « أسس السلم ستتأثر في مدة تقرب من سنة » وفي الحقيقة فقد كتب الجنرال نورستاد « لأشخاص معينين » قائلا : ان المسألة ليست عبارة عن معرفة ما اذا كان السوفيت سيخاطرون بالقيام بحرب في غرب أوروبا ولكن المسألة هي ما اذا كان في نيتهم فصلها عن بعضها . وأظن ان بعض من حنكتهم التجربة قادرون على تحديد اللحظة الأكثر مناسبة لنشر تفسيراتهم العظيمة عن عمليات التموية التي حدثت سنة ١٩٥٤ .

وفي الحقيقة فقد كان ذلك الوقت هو عصر السيطرة السوفيتية ذلك بعد أن وضعت يدها على تشيكوسلوفاكيا وأغلقت حدود « برلين » وساعدت الفدائيين اليونانيين وطالبت باستعادة حقها المسلوب في الدردنيل . وكل دولة أخذت تتساءل من هي تلك الدولة التي ستكون الضحية القادمة هل ستكون يوغوسلافيا أم اليونان أم فنلندا أم ألمانيا أم إيطاليا . ولا يشك أحد فيما سيحدث في أوروبا وفي الولايات المتحدة اذا ما قام الخطر الذي سيحل بهم اذا استمر السوفيت في اقتطاع أجزاء عن القارة الاوربية أو اعلانهم الاستيلاء عليها فجأة .

الفراغ الحربي

وكانت الديمقراطية تنادي بنزع السلاح دون بصيرة أو تفكير . ذلك لأنه لم يواجه الاتحاد السوفيتي قوة مسلحة ذات

أهمية تذكر في القارة الأوروبية . فأى هجوم مفاجئ من جانب روسيا فى امكانه أن يقيم سدا حديديا على حدود المحيط فى مدة لا تتجاوز ٤٨ ساعة . فالحزب الشيوعى بماله من قوة وعدد ونظام معين قد تكون بشكل يجعله على أهبة الاستعداد للعمل كطابور خامس . ولقد أعلن المسيو ثوريه فى أحد خطاباته قائلا :

ان الشعب الفرنسى لن يبدأ باعلان الحرب ضد الاتحاد السوفيتى « ويجب أن نقول صراحة وبكل وضوح للسادةالذين يقيمون بالكريملين بأن مسألة «يلتزكريج» لن تستغرق طويلا وأنه لن ينقذهم حق الفيتو الذى يوقعون به قرارات مجلس الأمن من التأثير المباشر الذى سيتبعه هزيمة تقودها أعظم القوى الصناعية فى العالم .

هل افتتنت جمهورية الاتحاد السوفيتى بسيطرتها على أوروبا ؟ وهل دفعها هذا الفراغ الحربى الى القيام بعمل ما ؟ وهل أصبح الحلف الاطلنطى هو السد الوحيد الذى سيحد من توسعه ؟ .

ويجب أن نلاحظ أن روسيا لم تتقدم خطوة واحدة فى تاريخها نحو تحسين موقعها . ولكنها كانت تنتظر حتى تقسم بولونيا أو أن تهجم على فنلندا أو أن تضع يدها على ولايات بحر البلطيق أو استعادتها لولاية بيسارابيا عن طريق الاقتضاى مثل القط ولكن ليس عن طريق استغلال القوة المباشرة . وبعد

أن وجه الرايخ الألماني الثالث جيوشه ضد روسيا حاول ستالين أن يهدىء من روعه قبل أن يستخدم قوة الحديد والنار . ولقد كانت حرب كوريا كذلك هي نتيجة لحدوث خطأ في تقدير الأوضاع ذلك لأن المستر اتشيسون أعلن علانية بأن جمهورية « سيجمان رى » ليست موجودة في داخل المحيط الذى يعتبر جزءا أساسيا في الدفاع عن الولايات المتحدة .

ومن جهة أخرى فان ستالين الذى قال للسير اتتوني ايدن أثناء الحرب « لا تخف شيئا ، فأنا لست مثل هتلر ، وأنا أعرفه متى أقف في الوقت المناسب » والذى بدا عليه في « يالتا » أنه راعب في تعاون سلمى دائم بينه وبين الدول العظمى ، رجع رويدا رويدا الى نظرية ماركس التقليدية عن حتمية قيام الحرب فهؤلاء الذين تقدموا تقدما ملحوظا في سنة ١٩٢٧ في مؤتمر الحزب الشيوعى الروسى السادس عشر قد وضعوا صيغة مشهورة أعطت معنى رهيبا للمصطلحات التى كثيرا ما استخدمت للتعبير عن التعايش السلمى ، وهذه الصيغة هي « أننا لا يمكن أن ننسى خطب لينين التى تعتمد عليها مجهوداتنا البناءة الى حد كبير في مدى كفاءتنا في استعادتنا الصراع مع الدول الرأسمالية في وقت الحرب ، ولم يكن من الممكن تجاهل تلك الخطب ولكن كان من الممكن أن تتأخر في فهمها حتى يشتعل أوار الثورة العمالية في أوروبا أو حتى تتحطم الثورات الاستعمارية على

نفسها : أو حتى تتصارع الدول الرأسمالية فيما بينها على
اقتسام المستعمرات » .

ولقد وجه الدكتاتور المعنى عن قصد نحو الاستعداد
للحرب وتوجيه كل المجهودات العظيمة للامبراطورية التي كانت
في يد الرايخ هتلر قبل سقوط الامبراطورية التي كانت تمتد من
برلين إلى فلاديفوستوك . ابتدأت الاقطار الواقعة في شرق
أوروبا الداخلة ضمن نطاق الاحتلال السوفيتي في التحرك
رويدا رويدا فيما عدا « يالتا » وانتهى بذلك كل أشكال
المعارضة وتحركت عمليات الجاسوسية بمالها من قوة لتحطيم
الخطوط الأخيرة للتأثير والنفوذ الغربيين . وحدثت عشرات من
التقسيمات تحت حكم الدولة الحمراء . وتقدمت الصناعات
الحربية وأعطيت لها الأولوية عن أى صناعة أخرى في تلك الدولة
التي لم تعش بعد عبودية النازي حتى تقع تحت السلطان
الستاليني .

وهل كان ذلك التهديد العسكري حقيقة أم أنه لم يكن
كذلك ؟ وكان من الممكن كذلك أن السبب الذي أسكت ستالين
هو خوفه من هجوم الولايات المتحدة هجوما تحفظيا ، لأنه رأى
بعيني رأسه أنها تنظم هجوما مسلحا ، ولاعتقاده على أنه يجب
أن يعد نفسه لتلك اللحظة التي سيجد فيها اقساما خطيرا بين
الدول الغربية بما يصاحب تلك الاختلافات من متناقضات .

ضغط الكومينفورم المزدوج

كانت الدول الغربية تجد نفسها خاضعة - في جميع الأحوال - التي وجدت نفسها فيها جزءا من الكومينفورم - الى ضغط مزدوج من الداخل والخارج . وهذا .. بالضبط نظرية توينبى الشهيرة الذي اعتقد في مقدرتها في رفعها ما يقرب من عشرين مرة على مر الزمن أو في مقدرتها على تحطيم الحضارة . فاذا كانت ضمانات الحلف لا أهمية لها من الناحية العسكرية فانها لن تكون كذلك من الناحية السياسية - ذلك اذا ما قسنا قيادتها المتواصلة في المستقبل .

وهذه الضمانات حاولوا أن يطبقوها على أوروبا أولا ، أما اليوم فانهم يتساءلون عما اذا كان تكوين « قوة ثالثة » التي يتحدثون عنها الآن لها على الأقل نفس الدوى الذي يحدث لو أن التحالف مع الولايات المتحدة أحدث بالضرورة انقساماً في القارة الأوروبية وبالتالي في المجال السياسي . وفي الحقيقة فإن تلك الحكومات التي تقيم تحالفاً بينها على شكل معاهدة مثل معاهدة « دنكرك » المنعقدة بين فرنسا وانجلترا سنة ١٩٤٧ - فإن تلك الحكومات ليس عندها القوات الكافية ، أو حتى الثقة في نفسها أو في شعبها حتى تتحدث جدياً عن حماية نفسها دون اللجوء الى مساعدة خارجية .

تعهدت أمريكا

ان الولايات المتحدة هي فقط التي تمتلك المواد اللازمة والمركز السيكلولوجي الضروري الذي يعطيها القدرة على تكوين حلف دفاعي غربي ذي تأثير فعال . للمرة الأولى في تاريخها تقبل الولايات المتحدة أن تحطم تقاليدھا التي كانت تمنعھا من التحالف بينها وبين تلك الدول الواقعة فيما وراء المحيط في وقت السلم . والادارة الأمريكية التي يديرھا الرئيس ترومان بينت لنا منذ زمن قريب مدى مساهمتھا في مساعدة اليونانيين والأتراك ووضعھا لخطة رئيسية غرضھا اقامة جدار ضد التوسع الشيوعي وقد قضت في سبيل ذلك على كل العوائق القانونية التي كانت تقف حيال ذلك .

ولقد حصلت بعثة الشؤون الخارجية التي أرسلھا مجلس الشيوخ في التاسع عشر من مايو سنة ١٩٤٨ على اتفاق جماعي على حل اقترضه السناتور فاندنبرج يعطى للحكومة الحق في تكوين « أحلاف عسكرية أو اتحادات اقليمية بحيث لا تخرج عن نطاق ميثاق هيئة الأمم المتحدة » وفي الحادى عشر من يونية وافق مجلس الشيوخ بأغلبية ٦٤ صوتا ضد ٤ على الديباجة التاريخية التالية التي زادت من قيمته وقوته وهى تنص على « أن معرفة نوايا الولايات المتحدة مقدما هو عامل هام وحيوى في احباط عمليات الاعتداء » وهذا يعنى أنه لو كان يعلم هتلر في

سنة ١٩٣٩. بأن (أمريكا) نوت دخول الحرب أخيرا لما ترك مكانه وأعلن الحرب .

ومنذ ذلك الوقت لم تعارض الولايات المتحدة في امضائها على معاهدة الحلف الذي كانت تطالب به الدول الأوروبية الديمقراطية بكل عزم وتصميم ، وفي هذه الاثناء لم يوافق مجلس شيوخ الولايات المتحدة الا بعد مضي اسبوعين من المشاورات .

وان كانت تلك المعاهدة قد وجدت مدافعا مخلصا لها في شخص جون فوستر دالاس الذي كان حينذاك سسيناتور نيويورك الجمهوري ، والذي كان يعقد مناقشاته في ساحة المحكمة ، إلا أنها لاقت معارضة شديدة مما يقرب من ثلاثة عشر من الأعضاء الاتصاليين . وتنص المعاهدة على « أن أى اعتداء على عضو فيها أو أعضاء سواء كان ذلك فى أوروبا أو أمريكا الشمالية فانه يعتبر اعتداء موجها ضد جميع الاعضاء وبالتالي فانه من المنهزم أنه لو حدث مثل هذا الهجوم فان لكل عضو الحق فى الدفاع الفردى أو المشترك الذى تعترف به المادة الواحدة والخمسون من ميثاق هيئة الأمم المتحدة ، والحق كذلك فى مساعدة العضو أو الأعضاء التى هوجمت فى الحال سواء أكان ذلك بمفرده أو بالاتفاق مع جميع الأعضاء الأخرى وباتخاذ كل عضو كافة الاجراءات التى قد يراها ضرورية ، ويفهم

من هذا استخدام القوة المسلحة لاعادة وتأكيد السلام في منطقة شمال الاطلنطي .

وكان البروفسور جيلسون هو الشخص الوحيد في أوروبا الذي تساءل لحظة التوقيع على المعاهدة عن القصد الحقيقي الذي يرمى اليه هذا النص والذي بموجبه يصبح للإدارة الأمريكية ومجلس الشيوخ الأمريكي الحق في تصميم طبيعة هذا التدخل ولقد قيل حقا ، انه اليوم لم يترك مجالا في الشك في ارادة الولايات المتحدة في مساعدة حليفاتها بكل مaldiها من قوة اذا ما نكبت احداها بهجوم من جانب الاتحاد السوفيتي . ولكنه ليس من المستحيل أن يدفع تطور النظرية العلمية والعسكرية ... والسيكولوجية الناتجة عن الصراع الدائم ، بعض دول الاطلنطي الأخرى الى تعديل وجهة نظرها ان آجلا أو عاجلا ، ذلك لان المعاهدة تفتح الباب للنظرى والقانونى أمامها . وقد آن لنا أن نعرض بعض المشاكل التي حلت أخيرا أمام حلف شمال الاطلنطي .

حرب كوريا

ان ذلك الحلف الذى كان ومازال على وشك النفاذ كان في الأصل عبارة عن حلف سيامى ذى طابع تقليدى ، ووسيلة نحو ضمان الأمن الجماعى وبعد ذلك بقليل اشتعلت الحرب الكورية . وكانت هذه الحرب برهانا على مدى توسع الاتحاد السوفيتى

وخطورة تهديداته ومن ثم دفعت بالأعضاء في السير نحو خطوة حاسمة هي خلق منظمة سياسية دائمة . (وهي منظمة حلف شمال الاطلنطي) . وقد عين لهذه المنظمة سكرتير اداري عام ، وجهاز عسكري تحت أمرتها كما أنها شملت ادارة التخطيط الاستراتيجي التي وضعت تحت الادارة الفرنسية الانجليزية الأمريكية المشتركة ، ويلى ذلك مباشرة هرم من الادارات التي تضم جميع القوى المتحالفة تعتمد على ادارتين عاليتين احدهما على خشبة مسرح القارة الأوروبية والأخرى في مياه المحيط الاطلنطي . وعمت الادارة الأولى تحت أمرة الجنرال ايزنهاور رأسا .

ودعيت الدول الأعضاء الى الانعقاد لاتخاذ التدابير اللازمة لاعادة التسليح السريع . ولقد تميز الموقف الاستراتيجي حينذاك بعدم وجود قوات في غرب أوروبا تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم ونجد من جهة أخرى شيئا أشبه بالاحتكار الأمريكي لما توصلت اليه من مخترعات ذرية . وتلك الحماية التي ضمنتها للغرب ، كانت نظريا على الأقل حماية مطلقة ، ولكنه بالرغم من ذلك فقد كان من الواضح جدا أن تلك الحماية لا تعدو أن تكون حماية وقتية . وجعل حلف شمال الاطلنطي من نفسه هدفا في اللحاق بقطار الأسلحة الكلاسيكية — ذلك لتأخره الشديد في هذا المضمار — قبل أن تلحق به القوات السوفيتية ، تلك

القوات التى كانت تعادله فى اقتاج الأسلحة الحديثة .
فبينما كان تحت امرة الكريملين ما يقرب من مائتى فرقة
عسكرية فى شرق أوروبا وكانت كل فرقة من هذه الفرق
مايقرب من نصف أى فرقة أمريكية فى القوة العسكرية وكان هناك
مايقرب من ١٠٠ فرقة عسكرية من الولايات المتحدة تقف فى غرب
القارة القديمة والآن ألم يكن من الواجب على هذا الحلف أن
يقضى كلية على التهديد السوفيتى المسلح تحت ستار الادعاء
بالتوازن الحربى ، وكذلك القضاء على أى احتمال للتقدم
الاقتصادى والاجتماعى فى كل دولة من الدول الأعضاء التى
كانت تعطى للدعاية الشيوعية كل المبررات التى تتمناها .
ولكنهم لم يستطيعوا أن يقاوموا اعتداء أخيرا ولكن ليس مؤكداً
وأن يرفعوا من فوق بساط بحثهم ضرورة الاحتفاظ بحاضرهم..
ومستقبلهم اللذين يستحقان الموت من أجلهما - وتداخل حكم
عرفى بين الضرورة والاحتمال . وكان هذا هو عمل أول لجنة
« الحكماء » التى كونها مستر جان مونييه وافيрил هاريمان
والسيرايريك بلودوين . وبعد أن أصدرت هذه اللجنة توصياتها
اجتمع مؤتمر لشبونة سنة ١٩٥٢ وحدد هدفاً متواضعاً وهو
تكوين خمسين فرقة لسنة ١٩٥٤ وهو التاريخ الذى حدده
المؤتمر للبرهان على مدى قوة الحلف .

الصراع حول إعادة تسليح ألمانيا

وفى هذه الأثناء بدا أنه من المستحيل السير فى هذه

الأمر دون الالتجاء إلى البقية الباقية من ألمانيا . ولم تكن كذلك مجرد عملية تقابل الآراء في بوتسدام مع تلك التي تنادي بنزع السلاح الدائم في أراضى الرينخ هي الهدف الرئيسى فى قيام الحلفاء بالحرب بل كانت كذلك عملية اذاعة القرارات الشهيرة التي اتخذها الموقعون على معاهدة الحلف . فقال المستر روبرت شومان فى السادس والعشرين من يوليه سنة ١٩٤٩ « أن ألمانيا لا تملك السلاح ، ولا يجب أن تملكه أبدا » ورد عليه المستر لويس جورى أن سكرتير الدفاع الأمريكى فى الثامن والعشرين من نوفمبر مؤكدا حديثه بقوله « أيا كانت قرارات الآخرين فإنى أقول أنه لن يكون هناك تسليحا لألمانيا » .

وفى سنة ١٩٥٠ حينما انعقد مؤتمر حلف الأطلسى فى بروكسل ، قدم ممثل الولايات المتحدة لأول مرة تحت تأثير الافعال الذى أثارته حرب كوريا ، مسألة إعادة تسليح ألمانيا ، ولكن مضى بعد ذلك خمس سنوات حتى وضع أول جندي ألماني قبعة عسكرية فوق رأسه .

والآن ان ذلك الأمل الذى يرمى إلى الالتجاء لمعونة عدو الأمس قبله جميع الاعضاء دون أى اعتراض تحت صورة الحاجة ولكن ذلك أثار فى فرنسا اضطرابات كثيرة أكثر مما يتصورها العقل ، محاولة البرهان على أن ذلك العمل له مساوئه ومميزاته «معتقدين أنه من الممكن نحو الاتحاد الاوروبى تحريف فكرة

اعادة تسليح ألمانيا . وفجأة اتحد المحاربون القدماء وأنصار
ديجول والوطنيون ضد القرارات التي اتخذها هذا المؤتمر
واقفين بجانب الشيوعيين أضف الى ذلك اليساريين الذين
كانوا يرون أن هذه القرارات ماهي الا غش وخداع لأنها
اقترحت أن تطلّى حبات المرمر بالذهب - وما هذه الحبات الا
اعادة تسليح الدولة الهزومة . ولم ينته هذا الصراع الذي كان
ذا خطر شديد على الوحدة الأوروبية الا في ربيع سنة ١٩٥٥
ويبدو أن هذا الصراع قد طفا اليوم على وجه تيار الفيضان ،
وبدلاً من أن تترك ألمانيا عدوها المعروف رضيت أن تلبس
بدلته العسكرية . وبدلاً من أن ترتضى ألمانيا لنفسها أن تقبع
تحت السقف الذي أقامته باريس لها فقد بقي تأثيرها قويا
كدولة داخلية ضمن الحلفاء وأخذت بعد ذلك كثير من الدول
الخطوات الحاسمة نحو تقليل مدة الخدمة العسكرية وفرنسا
التي كان يجب عليها أن تمد الحلف بأربعة عشر فرقة لاعتبارها
أكبر نواة للدفاع عن قارة أوروبا لم يعد لها في حرب الجزائر
سوى فرقتين ونصف . أما انجلترا فقد قررت من جهتها اعادة
مايقرب من ربع قواتها في ألمانيا الى الوطن الأصلي ، مفسرة
ذلك بطريقة تفهمها هي تجاه وعدّها الذي وقعت عليه في مؤتمر
باريس الذي ينص على وجود أربع فرق انجليزية في ألمانيا .

ازدياد القوة العسكرية

لقد فیل حقا ، أن تغير النظريات الاستراتيجية بعد صراع

دام طويلا أحدثت بالتالى تغييرا عظيما فى أهمية هذه المشكلة وتأثيراتها . فادخال الأسلحة الأوتوماتيكية فى التكتيكات العسكرية للمعسكر المناوىء أفادت بدورها القوة العسكرية فى المعسكر الأول بشكل عظيم . فقد أعطى ذلك الفرصة للقوات الاطلمنية فى اوروبا وللقنين المعسكرين الى السير خلف السوفيت بعد مرور أيام قلائل . وتركت قوات الاطلمنية الفرصة لسادة الكرملين حتى يختاروا أما الباحثات واما السحق التام الذى أصبح أمرا لا يمكن تحاشيه اذا ما طال الصراع نتيجة لدخول الأسلحة النووية فى ميدان الحرب .

وإذا ما نظرنا الى الموقف الحالى فاننا سنجدده يختلف تمام الاختلاف عن ذلك الموقف الذى كان موجودا ساعة التوقيع على الحلف الاطلمنى وكذلك عن النظريات التى بنى عليها حكماء الحلف برنامجهم فى مؤتمر لشبونة . ومن الآن فصاعدا نشأ موقف من التوازن فى الرعب « بين المعسكرين » ، ولكن لم يعتمد هذا الموقف كثيرا على الطرق التى يستغلونها بل يعتمد على مدى الرعب الذى يحدثه أى من الجانبين . ولذلك لم يصبح الازدياد فى المقدرة على التدمير ذا قوة فعالة لها أثر رجعى .

الشك العقول

منذ تلك اللحظة التى أصبحت فيها الضحية المرموقة على

حذر كما أصبح لها وزنها بفضل أسلحتها التي جهزتها للاخذ
بالتأر ، ولتوقع هجومها فجأة على أى مقاطعة وتقنى فيها فى
مدة لاتعدو دقيقة واحدة مايقرب من عشرة أو عشرين مليوناً
من البشر ولن يهمهم كذلك أن يفنوا عشرة مقاطعات ويبيدوا مائة
مليون من البشر ، .. فالجرب كما يقول مستر سلوين لويد
أصبحت « طريقة قديمة بالية فى تنظيم الصراع » .

ومن ثم فلم يعد بعد الصراع المسلح هو النهاية الحتمية
للمعركة ولكنه هو بداية المعركة للتسابق على التسلح فى
المستقبل . وأن من يتدىء به لن يكون الا معتوها أحقق خطأ
فى تقديره للأوضاع . والطريقة المثلى التى يجب أن تتبعها هى
مفاجأة ذلك الذى يتسابق على التسلح نين له بوضوح
الشن الذى سيدفعه نتيجة لأعماله . ذلك لأن المشكلة لم تعد
فقط عبارة عن مشكلة التسلح فلا يكفى فقط امتلاك الأسلحة
ولكن يجب أيضاً ألا يكون هناك حاجزاً يمنع المعتدى عن اتخاذ
خطوات جريئة فى المستقبل وكذلك يجب أن يكون متأكداً كل
التأكد من عقيدته ومبدئه اللتان سيستغلها اذا دعت الظروف الى
ذلك أو على الأقل متأكداً من عواطف الشعب الذى لم يحصل
عليها بعد والتي لم يستخدمها ساعة ابتدائه بالهجوم .

وهذه هى النظرية التى تسمى « بالشك المعقول » ولو
اختفى ذلك الشك كلية فان العالم الغربى سيواجه أخطاراً

عظيمة — كما أنه قد تسول للاتحاد السوفيتي أو الصين نفسها الى السير الى الحد الأقصى في عمليات الارهاب من نفس ذلك النوع الذي استعمله في السنوات الاخيرة في الشرق الادنى وفي كيموى وفي برلين — ولكنهما علما تمام العلم أنه أمكن وقف هذه العمليات في وقتها وأن هذا هو نفس النوع من الانسانية الذي سيجدان بنفسهما أنه قد حاق به الخطر لو أن الحلفاء اتخذوا قرارا بالحرب دون الوصول الى اقناع السلطات السوفيتية بفهم عكس ذلك .

واذا أما ايدينا ذلك الشك المعقول ، واتخذنا كذلك قرارا بوضع رقابة عامة على التسليح أو على الأقل بمنع أى هجوم مفاجيء — فانا بذلك نضرب على النقطة الحساسة التي يسعى اليها حلف شمال الاطلنطي . ولكن هل هو في حالة تسمح له بمواجهة ذلك الموقف ؟ ان هذا هو ما يجب علينا أن نفحصه أولا .

الفصل الثانى .

٢٥٠٠٠٠٠ مليار

٢٥٠٠٠٠٠ مليار من الفرنكات هو اجمالى ما اتفق تقريبا على المعدات العسكرية منذ اللحظة التى تم فيها التوقيع على معاهدة حلف شمال الاطلنطى مشتركا فى هذا الخمس عشرة دولة من الأعضاء . ولقد كان ذلك الوقت من أخرج الأوقات التى مرت به دولتنا لانه كان أمامها اما أن تغير عملتها واما أن تذهب ائى الأبد فى وسط ساعة الصفر .

واذا ما قسم ذلك المبلغ على عدد المقيمين فى الأراضى المحمية ، فانه سيمثل مبلغا وقدره ٥٠٠٠٠٠٠٠ فرنك عن كل منطقة وأن هذه الضخامة تتركنا فى حيرة لا مخرج منها . وبالرغم من هذا فان قيمة ذلك الحلف لا توجد فقط فى مقدار ما سيخففه من مأس أو فيما سييسيه من منازل ، أو فيما سينقذه من أرواح ولكن أيضا فى قيمته ... الخارجية الفعلية بالنسبة لنفسه .

أن اجمالى القوات البرية لحلف شمال الاطلنطى التى قد وكل إليها أن تضد أى هجوم من جهة الشرق تبلغ فى مجموعها

في الوقت الحالي ما يقرب من ثلاثين فرقة يدخل ضمنها أربع فرق أمريكية وثلاث انجليزية .

وفي الحقيقة فإن الاحصائية المعلنة في سراي شيلوت الخاصة بالمجهودات العسكرية للدول الأعضاء لا تختص فقط بمساعدتهم للحلف . فكل واحدة من هذه الدول أدخلت ضمن اجمالي حسابها مجموع ما أتفقته على النواحي الدفاعية الخاصة بها هي وذلك خوفا من أن تدفع ماضن به الآخرون وبذلك تدفع أكثر مما دفعت فعلا . وهذا يعنى مثلا أن الولايات المتحدة أدخلت ضمن حسابها ميزانيتها للأوتوماتيكية ومحلولاتها الصاروخية وتكاليف أسطولها في البحر الأبيض المتوسط وفي المحيط الباسفيكى .. وكل ما لا يت يصله الى منظمة حلف الاطلنطى . وبنفس الطريقة فعلت فرنسا فهي تضيف نفقاتها في الحرب الجزائرية ، وكذلك بريطانيا في دفاعها الاستعماري ، وأدخلوا كل ذلك ضمن دفتر أستاذ منظمة حلف شمال الاطلنطى .

أساس البناء :

ويجب أن تلاحظ أيضا ، حتى نكون عادلين ، أن هذه النفقات لم تكن غير مشرة كلية ، فلقد خصص مبلغ ١٥٠٠ مليار فرانك لوضع الأساس فقط ، وبذلك أعطى لدول أوروبا الغربية ما يقرب من ١٤٠ مطارا حريبا في مقابل ١٥ مطارا في سنة

١٩٤٩ كما أنه أعطاهما كذلك حوالي ٨٠٠٠ كم من أنابيب
البترول وشبكة للاتصالات اللاسلكية والسلكية ليس لها مثيل
وهي تحتوى على ما يقرب ٢٤٠٠٠ كم من الخطوط التليفونية
للأرضية ، وما يقرب من ١٥٠٠٠ كم من الاسلاك الموصلة
لمحطات الراديو وحوالى ٣٠٠٠ كم من الكابلات البحرية التى
تستخدم حاليا فى الخدمات المدنية . وتقول القيادة الأمريكية أن
التفقات التى أنفقها الجيش الأمريكى خارج بلاده أمدت البلدان
الأوربية بملايين الساعات من العمل المتواصل ومن الشعارات
المقيدة ... وأخيرا فانه من المعترف به أن الأبحاث العلمية وخاصة
فى الميدانين الجوى والاليكترونى جعلتا انطلاق إعادة التسليح
أسرع بكثير من عجلة التقدم التجارى التى ثبت عدم مقدرتها
فى تدعيم هذين الميدانين . ولولاهما لما استطاع الحلف أن يبنى
جزءا من تجربته فقد بسهولة وبساطة جدا ، فقد فى عملياته الحربية
العديدة الفائدة التى قام بها فى الهند الصينية وقناة السويس
وأماكن كثيرة أخرى . فقد فى أسراف الجيش المتزايد فى
تظاهره بإقامة الاستقرار بين المدنيين ، فقد فى التسليح
والمقدرات القتالية اللذين سارا فى طريق مريع جدا ، ولا يحدث
الحدث الثانى الا اذا جذب الحدث الأول اليه . وقد فى
أخيرا لأن المجهودات التى أفتقدت فى إقامة المعايير للحلف
الإعلاشى لم تعط حتى الآن الا نتائج محدودة للغاية . كما أن
الصناعات القومية تتبع فيما بينها منافسة تكلفها الكثير ومنها

النزاع حول مسألة الأسلحة الاطنظية وحول المعدات المستخدمة في الصراع الألماني وأسوأ من هذا وذاك امتناع حلفاء فرنسا عن تزويدها بالأسلحة والمعدات الحديثة وعن اعطائها أسرار الأسلحة النووية .. الاتوماتيكية التي يستخدمها المعسكر المناويء منذ زمن بعيد .

وان فقد الدول المشتركة في الحلف الوقتها ومجهوداتها وتفوذها شيء لا يمكن تحاشيه بالمرّة . وأن الكتلة السوفيتية لتعرف مدى الغيظ الذي تحدثه في دول هذا الحلف باتباعها لنظام جماعى . وهى تنتج سلسلة عظيمة من الأسلحة التى كثيرا ما يبطل استخدامها عند العمل - أى بمعنى آخر فى اللحظة التى تصبح فيها على استعداد للدخول فى الخدمة . ولكن تلك الأسلحة التى بطل استخدامها لايعنى أنها أصبحت عديمة الفائدة بل يوزعونها على دول الثالث الثالث من العالم التى يجعلون منها أصدقاء يحسب لها حسابها وذلك بتغييرهم للمواد الأولية التى أدخلوها فى هذا الإنتاج .

وعلى كل حال فقد سمح بالاولوية فى النفقات على الأسلحة للمعسكر الشرقى على أن يحصل المعسكر الغربى على هذه الأولوية فى مدة لا تتجاوز عشر سنوات على أساس الخطة الكلاسيكية أو التقليدية وبذلك تلحق به ثم تتفوق على المعسكر الشرقى فى الخطة الأوماتيكية وفى قذف الصواريخ وأول ما يفعلونه هو السماع الى الخدع الواهية التى تدل عليها

الاعلاقات المتتالية التي يصدرها السادة من الكرملين عن القنبلة الذرية والهيدروجينية والصواريخ العابرة للقارات . وتسجل « السيزموجرافيات » الأميركية يوما بعد يوم جميع الانفجارات التي يقوم بها الاتحاد السوفيتي والتي برهنت على أن عدم حرية الفكر العلمي لم يكن عقبة أمام البراعة الذهنية العلمية أو سرعة تقدم الصناعة الحربية ذلك لأن « السبوتنيك » الروسي برهن على التفوق السوفيتي في ميدان الصواريخ ، وقد غلغل الحلفاء ذلك بأنه يوجد ماكينات قذرة للقذف في مكان ما على الكرة الأرضية تبعث بهذه الصواريخ إلى الفضاء . وكان آخر حدث قضى على الشك الذي كان يساور الحلفاء في مدى مقدرة الاتحاد السوفيتي في هذا المجال هو وصول القمر الروسي إلى الهدف المعين له على القمر الطبيعي في سبتمبر عام ١٩٥٩ .

ميزان استراتيجي جديد :

إن دخول موسكو في ميدان الصراع الجوي بث في قلب الولايات المتحدة حالة من الفزع والرعب والتيقظ المستمر . واستمرت في استمالة جميع العقول العسكرية الغربية إلى جائبها وذلك منذ أن أعلن مستر دالاس غاضبا أن القيادة أصبحت « ممزقة » فأمرىكا التي كانت من زمن قريب مجرد هدف محتمل لقاذفات القنابل الروسية لم تعد الآن المرئي الأمين الذي كانت تنصب عليه راية الأمان . وأصبح لزاما عليها أن

تستعد اذا اقتضت الضرورة الى اعادة غزو أوروبا لو احتلها
الروسيون . انها الآن في الخطوط الأمامية وما عليها الا أن تبني
ميزانا استراتيجيا حديثا بمساعدة حلفائها وهذا هو العمل الذي
كرست حلف الأطلسي له منذ انعقاد مؤتمر الأقطاب في باريس
في ديسمبر سنة ١٩٥٧ .

ومهما يكن من أمر المجهودات التي يبذلها حلف الأطلسي
فليس غرضها هو الانتصار في الحرب ، ولكن فقط هو اخافة
المعتدى الذي يحاول مثل هذا النصر الذي سيعتبر مراوفا لكلمة
«انتحار» فالامكانيات التي يحتفظ بها كل من المعسكرين تكفي
جدا لسحق وابداء المعسكر الآخر من الوجود بكل
بساطة . ونجد أن واشنطنجتون وموسكو أصبح لديهما ما يكفيهما
من الأسلحة النووية ، كما أن لندن أصبح عندها عدد وفير من
الأسلحة الهيدروجينية والنووية ويتراوح وزنها ما بين ١٢ ، ١٥
طنا (وهذا يعنى أنها ذات قدرة على تحطيم ما يقرب من ١٢ الى
١٥ مليون طن من الترتلارولين) أى أن قذيفة واحدة فقط لها
نفس قوة تحطيم جميع القنابل التي أسقطت على ألمانيا خلال
الحرب الأخيرة . اذ يمكنها اباداة كل وجه من أوجه الحياة في
مساحة قدرها ١٥ كم ٢ ، أما تأثير الاشعاع فانه يمتد في ربوع
منطقة تبلغ ١٥٠٠٠ كم^٢ ويقول المستر خروشوف ان قنبلة هيدروجينية
سوفيتية واحدة تكفى في محو قطر مثل الدانمرك من الوجود .
وفي خلال حديث له مع مستر هاريمان في ربيع سنة ١٩٥٩ أضاف

قائلا أنه يعتقد اعتقادا تاما فيما قاله جوزيف السوب من أن ستة قتابل تكفى لحرق فرنسا وسبعة لحرق ألمانيا الغربية واليوم نجده يتكلم عن قبلة وزنها ٥٠ طنا أى انها تساوى ٢٠٠٠ أمثال قبلة هيروشيما .

الشرط الأساسى للاعتداء :

ان المعتدى الذى تسول له نفسه استخدام مثل تلك الأدوات القتالية لن يفعل ذلك الا بعد أن يتأكد من أن هذه الدولة المعتدى عليها لن تأخذ بالتأثر فلن يكون عندها قوة أو شجاعة تقدمها أولا على خشية التضحية لأنه سيقضى على حياة الملايين على مدن بأكملها وعشرات السنوات التى ضاعت فى البناء .

ومن الواضح جدا أن الشبكل النووى لحرب عالمية سيجعل عمرها قصيرا جدا ذلك لأن كمية الاشعاع القاتل سيكون كافيا جدا لقتل المعتدى عليهم . وبعد التجارب السبوفيتية التى تمت فى سنة ١٩٥٨ تزايدت الاشعاعات الذرية فى المحيط الجوى ولكن بالرغم من هذا كان من الممكن أن تبقى الانسانية فى أمان .

ويقول بعض المتخصصين انه فى الظروف الفنية الحالية سيتمكن لأى هجوم على نطاق واسع أن يقضى تماما على القواعد المضادة ولكن بما أنها ستلقى بأشعاعات ذرية كافية فلن يمضى عليها وقت طويل حتى يعانى المعتدى شر عمل يده .

وهذا هو ما دعا مستر يكسون الى أن يعلن وهو في رحلته في موسكو اننا اليوم وصلنا الى مرحلة من التاريخ ينطبق عليها هذا القول «من يلعب بالسيف يمت بالسيف» فالدولة التي ستشن حربا في هذه الظروف الحالية فانها ستعمل على تحطيم نفسها . فحتى لو لم تقيم الدولة المعتدى عليها بالأخذ بالتأرفان الاشعاعات الذرية المستخدمة في الاعتداء مستغلها الرياح الى اراضي المعتدي نفسه واليوم تعمل الولايات المتحدة على انتاج الأسلحة المناسبة . ويبدو أنه من المحتمل ان روسيا قد أنتجت كثيرا منها ، ولكن مع ذلك فان توقف التجارب الذرية منذ أول نوفمبر سنة ١٩٥٨ قد غاقت كلا الجانبين عن التقدم في البحث .

وبجانب هذه الاعتبارات الفنية الأساسية يجب أن تأخذ في حسابنا الاعتبارات الفيسيولوجية ، فان مناقشة عملية القتل الجماعي النووي قد أثرت تأثيرا عميقا في جميع البناءات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في كلا المعسكرين ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بما يحدث .

وقد أعلن المستر خروشوف على أحد الصحفيين الامريكيين قائلا له ، كن متأكدا اننا سنخسر خسارة عظيمة في وقت الحرب ، ولكننا اذا ما قارنا مدى اتساع أرضنا بأرض فرنسا وألمانيا أو انجلترا فاننا سنجد أنه ليس من اللازم أن نهتم بالاستراتيجية أو بالناحية العسكرية الى حد كبير . فحتى أمريكا نفسها ليس عندها أرض بمثل اتساع أرضنا ، وعلى ذلك فاننا يجب أن نحذر أميركا من أنها

تركز صناعتهما في مدينتي أوثلانت وهي نيويورك وشيكاغو وسان فرانسيسكو أما صناعاتنا فهي أقل تركيزا . ولقد أعلن رئيس الاتحاد السوفيتي من قبل أن هتاك من الأسباب ما يدعو إلى أن يقرر في سنة ١٩٥٧ تحسين المركز الاستراتيجي لجمهوريات الاتحاد السوفيتي ، ومن الجائز أنهم كانوا يفكرون في ذلك الوقت في الاحتفاظ بالقوة المعنوية للشعب وجيشه وفي الوقت يؤثرون على المعسكر المعادي .

الدفاع أكثر سهولة من الهجوم :

اننا نجد لحسن الحظ أن الدفاع أكثر سهولة من الهجوم . وماذا يجب أن يكون الهدف الأول للمعتدي ؟

هو القضاء التام في ساعة الصفر على جميع القواعد الخاصة بالمعسكر المعادي ، وهذا اذا ما افترضنا معرفته للأماكن الحقيقية وبذلك يوجه إليها ضرباته الصائبة . ولكن قد يحدث عكس ذلك بأن يوجه المعسكر المعتدي عليه ضرباته الى أماكن مختلفة من أرض المعسكر المعادي دون اصابة الهدف الصحيح .

ولذلك فان المعتدي اليوم أمامه أن يختار طريقه حتى يحصل على هدفه وهو : اطلاق الصواريخ بدون قائد على أن يكون لها ميزة المضبط والأحكام ولكن يجب أن تعرف أن كلا المعسكرين عندهما اليوم قنابل وصواريخ ذات رءوس ذرية في استطاعة أي منهما القضاء التام على أسطول جوى بأكمله .

وانه من المؤكد أن الدخول في أى حرب يستخدم فيها أسلحة التدمير سيحتاج الى تغيير تكتيكية القذف . فبلا من احرارنا للطائرات القاذفة للقنابل التي تعودنا عليها في الحرب العالمية الثانية فاننا منجد قواعد قاذفة للصواريخ التي تعدى سرعتها سرعة الصوت بحيث انها تصيب الهدف باختراقها الشبكة الجوية للمعسكر المعسادي اذن مافائدة شبكات قاذفات القنابل الموضوعة في أوروبا اذا كانت قد قررت الحكومة الفرنسية تزويد جيشها «بالميراج» واذا كان لا بد من اختراق الطائرات لمسافات طويلة فانه يجب أن تحمل معها بعض الكربون حتى تقلل من سرعتها عند تنزيل حمولتها ذلك حتى تصيب الهدف المقدر لها تقريبا . وهل .. سيخضعون رويدا رويدا للقذائف العابرة للمحيط الجوي دون أن يلحقها أحد حتى تصل الى هدفها بسرعة هائلة دون أن يستطيع أحدا اعتراض طريقها ؟

انه في الظروف الفنية الحاضرة لو أصبح في امكان القذيفة أن تصل الى هدفها دون أن يعترضها أحد فانها ستبقى بدون شك سواء في الوقت الحاضر أو المستقبل - هي أداة التدمير التي تصيب هدفا على بعد شاسع وذا مساحة ضئيلة لا تعدى مساحة خشبة المسرح ، وبذلك سيكون في استطاعته خرق القاعدة التي تقذف منها الهدف المتأوى . ولكننا نجد أن العقبة الوحيدة التي تقابلنا هي عدم دقة هذه القذائف ، فإذا أراد الاتحاد السوفيتي تدمير جميع القواعد الأمريكية وقواعد الحلفاء في العالم فانه يكفيه عشر قذائف من هذا

النوع وذلك يقذفها على مسافة أقل من مائة كيلو متر من هدفها على أن يكون تأثيرها ممتدا لهذه المسافة .

ونرى أن المشكلة الاستراتيجية للدول الغربية تنصب في ثلاث نقاط هامة وهي : -

١ - اعداد الآلات والمعدات اللازمة لارغام القوى المدافعة
تفريعها على التسليم .

٢ - أن تحمي قواعدها بكل ما أوتيت من قوة بغض النظر عن
ميناء بيرل هاربر المزود بالأسلحة الذرية - وبذلك تحميها من
الفناء التام .

٣ - بناء نظام من الحذر التام الفعال الذي يجعل هذه الدول
على أهبة الاستعداد بحيث أنها توجه قذائفها للتأروال انتقام في أقل
وقت ممكن قبل أن يقضى عليها العدو ولكن الى أى مدى يمكن
تحقيق ذلك ؟

عجلة الصراع :

ان النتائج الباهرة التي حققها الكرملين في غزو الفضاء كانت
عائقا كبيرا للمحاولات والتجارب الامريكية التي قامت بها في «رأس
كانافيرال» والتي برهنت على تأخر الامريكيين ولكن يعوض أميركا
عن ذلك انها هدف بعيد جدا بالنسبة للاتحاد السوفيتي أكثر من
الاتحاد السوفيتي بالنسبة لها . ففي الحقيقة تجد القيادة الروسية

تفسها مضطرة الى القاء قذائفها على بعد يبلغ مساحة المحيط المتجمد الشمالي على الأقل ، وفي هذا المحيط توجد قاعدة « بتاجون » التي تعد قواعد صاروخية للاتقضاخ على جميع حدود الاتحاد السوفيتي والفضل في هذا يرجع الى حلف شمال الاطلنطي والى الأنظمة الغربية الأخرى . أضف الى ذلك أن أحد المسائل التي أثرت أمام حلف شمال الاطلنطي هي مسألة قذف (الاسبوتنيك) وعما اذا كان موجها نحو القارة القديمة ، ويقول أحد علماء القذائف أنه يمكن أن يصل الى بعد ٢٤٠٠ كم وبذلك يصبح من السهل على هذا الصاروخ العابر القارات أن يصيب بسهولة لينجراد وموسكو وكييت عن طريق أوروبا الغربية والأورال وتركستان عن طريق تركيا الآسيوية .

ولكن قانون ماكماهون يمنع الولايات المتحدة من أن تضع في البلدان المتحالفة معها أسلحة أوتوماتيكية أو نووية كما أنه يتحكم في توصيل معلوماتها عن الموضوعات الخاصة بالتقدم المطرد الذي حققته في هذا الميدان . أما لو أنها أعطت صواريخها عابرة القارات لأصدقائها فانها في هذه الحالة يجب أن تبقى على سياستها وتحكمها في هذه الصواريخ . أضف الى ذلك أن المفاوضات الخاصة بالآراء الضرورية تحتاج الى وقت طويل . ولم تصل بنا حتى هذا الوقت الا الى حالتين وهما حالة انجلترا وإيطاليا . وفي هذه الأثناء قربت تركيا أن تقوم بأعمال عظيمة كما ان واشنجتون قد أكدت لها وضع

مجموعة كافية من الصواريخ تعطىها القدرة على قذفها في ساعة
الضرورة للانتقام المركز من الاتحاد السوفيتى .

وفى كل الاحوال فان الادارة الرئيسية «لتسيط الهمن» هي
اختراع قاذفات القنابل ، وتعمل القيادة الجوية الاستراتيجية فى
أوماها على اعداد ما يقرب من ٢٠٠٠ جهاز من طراز توربيد ٤٧ ب
ذات السرعة ٩٩٠ كم فى الساعة ذات الاشعاع المتشع فى نطاق
٥٠٠٠ كم ، وكذلك من طراز ب ٥٢ ذات اشعاع منعكس فى حالة
الطيران وهذا الاخير يستخدم أساسا فى قذفه فى المحيط المتجمد
الشمالى . أما قيادة القاذفات البريطانية فيعمل تحت ادارتها ما يقرب
من مائتى جهاز للاشعاع من طراز «ف» أما قواعد قاذفات القنابل
للحلف الاطلنطى الموضوعة فى انجلترا والمانيا وتلك الموجودة على
على الاسطول السادس الأمريكى فى البحر المتوسط فهى الآن على
استعداد لقذف قنابلها على الاهداف المقصودة ، ونرى من التفاصيل
الاخيرة عن الصواريخ العابرة للقارات أنها تتقدم تقدما ملحوظا عما
كان منتظرا لها ، وما زال ... للصاروخ أطلس نفس المفعول . اذ
أن فى استطاعته أن يصيب هدفا على بعد يقرب من ٨٠٠٠ و ١٠٠٠٠
كم بسرعة قدرها ٢٠٠٠٠ كم فى الساعة .

حماية قواعد الاخذ بالتأثر :

٢ - منذ زمن طويل واستخدام قاذفات القنابل والصواريخ
الموجهة لها قوة عظيمة جدا ولكن زادت تلك القوة والفاعلية بعد

الحرب العالمية الأخيرة • ولم تثبت أى قوة • • مضادة للصواريخ
قدرتها على الوقوف ضدها • وعلى ذلك فإن قوة قاعدة بتاجون تعتمد
على النقاط الآتية :

— دفن الآلات القاذفة للصاروخين أطلس و نيتان عابري القارات
عشرات الأمطار تحت الأرض ، أضف الى ذلك التسع قواعد الرئيسية
فى منطقة السهول العظمى الواقعة فى غرب الميسورى ، وهى تبلغ فى
تكاليفها ١٢٥ مليارا من الفرنكات الخفيفة •

— وتوزيع قواعد القذف والمخزون من الأسلحة الأتوماتيكية •
فى شهر ديسمبر من سنة ١٩٥٧ وافقت دول حلف الأطلنطى على
المبدأ القائل بأنه لن تكون دول الأطلنطى هى فقط المشتركة فى الحرب •
— تحرك القوات العسكرية • فبعد أن رأت الولايات المتحدة
بعد قذف الصاروخ سبوتيك انه من المحتمل أن الاتحاد السوفيتى
يمتلك آلات قاذفة للصواريخ عابرة القارات ، قررت أن تمتلك
مرا أجهزة استراتيجية جوية ذلك حتى تتحاشى التدمير المخيف
للطبقة الأرضية حتى أنك تجد فى القواعد الملحقة فى الجو مكانا
للأسلحة الحديثة •

ولكن يجب أن تعرف أنهم يعتمدون اعتمادا على الأسلحة
الموجودة فى داخل الغواصات ويستطيعون استخدام قاذف القنابل
(الطبقى) فى أى وقت يريدون • ولقد أثبت استخدام الصاروخين
«ناتيلوس» و «سكاتى» على أنه فى الامكان استخدام أسلحة

أوتوماتيكية ففي مقدرتها الانسياب تحت ثلج القطب المتجمد
الشمالي حتى تصل الى هدفها دون أن يراها أحد .

ضروريات الحذر :

أصبح الحذر شيئاً أساسياً منذ وقت طويل ذلك أن وجد
الاتحاد السوفيتي نفسه مضطراً الى الاتجاه الى قاذفات القنابل .
ولحسن الحظ أنه وجد بسبب بعد المسافات بينه وبين الولايات
المتحدة أنه غير قادر على اصابة أهدافه فيها . وتقول الأنباء الاخيرة
أن البحرية الأمريكية أنها قد توصلت الى صنع صاروخ يوضع على
قوة رادار عنده القدرة على قذف صاروخ موجه الى هدف بعد
٨٠٠٠ كم ويسير بسرعة عظيمة بالقرب من أنحاء الأرض .

ولا تعتبر الميزانية المكتوبة على الورق في غير صالح الغرب
فلقد استطاعت أن توقف كل اعتداء بسرعة وفي الحال . ولكن لم
يفسر أحد خسارة كبيرة ، وبذلك استطاع حلف الأطلسي
القضاء على الدعاية الشيوعية .

وسيؤدي هذا الموقف اذا ما طال لمدة طويلة الى اختراع نظام
شيوعي أوتوماتيكي كامل من شأنه القضاء التام المفاجيء على قواعد
الحلفاء . ومهما يكن الامر من التقدم السريع في الناحية التكتيكية
فإنهم يجب أن يفهموا أن هذا العمل ليس من أجل الغد . . .

أخطاء المدرعات الحربية :

وفي هذه الاحوال الراهنة لا يمكن أن تقول أن الموقف يدعو الى التفاؤل ، لأن هذه المدرعات الحربية تمثل أمامنا أخطاء جسيمة وأول هذه الاخطاء هو عدم الكفاية ذلك اذا ما قارناها بالقوة الحربية النووية ، وتسمى هذه القدرة : بمجموعة القوات والاسلحة النشطة الموجودة فعلا تحت أمره القيادة الأطلنطية على مسرح الحرب الأوروبية ، ولقد حدد الجنرال نوستاد بنفسه المهمة التي قام من أجلها الحلف الأطلنطي وهي ارجاع الأعداء على التوقف والعمل على تحطيم جميع عمليات التقدم في شن أى غارة حربية وكل عمل غرضها جس العدو ومنع أى توقف يستطيع فيه العدو أن ينظر بامعان الى النتائج التي ترتبت عن أعماله .

٢ - يجب أن تكون الاستراتيجية في مثل ذلك التوقف هو اجبار العدو على أخذ قراره عمدا ، وقسرا بحيث اما أن يستمر في الحرب الى النهاية واما لايسير فيها بالمره .

٣ - وعند اجبارنا لهم على اختيار الموقف يجب أن ندفعهم الى النظر فيما سيكلفهم ذلك ، كما أننا لا يجب أن نجعله يتخذ قرارا أقل تكلفة بالنسبة له لان ذلك سينقذ عند نجاحه في رصيده ولكي تقيم القيادة العليا وزنا لهذه الأوجه الثلاثة فسيرون قرارا اتخذ في مؤتمر باريس في ابريل سنة ١٩٥٧ على أيدي وزراء دفاع حلف شمال الاطلنطي ، ما يسمونه بالحاجة ذات الحد

الأدنى : ثلاثون فرقة «حديثه» وكانوا يعلمون حينذاك أنهم لم يصلوا الى هذا العدد . ولكن لما رأوا أن الاتحاد سوفنى هو الذى يقرر حالة السلم ، بعد أن قاموا بعمل تقديراتهم السريعة وبعمليات التقليل من قواتهم الحربية التى قوبلت بترحيب كبير ، رأوا أن جيشهم يجب أن يبلغ فى عدده ١٤٠ فرقة منها ٨٢ فى أوروبا يشترك فيهم ٣٩٠٠٠٠٠ شخص ، كما يجب أن نضيف الى ذلك الجيش الصينى العظيم والقوات الاوربية الثقلة .

ولا ترى الدول الغربية أنه لا يمكن أن تقوم قائمة الحرب الا بالاستخدام المباشر السريع للأسلحة الأوتوماتيكية (المدفعية الأسلحة المشعة والقنابل الموجهة بصواريخ مثبتة على الأرض) وإذا ما قارنا ما أنتجناه من الأسلحة الأوتوماتيكية اليوم بما أنتجناه بالأمس واستخدمناه فى الحرب الأخيرة فسنجد أننا قد أحرزنا تقدما ملموسا فيها بل وعظيما ، فقد أجرت الولايات المتحدة تجاربها على القنبلة . التى تعادل قنبلة ترينيترو وتلين وكانت أعظم من القنبلة الذرية ١١ ت التى استخدمتها فرنسا سنة ١٩٤٤ ، ولقد أصبحت التركيزات العظيمة فى القوات العسكرية التى اتسمت بها نهاية الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية أشبه بالاستحالة فى هذه الايام . ففى حالة الاعتداء المتعمد على الجبهة الاوربية ، فان قصف المدافع الأوتوماتيكية سيرد على الهجمات الروسية بحيث يمنع تقدمها .

وبالرغم من هذا فأننى أرى أن مثل تلك العمليات غير محتملة

التوقع ، ذلك لان القادة الروس سيفضلون - اذا ماضربوا ضربة حمقاء - أن يفقدوا الكل فى سبيل الكل ، وسيوجهون ضربتهم الدرية آملين أن يشلوا كل قدرة للعدو على المقاومة أو قد يقومون بعمل محدود جدا حتى لا يظهروا فى شكل المعتدى . وفى هذه الحالة فإن دول الغرب ستتحمّل مسئولية تحويل عملية محلية الى مذبحة عالمية ، كما سيجعل الامم المتحدة ، وحزب العمال والكومنولث يدفعون عنهم الى الوقوف فى التو واللحظة .

فلو أنهم كانوا يعرفون كم من عواطف سيثيرونها من الغضب بالتدخل الانجليزى الفرنسى السافر فى بورسعيد لما كانوا تقدموا خطوة واحدة ولكانوا اتخذوا حذرهم كما لم يفعلوا من قبل

المخاطرة

لقد تركت أزمة برلين هؤلاء الذين تسببوا فيها والدين خاطروا بخلقها فى التفكير العميق . فبعد ان أعلن المستر خروشوف اذاره الاخير فى السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٨ بمدة لا تتجاوز ستة أشهر ، لم يعرف أحد ماذا كان يكتنه فى رأسه بالضبط فقد يكون من المحتمل أنه أراد منذ الدقيقة الأولى دفع دول الحلفاء الى التأثير على «واشنطن» حتى تدعو الى عقد مؤتمر القمة . ولكنهم أقاموا قانونا فى عدة أسابيع من شأنه أن يسأل عما اذا كان الغرب لم يقرر بعد بمسئله عن

سدد الطرق الثلاثة المؤدية الى برلين بالرغم من مظاهر الضعف والاختلاف البادية عليه . كما انه ترك لهم الحرية في عما اذا كانوا يريدون تحمل مسئولية طلقات النيران الاولى ، وعما اذا اخذوا في حسابهم ماستثيره هذه المسألة من مشاكل توقظ مشكلة كوريا ثانية ولكنه من الواضح جدا أنه توجد مثل تلك المخاطرة لو أن الغرب وضع جميع قواته الكلاسيكية الكافية للقيام بعمليات حربية موحدة تقليدية .

ولكنهم يقولون أن مثل هذا الاتراض يزداد يوما بعد يوم مبدأ عن التحقيق وانه لم يبق على الحرب شيء الا أن يتخذ مستر خروشوف خطوة واحدة بقشاط طاوته ولكن مسألة كيمسوى التى لم يقدم عهدا بعد قد برهنت على أن سيد الكرملين وحلفاءه فى بكين لم ينكروا بعد تعاليم لينين تلميذ ماركس المخلص الذى يؤمن بأن العنف هو المسيطر الوحيد على جميع الافعال الانسانية وانه من القانونى الالتجاء اليه ما دام لن تتمخض عنه مخاطرة كبيرة وفى أحوال كذلك التى مرت ببرلين كان من الممكن أن يكون موقف الحلفاء أكثر قوة لو انهم استطاعوا الرد على مثل هذا التهديد بأسلحة محدودة من النوع الكلاسيكى وبتهديد من نفس النوع ، ذلك لانهم يعتقدون أن حجم التحطيم العظيم الذى ستسببه الاسلحة الحديثة هو الذى يجعلهم يترددون فى استخدامه .

وان تلك الحقيقة التى تقال عن الاسلحة الاوتوماتيكية

وتكتيكاتها. ذى الاشعاع المحطم المحدود وذى الانطلاق المحدود
يمكن أن يقال أكثر منها عن الأسلحة النووية . أما تلك النظرية
الغريبة الرسمية التي تبرزها حالة التسليح التي ستحدث عنها
وعن استعماله في الرد على أى اعتداء روسى ، فقد شغلت بال
السادة فى الكرملين لمدة قصيرة حتى يفهموا أن الغرب لن يقبل
الخداع لأنه صمم رأيه على الدفاع . وكثيرا ما أصر مجلس حلف
الاطلنطى على تأييد هذه النظرية وخصوصا بعد جلسته المنعقدة فى
ديسمبر سنة ١٩٥٤ وكثيرا ماردد الرئيس ايزنهاور على الاذهان
أن الاتحاد السوفيتى يجب أن يتخذ فى حسابه أن أى اعتداء مسلح
على برلين يجب أن يكون محدودا على استخدام الأسلحة التقليدية
وإن صح هذا الاصرار أم لم يصح فإنه لو اتبع فى أى مغامرة حربية
فإنه سيؤدى الى نتائج مخزية مزدوجة .

١ - سيوضع الغرب موضع المذنب أمام الراى العالمى الذى
ستبينه الدعاية السوفيتية كما أنه سيعتبره هو المعتدى المسئول
ليس فقط عن العدوان الحقيقى ولكن أيضا اعتباره الملتجئ الأول
الى استخدام الأسلحة القاتلة .

٢ - أضف لى ذلك أنه سيضعه موضع المعتدى الاول
المستخدم للأسلحة الاوتوماتيكية وهذا هو مارأينا ضعفنا أمامه
من قبل لان المشكلة التى أمامنا هى : عملية المحو التام لاجميع القوات
الانتقامية المناوئة فى ضربة واحدة لامقام لها من بعدها .

لا يمكن استنظام السيف محل الدرع :

ان النتائج المنطقية التي سنرتب على هذه الاحوال هو ان السيف اى المقدرة الدفاعية لا يمكن أن تقول أنه هو الدرع نفسه ولا يمكن أن يتخذ مكانه الدرع ولنا أن نتأكد أن صمت الاتحاد السوفيتى تحت علم هذه القوى الكلاسيكية الكثيرة العدد وما ذلك الا لأنه يرتكز على أسلحة نووية يعتمد عليها في تفوقه العسكرى والتي سيستخدمها لصالحه . ولكنها ليست عبارة عن برهان على القوة فقط مثلما يفعل الجرب بقدر ما هي وسيلة لا تزال الرعب مثلما حدث في كيموى وبرلين اللذين من الممكن أن تتأثر مشكلتهما ثانية لانه من المحتمل أن تخفق زيارات خروشفوف وايزنهاور التي يعقدانها في مكان ما من العالم لا يهمننا موقعه .

وقد كتب الخبير الروسى سكويين في أحد كتبه عن «الحربية» بقول : «ان هؤلاء الذين يعضدون هذا الرأى (وهو ان دخول الاسلحة الذرية في الحرب سيخلق سدا حريبا) قد نسوا أن الحرب الحديثة تعتمد على عوامل فكرية وفنية كثيرة . فلو حصلنا على حالة من التوازن من جراء الهجمات الاوتوماتيكية فان تلك الحالة قد نحطمها انواع أخرى من الاسلحة» .

وفي مثل تلك الظروف فانه لن يهتم أى نوع من النوايا الطبية هي التي ستعمق منذ زمن طويل وهم لا يسيرون في طريق التقليل المطرد للأسلحة أو لوضع رقابة عليها ويؤكد الجنرال نوسستاد «أن القوة المدافعة أصبحت ضرورية جدا ونافعة وخصوصا في

الخمسة سنوات القادمة وإن لم تكن كذلك في الخمس سنوات الماضية ، ولذلك فأننا سندخل في فترة من الرخاء في أسلحة الحرب الأوتوماتيكية وآلاتها ، وبذلك سندعم قوة الاقناع بالعدول عن انتاج هذا النوع من الأسلحة وفعل شيء آخر أكثر فائدة .

اذن فيما ستستخدم تلك الأسلحة التي ستستعمل في الحقيقة في القضاء التام على المعتدي نفسه والتي ستمنع كنواة وجودها من الالتجاء اليها ، ولكن اذا كان من المحتمل السير في الطرق التقليدية القديمة ، فانها ستؤدي الى اضعاف الجانب المعتدي ، فان الجانب الآخر سينتهي حتما بالانتصار .

وايضا تلك فقط هي المشكلات التي تثير التساؤل بين الخطوات الخيالية التي تسير عليها الأسلحة الاعتدائية والخطوات المتباطئة التي تسير عليها الأسلحة الدفاعية .

الفصل الثالث

التضامن الأطلنطي أم التضحية بالذات ؟

ان أعداء حلف الاطلنطي يخافون دائما البلدان المشتركة فيه لان هذا الحلف سيدفع تلك البلدان الى الدخول في صراع لا يعنيه مباشرة ، وانا اذا ماأمعنا النظر الى احداث المستقبل وفكرنا في الغزو المحتم الذي قد يقع بعد بضع سنوات والذي سيتبعه عرض للزعماء المحررين أمام أطلال « شان زيليزيه » فانا سنجد لزاما علينا أن نقول أن هذا شيء لا يبعث السرور بالمرّة . واثني أرى أن الهواء الذي يتحدث به بعض الساسة الامريكيين عن الحرب الوقائية لا يختلف في شأكله عن ماآرب الجنرال ماك آرثر في الصين ، لأن كليهما يسبب لنا خوفا له نفس القوة والتأثير .

ولكن بالرغم من هذا فقد برهن حلف الاطلنطي في العشر سنوات اللاحقة لتكوينه أنه لم يكن مزيدا من حدة التوتر الدولي بل كان عبارة عن الفرملة التي أوقفت هذا التوتر . ويرجع الفضل لتضامن الحلفاء واتحادهم وكذلك للتدخل القوى من جانب مستر آتلي ، في تضحية الرئيس ترومان بحاكمه المستبد في كوريا سنة

١٩٥١ ولقد وجدت الولايات المتحدة راحة عظيمة في رفض الانجليز سنة ١٩٥٤ على الموافقة على تدخلها في الصراع الدائر بالهند الصينية مما أدى الى هدنة لا بد منها كانت تعتبر صرا عظيمًا ضد المعسكر الشيوعي ، وبعد مرور عامين على ذلك كان الحلف الاطلنطي مازال يتمتع بتأثيره وعلى وجه الاخص على فرنسا وانجلترا اللتين يقال عنهما أنهما كفا عن مواصلة تدخلهما في انسويس تحت تأثير الضغط الامريكى وهذا الامر يختلف تماما عن تلك المنظمة التى أدخلت المجر تحت ستار الحديد والنار .

مشكلة برلين

ولكن هل فكر الحلف فى الاحداث الخارجية والمواقف الجغرافية التى يجد الحلف أن دفاعه عنهما شىء لا بد منه ، وكيف سيتمتع بهذا الموقف الدفاعى اذا كان هو نفسه تحت التهديد المباشر .

ومهما يكن الحال فانه مادام هذا التهديد لم يقع بعد فأننى أرى ان هذا السؤال لافائدة له الآن ، ولكن مشكلة برلين تبدو وكأنها تتطلب ميزانا متعادلا دائما من الناحية الاوربية منذ اللحظة التى ولد فيها حلف الاطلنطي . فاللحظة التى وجه فيها المستر خروشوف انذاره النهائى لم يثر فى قلب الدول الأعضاء البالغ عددها خمسة عشر دولة أى ذعر أو خوف ، وبدلا من أن يدعنوا أو يستسلموا لهذا التهديد أعربوا عن رأيهم الصريح وموافقتهم

على موقف الولايات المتحدة كما وقفت انجلترا وفرنسا جبا إلى جنب للمطالبة بحقوقهما في برلين ، وبدلا من أن يشعل هذا التهديد نار الحقد والاتقسام بين الحلفاء - وهذا هو ما كان يرجو سيد الكرملين - فقد أدى في الحقيقة إلى تضيق هذا الخلاف بينهم ، فأصبحت الخلافات الشخصية في المرتبة الثانية والتف شملهم لمقابلة هذه المصيبة وإثبات مقدرتهم في مثل تلك الظروف المصيبة على اتخاذ قرار جماعي .

وهناك أسباب كثيرة دعتهم إلى اتخاذ هذا القرار ، وأولها هو اختيار موسكو لنقطة الهجوم فلقد كانت برلين سنة ١٩٤٩ رمزا بمخر به ، وكان انتصار الاطْلنطى في ذلك الوقت قريبا جدا وكان ينطلع إليه كما كانت تنطلع كل الدول في ذلك الوقت ، وإن أى ضرورة أخرى في أى بقعة من الأرض لن تصل بهم إلى مثل هذا الاتحاد .

ولم يقلق الرأى العام في أى لحظة من تلك اللحظات ، ولم تؤثر لغة المستر خروشوف المرعبة بالمرّة على أعصابهم ، وقد يرجع ذلك لاستخدامه نفس اللهجة الباردة والحارة التى كان يستخدمها هتلر في تهديداته أضف إلى ذلك أنه أعطى لنفسه وأعطاها مهلة تقرب من الستة أشهر لتفكير كل من الجانبين فى تحاشي ما هو أكثر سوءا ، ولا يعرف أى من الجانبين ماذا سيتمخض عن الحرب وعن هذا الرهان البسيط الا هؤلاء الذين يوصلون الاوراق إلى العاصمة الألمانية القديمة .

من الحياد الاوربي انقديم الى الحياد الامريكى الحديث

ان رد الفعل الذى أحدثه خروشوف لا يكفى أبدا كضمان بما هو سيحدث فى المستقبل بعد اذاعة هذا التهديد ، فتقدم الأسلحة الحديثة وقدرتها على التدمير وعدم التأكد من رد فعلها على الدولة نفسها اننى ستستخدمها ومدى قدرة الأسلحة المناوئة لها كل هذا يعتبر دافعا كبيرا لان يجعل كل فرد يتردد مئات المرات قبل استخدام القنبلة الحديثة ، وان الاسباب التى دفعت بالاقطار الاوربية بالامس الى الوقوف موقف المحايد هى : اتساع الهوة بين جسامه الأخطار التى قد تحدث وبين مميزات الحماية المتفق عليها على مر الزمن والتى قد تتغير وتسبب هى الاخرى حيادا أمريكيا حديثا .

وان الدخول فى حرب تستخدم فيها الأسلحة العابرة للقارات سيجمعهم أكثر وأكثر اذا ما كانوا معتقدين تمام الاعتقاد فى حصاتهم التامة ، ولكنهم سيفكرون أكثر وأكثر عند دخولهم مثل تلك الحروب اذا ما اعتقدوا تمام الاعتقاد بما سيجره الحرب عليهم من ويلات فى اللحظات الأولى من اندلاعها والتى قد تأتى على آلاف المساكن وملايين الأرواح . أما اذا كانوا ينظرون الى الأشياء نظرة سطحية فانهم يجب أن يعلموا أنه سيأتى يوم بلا شك وسيكون النافع الأرحل لقوام تلك الحرب هو وصول الشعوب نفسها الى درجة الكمال بفضل نظمها السياسية وان هذا لن يطول ، بل سيكون عن قريب .

وان عدم الكفاية التي بينها في قوة الدفاع الاطنطى تجعل هذه الخطورة أكثر جسامة بشكل ملحوظ يظهر في حالة الاعتداء أو التهديد بالاعتداء على حلفائها (وخصوصا اذا كانت تلك الدولة المعتدى عليها غير مستعدة تماما للدفاع) فانه لن يترك أمام الولايات المتحدة سوى طريق واحد وهو اما الاختيار بين السلبية واما اندخول في حرب عارمة تؤدي الى قتل جزء عظيم من شعبها .

ولقد رأوا حزب المعارضة الديمقراطي قد أدى الى تأثير خطير في ادارة ايزنهاور اذ أنه أنقص القوات التقليدية بشكل ملحوظ وفي نفس الوقت زاد من الاسلحة الانوماتيكية لان هذه الأسلحة تعطيهم القدرة على التحرك بسهولة في ساعة الخطر ولكنها في نفس الوقت ترغمهم في كل مرة على اللعب بالنار على حافة الهاوية ولقد بين تداعي وانهيار النظام العراقي في ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ كم ضعف تأثير تدخل الحلفاء ذلك لتحاشيهم بشتم الوسائل استخدام مثل هذه الاسلحة .

فمنذ وقت طويل ولم يحاول حلف الاطنطى في الدخول في مسألة نزع السلاح التي أثارها المستر خروشوف ، ذلك لانه رأى لزاما عليه أن يدعم ويقوى الأسلحة الدفاعية التي رأى أن حاجتهم اليها تتزايد كل يوم ، ولكن تلك التقوية وذلك التدعيم يقظان عند معينا وقد ظهر ذلك في الحرب الجزائرية وكذلك الى الرفض التام في جعل ألمانيا القوة الرئيسية المسلحة في القارة الأوروبية ، وذلك اعتمادا على جنود الغرب المدربين بطريقة أحسن

مئات المرات عن جنود الشرق ، كما انها تقف على وجه الأخص عند ذلك الامر الاساسى الا وهو الحصول على قيمة عظيمة للمنظم التى يقيمها الحلف وخصوصا سياسة أمريكا التى تسجى الى الحياة الكاملة والتى جعلت منها علما لها .

ثلاثة حلول : غاندى - كينان - آتلى

ماذا تفعل اذن ؟ ان الحل موجود فى فلسفة غاندى وهو وضع كل آمالنا فى عدم استخدام القوة ، وتستطيع كذلك قبل أن ترى مدى اتساع هذه الهوة التى تفصل بين طرق العدو التى وصل اليها وتلك التى وصل اليها معارضون ، أن نرى مبلغ التقدم فى الاستعدادات الحربية التى يقوم بها الحلفاء حتى يجعل الحياة شاقة وصعبة أمام الغزاة ولقد أطرى جورج كينان على هذه الطريقة بقوله : انه من المحتمل أن تكون هذه الطريقة أقل جنونا عن تلك التى يتبعها الآخرون .

ومن ناحية أخرى فانا نجد الحزب الذى اختار جانب انجلترا وهو الذاتية الاستراتيجية (الفردية الاستراتيجية)، ومن المؤكد أن آتلى لن يدخل بلده فى حرب ثانية لانه لا يعتقد فى أن تكون الحرب هى نهاية للصراع كما هو الحال مع البريطانى وكل هذه أن يضطر الولايات المتحدة الى إعادة فتح الباب الذى قفله قانون ماكماهون فى وجه الحلفاء فى وقت الحرب ليمنعهم من

الوصول الى الاسرار الذرية وبالرغم من هذا فقد وجدت بريطانيا في امتلاكها للأسلحة الذرية ضمانا لبقائها في حالة أى تهديد سوفيتي ، وبذلك يمكنها أن ترد الصاع صاعين في حالة أى اعتداء كما انها ستكف عن أن تكون حليفا مترددا .

ولكى تصبح انجلترا في هذا المركز دفعت ملايين الجنيهات الاسترلينية وانقصت من مساعدتها في المعدات الأرضية للحلف الاطلنطي الى الحد الأدنى وتخلت عن تأثيرها التقليدي على القطاعات المتعددة من العالم ، ولكنها حصلت على نتائج باهرة بعد ذلك . فلقد توصلت الى صنع بعض القنابل الذرية والهيدروجينية ووضعتها على استعداد تام لاطلاقها الى الأهداف السوفيتية ، ذلك لأنها ترضى لنفسها فقط أن يكون تحت يدها مائتا صاروخ أسرع من الصوت من طراز «ف» بل انها توصلت الى عقد معاهدة مع الولايات المتحدة في ربيع سنة ١٩٥٨ يقضى بإقامة أربع قواعد لاطلاق الصواريخ الذرية ذات اشعاع يبلغ في مقداره قوة «ثور» على أن يكون منها ثلاثة تحت أمرة العالم البريطاني . وقد نص الاتفاق على أن تبقى الرؤوس الذرية لهذه الصواريخ ملكا للولايات المتحدة ، أما استخدامها فيخضع لاتفاق الحكومتين .

ولكن انجلترا تعمل جهدها لاتنتاج هذا النوع من الأسلحة ولذلك عدلوا قانون مكماهون بما يسمح لها باستخدام خبرة الولايات المتحدة في هذا الميدان واخيرا وضع «مكتب شئون

الحرب، الدراسات الخاصة بآلة تصنيع مادة حارقة تضرب على مدى ٣٠٠٠ كم وستظهر هذه الآلة في عالم الوجود سنة ١٩٦٣ ذلك لو ابتدأوا في انتاجها بالطريقة التي يتوقعونها في سنة ١٩٦٠ ولكن يمكن هذا السلاح أن يبلغ ٦٠٠ مليار وذلك فان الحكومة مازالت مترددة في اصدار الاوامر لتصنيعه ويعتقد سلاح البحرية انه سيكون في اصدار الاوامر لتصنيعه ويعتقد سلاح البحرية انه سيكون استخدام هذا السلاح أكثر اقتصادا لو قذف من على غواصة ذرية

توسيع النادي الذري

ويقرر القائمون بهذا العمل الضيخم بأنهم سيسيرون فيه في حالة ما إذا كان حدوث ذلك في استطاعتهم ، ومما لاشك فيه فان بعض الناس يتساءلون اذا كان من العقل في شيء القيام بهذا المشروع المتوقع انتكاسه ، لان احدا لم يواجه هذه المشكلة باهتمام وعما اذا كان في الامكان أن يغفل النتائج التي يعمل على الحصول عليها ، ومن أجل الانتقام فاننا نجد أننا في حاجة الى النظر الى قوة جماعية أخرى تمثل قبضة قوية أخرى حتى تتمكن من الحكم على مجهودات الدول الأخرى التي لا تعتبر أعضاء في هذا النادي ولكنها تشترك في هذا الميدان الذري ويعتقد جميع القادة في الرأي القائل بأنه لو خاطرت الولايات المتحدة ولم تحرك ساكنا اذا ما هدد الخطر أي دولة من دول أوروبا فان مصالح بريطانيا العظمى والقارة الأوروبية أجمع ستصبح منذ ذلك الوقت في عراك مستمر ذلك لان الهدوء الذي يهدد بريطانيا مثلاً فانه لن يكون تهديداً ضد أمريكا

فى الوقت نفسه • واذا ما أخذنا فى اعتبارنا الثمن الذى دفعوه
حتى يصبحوا قوة ذرية ، والعشر سنوات التى قضوها مقدما لكى
يتسبحوا قوة ذرية ، والمقدرة المحدودة لشركائهم الأوروبيين ،
واتنا نحكم عليهم بأنهم لم يستفيدوا شيئا لانهم تكلفوا مبالغ باهظة
ولا تدل بالمرّة على العقل لاتباعهم خطوات الدول الأخرى ، أضف
الى ذلك أننا قد أخذنا وقتا طويلا فى اثناء هذه الحكومات عن عزمها
وقد رأينا المسيو ميشيل ديبريه وهو يتحدث عن هذه النقطة اثناء
زيارته للندن فى ابريل سنة ١٩٥٧ بلغة أكثر صراحة عن تلك
التي تحدث بها المسيو فليكس جايار وفى الوقت الذى كان فيه
المستر ماكميلان فى زيارة باريس فى نهاية سنة ١٩٤٧ ومن المفهوم
أن انجلترا قد أعطتنا ضمانا لمساعدتنا فى الناحية الذرية طبقا لمعاهدة
باريس المنعقدة سنة ١٩٥٤ والتي تقيد بريطانيا أكثر من الولايات
المتحدة •

ولكننى أظن أن هذا الكلام ليس له أى فائدة ذلك لان
البريطانيين رفضوا اقرار الجنرال ديغول على مشروع منح دولتهم
بعضا من الاسلحة الذرية •

الاسباب التى يعتمد عليها الجنرال ديغول

لقد قيل أن الأسباب التى دعت رئيس الجمهورية الى اعطاء
فرنسا حق انتاج الاسلحة الذرية كانت كثيرة ومعقدة ، اذن فليس
السبب فقط هو اقتناعه بأن هذه الفرصة الوحيدة حتى يسمع صوته

في مؤتمر الاقطاب ، ولكنه رأى كذلك طريقة مثلى في تحرير جيشه من عقد النقص والضعف والجمود التي تولدت كنتيجة حتمية لتصفية الامبراطورية ، واعادة الثقة الى دولته حتى تقف على رجلها في هذا العصر . ولذلك فالقبلة الذرية تعتبر بالنسبة لهما هي العامل الوحيد على بقائها ، وبدونها فان الحلقات التي تربط بينها تعتبر صعبة وهشة ، لانها ترى أن وحدتها السياسية الجغرافية لا يمكنها البقاء الا اذا وجد السلاح الذي تدافع به عنها .

ومهما تكن قيمة هذه الدوافع التي تدور حول المقدرة مثبت تدور حول الدفاع والمعارضة فانا نرى أن السبب الرئيسي هو ضمان الأمن والسلام القومي ، فهل من الممكن أن يعتمد الانسان على قوة الدولية والقومية لن تبدو في أي زمن آخر أكثر تضحية من زمننا هذا الذي ضحى فيه أحسن أصدقائنا من أجل أوطانهم ولكن بالرغم من كل هذا الاخلاص الذي نلاقه من جانب القادة في لندن الذين يؤكدون أن مصير الجزيرة مربوط بمصير القارة الاوربية في حالة أي اعتداء سوفيتي الا أنه ليس أمامهم الا حلا وهو الاختيار بين الانتحار وبين تأجيل «تحرركات» المملكة المتحدة ، وفي استطاعتهم أن يتصوروا ذلك وخصوصا اذا مارس الخصم ضغطه في الظروف المماثلة التي ستحتفظ فيها الضحية بإمكانية توقيع معاهدة

شريفة والتي لن يمحي فيها كلية وجه ضماناتها ، وفي هذه الحالة سيصبح اسم ميونيخ رمزا يمكن اعادته ثانية .

وهذه هي الاحداث التى يتعشرون فيها ، أما تلك الاحداث التى تهم فرنسا فهى بسيطة جدا بل ومشجعة الى حد ما ، لانها تركت انجلترا بشوط بعيد ربما يقرب عشر سنوات من التقدم لانها بعد فترة من الوقت ستستطيع أن تفجر قنبلة ذرية تتعدى قوتها تلك القنبلة التى ألقيت على هيروشيما وسيكون ذلك ان شاء الله فى الأشهر الاولى من سنة ١٩٦٠ ، كما سيسمح لنا البلاتينيوم الذى تنتجه بكميات وفيرة بصنع قنابل أخرى من نفس النوع ويتطلب انتاج الاسلحة النووية على حد ظنى ما يقرب من ثلاث أو أربع سنوات .

والمشكلة الرئيسية هى مشكلة آلة القذف ذلك لان فرنسا ليس عندها القدرة الحربية على قذف سلاح ذرى بقاذفة موجهة ، وقال الرئيس ديغول فى تقرير له أن القنبلة الذرية الفرنسية مازالت ثقيلة وتعوقها العوائق ولذلك وجب انقاص وزنها الى حد كبير حتى يمكن استخدامها .

ولقد وضع الفنيون لانفسهم مياعدا حتى يمكن بعده استخدام القنبلة الفرنسية ذلك لان الميراج ، الذرية التى تعتبر هيكلها معتدلا بلطائرة التى انتجناها سنة ١٩٥٣ لن يمكن انتاجها قبل عام ١٩٦٣ . ولكن اذا لم يفعلوا ذلك فان هذا سيكلفهم ٢٥٠ مليار فرنك كحل مؤقت فقط . ولقد رأينا فى الحقيقة أن الطائرات التى يقودها طيارون سيبتل استخدامها قريبا كان ذلك أو بعد مضي فترة من الوقت .

والآن يجرى الفنيون دراستهم على صاروخ متوسط الحجم حمولة ٣٠٠٠ كجم وهو من نوع الصواريخ الموجهة ، كما تكونت شركة ضمت المصانع الاساسية للملاحاة الجوية وكلفت بصنع هذا الصاروخ .

ولكن الحكومة الفرنسية مازالت مترددة في قذف صاروخ فرنسي صميم لثلاثة أسباب وهى :

١ - ثمن العملية المرتفع ورقمه الضخم جدا ، ولكن يكفى ان تذكر ان تحقيق انتاج الصاروخ الانجليزى قد يكلف بريطانيا اذا ماقررت صنعه مايقرب من ٦٠٠ مليار .

٢ - تأخر المعرفة الفنية فى فرنسا ، فما زالت أماننا مشكلة صنع الكاربوراثير ، لاتنا مضطرون الى صنع رءوس ذرية صغيرة جدا حتى يمكن تكييفها مع الآلات بحيث أن تكون أصغر من تلك التى صنعتها انجلترا بالرغم من مساعدة الأمريكين لهم .

٣ - كما لا يخضع وجه الاختلاف فى الشحنات النووية لقانون ماكماهون ، وعلى ذلك فانه من الممكن انتاج صاروخ أمريكى من نفس نوع الصاروخ الانجليزى كما هو الحال فى انتاج الصاروخ المضاد الجوى «هوك» ولكن واشنجتون على ما يبدو لاتقبل انتاج هذا الصاروخ الا فى اطار اوروبى .

ومن ثم ظهر أن المشروع مشروع محطم ومعرض للربح

أو الحسارة وإن المجازفة التي كنا نتوقع وجودها أخذ وقوعها
يبعد يوما بعد يوم . إن امتلاك الأسلحة الحديثة سيكفل للأمة
الفرنسية التصميم والعزم على الدفاع عن نفسها ، بكل ثمن ،
وإن صغر مساحة الأراضي الوطنية التي يمكن غزوها في بضعة
دقائق تخلق لنا صعوبة سريعة وتدفعنا نحو الذلة والاستكانة .

وأخيرا يجب أن نأخذ في حسابنا الجو الحديث الذي خلقه
الاتفاق المنعقد بين الأقطاب الثلاثة الذي يقضي بإيقاف التجارب
الذرية . لأن تفجير فرنسا لقبيلتها في الصحراء قد جند الرأي العام
الأفريقي ضدها وفعلا قامت دعاية ضخمة ضدها لأن هذه الشعوب
وحدت نفسها مهددة بخطر الإشعاعات الذرية .

وسواء أخذوا في حساباتهم أم لم يأخذوا هذه الاعتراضات
انفوية ، فإن فرنسا بعيدة كل البعد في أن تمتلك بمفردها الطرق
التي تعطيها القدرة على استعمال سلاح ذري بمفردها ، وهذا يضع
بلدنا في موقف أقل اعتمادا عن ذلك الذي تتمتع به الولايات المتحدة
ولكنه من المستحيل علينا أن نستغنى عن مساعدتهم .

ولم يبق الكونجرس أي دلالة على ما يجب الاستعداد به في
حالة تحريم الاتصالات الخاصة بدراسة الاسرار النووية ، وحاول
الرئيس ايزنهاور والمستردالاس عبثا أن يبرهننا على أنه من الحماسة
أن يرفض إعطاء الحلفاء معلومات ذات قيمة بالغة الأهمية وموضوعة
تحت أيدي الأعداء ، وحاولت الصناعة الأمريكية الخاصة دون طائل

أن تبين الصعوبة التي تخلقها سياسة السرية والتكتم والتي أصبحت تعوق التقدم وعبئا حاول الخبراء الأمريكيون الذين اجتمعوا في مؤتمر جنيف سنة ١٩٥٧ أن يبرهنوا على أن الروس يقومون باتصالات رسمية عن مسائل تعتبر بالنسبة للولايات المتحدة قد ذهبت في زوايا النسيان ، وبمعنى آخر أنها أصبحت معروفة بالنسبة لعدد كبير ، ولقد تحفظ رجال الكونجرس في كلا الكتلتين على جميع المعلومات التي يعتبرونها نواة القوة في أوطانهم .

ولم تستفد بريطانيا بأي مزايا ذلك لأنها متقدمة جدا في الناحية الفنية ، أما فرنسا فهي في موقف سيء جدا ، وذلك لتأخر إنتاجها كما أنها لا تحصل على كل ما يطلبه لأنه منذ حرب السويس أصبح البرلمان الأمريكي في شك مما تستطيع فعله بقنابله ووعده بتقديم خدماته لحفظ الأمن لها ضد الشيوعيين ، وإن كل ما استطاعت حكوماتنا الحصول عليه لم يكن سوى معلومات عن الغواصات الذرية التي بدونها لكننا في حالة سيئة حقا .

وبدا لنا في وقت من الاوقات أن حكومة ميشيل ديبريه كانت تراول تأثيرها على واشنطنجنون للحصول على أسرارها الشهيرة وكان أول تأثيرها في صورة تهديد ، ولكنها سرعيا ما ألقت تلك السياسة جانبا ذلك لأنها فهمت انها تخلق بذلك مشكلة لا يمكن التغلب عليها في حالة حدوثها كانت ادارتها ستكون غير قادرة على القيام بعمل شيء ، وحتى الجنرال ديغول نفسه لم يحاول إثارة تلك

المسألة حينما زاره الرئيس ايزنهاور في باريس في شهر سبتمبر
سنة ١٩٥٩ •

ولقد كان الاتفاق الانجلو سوفيتي الأمريكي الخاص بوقف
التجارب الذرية من الاسباب التي أدت الى جعل المشكلة أكثر تعقيدا
وان مشروع المعاهدة المنعقدة في جنيف يضم في الحقيقة مادة تلزم
الموقعين عليها بالتوقف عن «اثارة أو تشجيع تحقيق أى انفجار
تجريبي للأسلحة النووية أو الاشتراك فيه بأي طريقة كانت، ولقد
أدخلت الدول ذلك بناء على طلب المبعوث السوفيتي ، وطلب منهم
العمل على توقف البلدان التي تتمتع بالقوى النووية عن مساعدة
البلدان الاخرى وأول تلك البلدان هي ألمانيا ويليها الصين •

حقا ان هذا يدعم الاحتمال النظري الذي يقول أن الولايات
المتحدة قد أعطت لفرنسا تعليمات كاملة عن عملية التصنيع وقيامها
بعد ذلك ببيع الأسلحة بنفسها ومن ثم فاننا سنستطيع بناء السلاح
الضروري وان كنا غير متأكدين عما اذا كنا سنتوازن في القوة مع
«أبسط العقبات» وتكون بلدنا على استعداد تبعا لمبدأ الجنرال جالوا
على احداث تدمير يتعدى مدى اتساعها الفائدة التي ستعود على المعتدى
عند ابتلاعه لقارة أوروبا بالقوة •

ومنذ زمن طويل بمجرد أن امتلأ الكونجرس بروح كتلك
التي تسيطر عليه في الوقت الحاضر كان عنده وجهة نظر بعيدة.

الحدوث الى حد بعيد ، اذ كان يرى أن التنمية التي ستأتي بها التجربة هي :

(ا) ان بلدنا لا يمكن أن تعتمد اعتمادا كليا على أى قطر من الدول العظمى الغربية المنتجة للأسلحة الذرية .

(ب) ولن تستطيع بمفردها أن تؤدي الى فشل أى اعتداء قبل مرور مدة طويلة كما انها لن تستطيع أن تخلق موقفا معينا يجبر حلفاءها على التدخل .

هل سينتجون قنبلة ذرية ؟

ماهى الدلالات التي يمكن أن نأخذها من معايتنا لهذا الموقف المزدوج ذلك ان لم يكن فى استطاعة فرنسا حل المشكلة بمفردها وانها تتطلب حلها ان تفحص فى مجال أكبر من ذلك ؟ وهل معنى ذلك ان تفحص فى اطار اوروبى ؟ وهذه هى الخلاصة التي وصلت اليها معظم الدول التي تتعامل على هذه المشكلة الرئيسية دون أدنى عطف عليها . فبغض النظر عن جميع الاعتبارات المالية والفنية فانهم يعرفون فى الحقيقة لو ان فرنسا دخلت بدورها فى النادي الذرى وكان بالرغم من تأخرها وبالرغم مما ستدفعه من ثمن ، فانها ستقود الدول الاوربية الاخرى خلفها قريبا كان ذلك أو بعيدا وعلى رأسها جمهورية ألمانيا الفيدرالية التي ستشارك فى هذا المجال .

واننا اذا فرنا الموقف يعقل رزين فاننا سنرى أن الخطر الذي سينشأ من اعادة وضع الاسلحة الذرية لا يبلغ خطورته نفس الخطر الذي تسببه لنا الذكرى بمسئولية ألمانيا عن الحرب الماضية . كان المستر خروشف صائباً حينما أُنذر القادة في بون من أى التجاء من جانبهم نحو استخدام الأسلحة الذرية فإنه سيؤدي في الساعة التالية مباشرة الى القضاء التام بلبلهم . فمنذ اللحظة التي تصبح فيها الاسلحة النووية غير قادرة على القضاء المبرم في ضربة واحدة جميع الاسلحة المضادة فإنه سيكون من الواضح انها لن تصبح أسلحة هجومية بل دفاعية مهما بلغ تأثيرها وهذا هو السبب الاساسى الذى يحدد تردد الولايات المتحدة أولاً بأول في تدخلها في حالة الخطر الى جانب الدول الديمقراطية الاوروبية ، ذلك لان تلك الدول ستطالب بحقها في انتاج أو شراء أسلحة تمكنها من الدفاع عن نفسها .

وعلى هذا فاننا لو رأينا بون تحت ادارة لا يهمننا من أمرها شيء أصبحت تستخدم أسلحة من هذا النوع حتى تقلل من تأثير الحرب النووية وتضعفها للغاية حتى تصبح لاشيء فان ملكيتها لهذه الاسلحة ستطبع في سياستها طابعاً أكثر قومية وأكثر ذاتية وستصبح في جميع الاحوال باعثة للخوف في قلوب جيرانها التي تبعته الكرملين الآن ، وان كانت لن ترتكب خطأ في استخدامها .

ان القنبلة الاوربية المصنوعة في اراض بعيدة كل البعد عن قواعد العدو الهجومية ومن ثم فانها لن تكون على أرض ألمانية ..

وموضوعة تحت اشراف جميع الدول التي يهمها الأمر ، ستكون بدون شك عملا له مميزاته • كما ان نفقتها ستقسم على دول متعددة لو قامت احداها بمفردها بها كان ذلك سببا في تحطيم ماليتها كلفة وسيؤدي هذا العمل الى القضاء على مطالبة ألمانيا باسترداد حقوقها بالسواة • • كما أنه سيضمن السلم العالمى من هذه الطريقة التي مازال يؤرق بها شبح هتلر العالم ، وسيحصن القارة أيضا من الاخطار التي قد تنشأ من تحول الولايات المتحدة نحو الانعزالية والانانية الاستراتيجية . وسيخلق ذلك عند الشعوب الاوروبية الاعتقاد بأن في مقدرتهم مقاومة أى تهديد سوفيتى ، كما أن لهم الكلمة الاخيرة فى استخدام القنبلة •

الستة أخطاء التي ارتكبتها السبعة

وكل تلك المزايا التي يمكن مناقشتها بسهولة تصطدم بعدة قببات : أولا ثمن العودة ، وثانيا ايقاف ألمانيا من الدخول فى هذا المضمار الذرى ، وثالثا التأخر الذى مازال يعترى الدول الاوروبية والحل الثانى بدون شك ، هو ذلك الحل الذى فكر فيه سلوين لويد وهو : انتاج القنبلة الذرية الاوروبية داخل نطاق السبع دول الاوربية التي خلقت اتفاق باريس ، لان تردد أغلبية أعضاء البرلمان البريطانى فى اتخاذ قرار ، والتنظيمات الانجلواميريكية الخاصة بالاتصالات السرية بالمعلومات الذرية والتي تفرض على لندن التزاما متزمنا للغاية وصل بها فى النهاية الى عقد اتفاق بوقف التجارب الذرية والعمل على اعاققتها .

ولكن ديجول خلق حياة جديدة بأن عقد اتفاقا جديدا بين باريس ولندن وبون وروما يقضى بصناعة القنابل والأسلحة الكلاسيكية ، أما القذائف الهوائية المسماة «هوك» فإنها ستصنع في المستقبل لتحل محل جزء من طيران الصيد القديم . ومن ثم فإننا نجد في الحقيقة أن رأس مال «الشركة الأوروبية للقيادة الموجهة» قد كوته خمس شركات مشتركة وهي «تومسون هوستون» الفرنسية وتليفونكن الألمانية، وفيليس الاراضى الواطئة ، وفينميكانيكالايطالية وورش شارلروا البلجيكية لصناعة الآلات الالكترونية .

ولقد بعثت المفاوضات السوفيتو - أمريكية التى تمت فى خريف سنة ١٩٥٩ بالأمل فى قلب هؤلاء الذين يعتقدون فى امكان وجود نزع سلاح تحت الرقابة . ولكن لو أخفقت تلك المفاوضات فإن أمريكا ستؤمن بالواقع وبالموقف الذى سيلزمها قريبا كان أو بعيدا بالتفكير جديا فى امكانية اعطاء الدول الأوروبية سلاحا للدفاع عن نفسها وسيكون موردها فى ذلك امكانياتها الصناعية ، ورائدها عقلها الذى سيفتح أمامها الطريق ، لأنه لن يبقى أمامها وقت طويل حتى تنزع من هذا الموقف المذل لها وهذا الخطر الذى وجدت نفسها تواجهه وهذا لن يكون الا بالاعتماد أساسا على الدفاع عن نفسها بمحض ارادتها وذلك بأن تدفع بسخاء بعض الدولارات لمساعدتها على الخروج من محتتها ، ولكن من ذا الذى يتردد فى اتخاذ القرارات التى يعتمد عليها مصير .

الفصل الرابع

حلف عالمي

وضعت الكتلة الشرقية التي تمتد من برلين حتى فلاديفوستوك
وشنغهاي .. جميع الامور التي تتعلق باتصالاتها بالعالم الخارجي
في يد سلطة واحدة ، اما الدول صاحبة السيادة الداخلة في حلف
شمال الاطلنطي فهي تعتمد كلية على مبدأ الموافقة بالاجماع ، ولذلك
فانه في مقدور كل عضو من أعضائها إيقاف أي عمل أو أي قرار
اتخذه جميع الاعضاء الآخرين . فقد استطاعت فرنسا إيقاف تسليح
المانيا مدة خمس سنوات كما وقفت النرويج والدانمرك امام
امكانية انضمام اسبانيا كما استطاعت اليونان في سنة ١٩٥٨ إيقاف
الحل الذي افترضه المستر «سباك» بخصوص مشكلة قبرص والذي
وافق عليه المجلس الدائم بالاجماع فيما عدا صوتها فقط ، وذلك
بسبب دفع قضائية وان عدم وجود القوة بين الدول الغربية في
الوصول الى حل نهائي توضح لنا مدى الضعف من وجهة نظر مدى
التأثير والفاعلية . وهذه تضيف مشكلة لا تقل أهمية عن المشاكل
الآخري . وبما ان التهديد الشيوعي يهدد الإنسانية جمعاء ، فان
خط دفاع حلف الاطلنطي لا يغطي الا جزءا من الجسم العظيم الذي

يجب عليه حمايته وهذا بالضبط ما حدث بالنسبة لخط ، ماجيو ،
لان حلف الاطلنطي ليس مكلفا الا - بالدفاع عن امريكا الشمالية
والاراضى الاوروبية لاعضائه المشتركين فيه وكذلك عن الجزائر
ومع ذلك فمجرد أن وقع ماوتسى على نظامه الجديد فقد استطاع
أن يقيمه بسرعة فائقة في الصين ، أما بالنظر الى بعض الاحداث
الآخرى فانتا نجد أن حصار برلين يصور لنا بعض ماستأتى به
الاحداث المختلفة .

نتائج ثلث فسينات

هناك نتائج اشيء تبدو وكأن اوروبا قد نجحت في تغطيتها .
ولكن يبدو ان آباء الحلف الاطلنطي يهملون دائما التهديد الموحد
لهم في مثل وضوح الشمس بالقرارات التي اتخذها لينين سنة
١٩٢١ وهي تلك القرارات التي تتفق واعمال ستالين والتي تشكل
خطرا موجهها ضد الجيش الاوروبى ، وهي القرارات التي أدت -
الى قيام صراع بين الطبقة العاملة في اوروبا والثوار الوطنيين في
آسيا وافريقيا .

ففي سنة ١٩٤٩ استطاعت فرنسا ذات الامبراطورية الواسعة
ان تنجا بأعجوبة بعد الحرب العالمية وهي تمسك بالهند الصينية .
وبعد ان تركت بريطانيا الهند ، بقيت هذه الاخيرة عضوا في
الكومنولث ولذلك بدت بريطانيا وكأنها قد نجحت الى حد كبير في
الاحتفاظ بقضتها على الشرق الادنى في نفس الوقت وخطط القادة

الستالينيين في الاتحاد السوفيتي بين الامور زسبوا ابطال المستعمرات
والزعماء الوطنيين المحليين وادعوا بأنهم لا يرون أمامهم الا خدام
الاستعمار المستترين واذا ملاقرآنا دائرة المعارف السوفيتية لوجدنا
أنها قد كتبت صفحات من التاريخ الانساني عن غاندي ونهرو
وناصر .

وبعد ذلك بعشر سنوات رأينا ان ميزانية الحلف اصبحت في
حالة يرثى لها حقا ، ففي قارة آسيا .. القارة التي يعيش فيها
مئات الملايين من الناس لا يملك فيها الغرب الا مناطق بسيطة تعد
على الاصابع . وكذلك انهار مركز هذه الدول — في معظم بلدان
الشرق الاوسط . وكان مؤتمر باندونج عبارة عن تراض وقتي بين
دول الحياد والشيوعيين • وخطت مبادئ ماركس خطوة العملاق
في اغواء الزنوج الافريقيين وحينما اجتمع ماو وخروشوف في
اغسطس سنة ١٩٥٨ في مدينة بكين قرر أن أمريكا اللاتينية هي
القطاع الرئيسي التي يجب ان توجه اليه مجهوداتهم في المستقبل •

ولا يمكن لحلف الاطلنطي ان يبقى مكتوف الايدي تجاه هذا
التزايد في التهديد على حدودها الذي قد يبتلعها بمرور الوقت .
ومنذ عام ١٩٥٢ تعود النواب على اللف حول الافق الكامل للموقف
الدولي ففي ديسمبر من نفس السنة اتخذ مجلس الوزراء اقرارا
بخصوص الهند الصينية اكدوا فيه ان الحقل الذي تعمل فيه الاتحاد
الفرنسي يحتاج الى دعامة وسند من جانب الحكومات الاطلنطية •
ومن المفهوم ان المجلس الدائم الذي اتخذ بدلا من النواب قرر

الوزراء المشتركون فيه في جلستهم السنويتين بعد استعراضهم لمناطق التهديد السوفيتي من وجهات نظر مختلفة ، قرروا بأن مناطق الدفاع في العالم لا يغطيها الحلف ، وهذا هو ما حدث حينما اثار وزير خارجية تركيا الموقف في الشرق الادنى والاحداث الجارية في آسيا •

فمشكلة السويس التي اوقفها اعضاء الحلف الاطلنطي علانية اسرعت مجرى الاحداث وواضحت البراهين على حماقة الحادث بشكل مشتم . وكل منهم حاول اصلاح هذا الموقف . ومنذ الوقت تحسن الموقف الى حد كبير • ولقد اصبح المجلس الدائم للحلف عضوا فعالا بعد اتخاذه لقرارات مجلس الحكماء ذلك لانه أصبح من المعين على جميع ممثلي الدول المشتركة في الحلف اعطاء رأيهم مرة على الاقل اسبوعيا بخصوص المشاكل العالمية العظيمة .

وتقتصر مراسلات رؤساء حكومات الدول الغربية المشتركة في الحلف مع المستر خروشوف ، أو على تقديمها للمجلس لبحثها ، ولكنها تمتد ايضا الى مناقشة المسائل المتعلقة بأفريقيا الشمالية والشرق الادنى والاقصى ، ويعيب رؤساء الحلف على امريكا اتخاذاها اجراءات بمفردها في لبنان • واجابوا على ذلك بأنهم اعلنوا المجلس منذمة بأنهم علموا منذ عدة اسابيع باستغاثة الرئيس شمعون ولم يكن في استطاعتهم الا ان يأمرؤا قواتهم بالابحار وبالرغم من هذا التقدم في المجلس الا أن عملية الاستشارة مازالت فاقصة الى حد كبير . وترجع عدم الكفاية هذه الى وصولهم الى رأى واحد الا بأعجوبة

ويكررون مرات عديدة انه ماعلى الحلف الاطلنطى الار
يرسل بعثة جماعية لتغطية الجبهة الاوروبية فى الحرب البادرة وأن
صبح هذا الحلف كتلة سياسية واستراتيجية موحدة فى نظر العالم
وتابعة لمقاييسه .

القيادة الأمريكية

فى المناظرة التى اقامها الحلف لم يبد أن هناك أى مشكلة
حقيقية فالولايات المتحدة تمسك فى يديها الاعصاب والاسلحة
المستخدمة فى الحرب ، فيوجد على رأسها رئيس ديناميكى تعتبره
قائدا للحلف المناوىء للسوفييت وتعطيه فى يده جميع الدوافع
والسلطات التى يريدونها دون أى تدقيق من الوجهة القانونية . وان
الخطر المائل امام دول الحلف يجعلهم لايتناقشون حول مسألة سلطة
واشنطن . واشتراك انجلترا فى الحرب الكورية جعلها تنسى أنها
اعترفت بالصين الشعبية .

وانقلب الموقف فى سنة ١٩٥٤ حينما رفض الرئيس ايزنهاور
أن يحقق الحملة التى طالبت فرنسا بشنها لتحرير دين-بيان-فون
وكان المسئول عن هذا القرار هو الحكومات البريطانية التى لم يمكن
أن ترضى بمساندتها .

وكانت النتيجة لذلك هو اتفاق جنيف الذى وقعته دولتان من
دول الحلف - هما فرنسا وبريطانيا بحضور الولايات المتحدة لكن

دور موافقة صريحة منها - ولكن بعد ذلك بشهرين، حينما رفض
الاوروبي الدفاع عنه بواسطة البرلمان الفرنسي كان لطمسة اخرى
للقيادة الأمريكية . ولكن في الاشهر التي تلت ذلك استطاع منديس
فرانس أن يضع البلمس على الجرح . وللأسف واجهت امنيات
الولايات المتحدة ضربة أخرى في نفس الجرح حينما أرسلت فرنسا
متحالفة مع انجلترا حملة على بورسعيد .

اجتماع الثلاثة

وعوضت الكسبة التي واجهتها القيادة الأمريكية باجتماعات
وزراء خارجية كل من فرنسا وبريطانيا وامريكا في الصلح التالي
للحرب . وكانت القرارات التي اتخذت في يوتسدام تعتبر الدول
الثلاث مجتمعة ومعهم الاتحاد السوفيتي مسئولة عن مصير ألمانيا
والنمسا . واتخذ كمادة لهم عقد اجتماع بينهم قبل أن يجتمعوا
بزملائهم السوفيت واستمروا هكذا حتى لم يجدوا سوفيتين بعد ذلك
لمقابلتهم . وفي نفس الوقت ضمن ميثاق الأمم المتحدة للاعضاء الثلاثة
كراس دائمة في جوف مجلس الأمن وهذا هو ما يفسر القرار الذي
اتخذته الدول الثلاث بالاجماع سنة ١٩٥٠ بضمان .. الحالة القائمة
في الشرق الأدنى .

ولم تكن الاسشارات الثلاثية بكافية للقضاء على الصعوبات .
حتى أن أوجه الاختلاف التي كانت قائمة بين بريطانيا وامريكا كانت
في نهاية الوضوح في آسيا ... وحينما قامت فرنسا وانجلترا بحربهما

السيطرة في الشرق الأدنى كانت كثيرا ما تشتكى باريس من عدم استشارتها ولكن بالرغم من هذا فقد رسخ هذا الاتحاد في الناحية الاخلاقية للدول المشتركة فيه . وقد ساءت تلك الاخلاق في المقابلة التي تمت بين الرؤساء على سلم الحكومة في برمودا في ديسمبر سنة ١٩٥٣ وهو الوقت الذي اعترى فيه المرض المستر لانيل المسكين قبل افتتاحه للمؤتمر ولم يشترك اشتراكا فعليا في أى دورة فيه .

واعلنت مشكلة السويس النهاية الفعلية لتلك العادة التي لم يذكر اسمها انه العصر الذي عامل فيه الأمريكيون الوزراء الفرنسيين والانجليز على أنهم وحوش ولكن لم يمض طويلا حتى قرر الرئيس ايزنهاور على وجه السرعة فتح أبوابه ثانية لهم ولكن جون فوستر دالاس مكث وقتا طويلا وهو مصمم على رفضه على الرجوع الى الحلف الثلاثي ثانية . وفي خلال احدى المناقشات العامة التي عقدها أعضاء الحلف الاطلنطي في بريكنكتون اعلن أحد المشتركين بتصميم بالغ على انه لا يمكن بأي حال ان يعود اتحاد الأعضاء الثلاثة .

ولكى يكون الانسان في غاية الدقة والوضوح فيجب أن نذكر ما قاله سكرتير الولايات المتحدة الراحل في احد المؤتمرات الصحفية، اذ قال انه اذا كان لزاما على الانسان ان يحمل السلاح فهو يفضل الا بحملة حينذاك أحد الجنود الفرنسيين .. من ناحية أو من البريطانيين من ناحية أخرى . وكان هذا الاقتراح عبارة عن طريق صدفة عظيمة ولكنه لم يكن ذا هدف يقصد به التجريح ، فهو يعنى أن الولايات المتحدة وجدت انه من الافضل لها في علاقتها مع الدول

الآخري بأن لاتسمح لنفسها بالاتفاق معهم على الاستعمار لان هذا سيعرضها بلا شك للتضحية •

وتظاهر الأمريكيون في مدة تزيد على العام بأنهم لايقابلون الانجليز بدون وجودالفرنسيين كماأنهم لايقابلونالفرنسيين بدون وجود الانجليز • وبذلك اصبح جيدا جدا ارتكاب اى خطأ وتحطيم هذا المبدأ . ولكن حينما انعقد اجتماع وزراء خارجيةحلف جنوب شرق آسيا في ربيع ١٩٥٨ ناقش المستر دالاس الشؤون الخاصة بشمال افريقيا مع المستر سلوين لويد والمستر بينو • وكان هذا هو كل شيء في ذلك الوقت حتى يأخذوا رأى المستر ديغول فيما ناقشوه •

الادارة الانجلو ساكسونية

ولكن اذا كانت فرنسا غير قادرة على اعادة تكوين موقفها العالمى بسبب تمرغها في وحل افريقيا الشمالية . وبسبب قلق حكوماتها وفقرها • فلم يكن من الواجب على انجلترا ان تسحب قواتها الحربية العظيمة التى وضعتها منذ اثني عشر عاما في موقع اختارته لها الولايات المتحدة . فالانجلو ساكسون هم فقط الذين يستطيعون وضع الاسلحة الاوتوماتيكية والذرية التى تعتبر سلاح الهجوم بالنسبة لحلف الاطلنطى . وقد فوض لها الامر بالاشراف على قيادتين أساسيتين هما القيادة الجوية الاستراتيجية الأمريكية وقيادة قاذفات القنابل الانجليزية وهاتان القيادتان يعتمد عليهما الحلف الاطلنطى كله . وليس أمام تلك القوتين الا الامر بالانطلاق ،

لأنه لا يمكن اعتمادها في ساعة الصفر على اتخاذ قرار اجماعي من
الخمس عشرة دولة المشتركة في الحلف . لأنه يجب أن يحدث
هذا قبل وقوع ما هو أسوأ ، لأن خسارة أي وقت ستؤدي
الى مصيبة كبرى . ولأنه لن يوافق أي انسان على أن يهدم
مصير العالم الحر كلية من اجل تردد دولة واحدة . ولذلك فقد وافق
الحلف مرة واحدة والى الابد على الالتجاء الى الاسلحة الذرية
والهيدروجينية في حالة الضرورة . وهم يقولون عن واشنطن
ولندن انهما لن يستخدما هذا الحق الا بعقل رزين ومعرفة كاملة
ومن هنا جاءت فكرة ان السلم العالمي يعتمد الى حد كبير على
حسن نية الادارة الانجلو ساكسونية . وهذه الادارة التي نحن
بصددها بعيدة كل البعد عن أن تأخذ شكلا فعالا او شيئا بالاجبار .
وكثيرا ما رأينا اتخاذ مجلس الامة الامريكي يتخذ قراراته دون ان
يتعب نفسه ويستشير القيادة في لندن وهذا هو ما حدث بالفعل حينما
وقعت ازمة العراق . اما الانجليز فانهم مختلفون في الرأي على كبر
من النقط مع الامريكيين تلك النقط المتعلقة بالشئون الخارجية عن
نطاق حلف الاطلنطي وخصوصا في آسيا ذلك لانهم يحاولون التدخل
المطلق في مسؤولياتهم هناك في جميع الاحوال .

وفي هذه الاثناء حاول الرؤساء في لندن جاهدين أن يجعلوا
ميزة للدول المتحالفة التي تتكلم الانجليزية وهذا بالطبع يرجع الى
الشعور القومي وهو سبب وجيه جدا . وحاول تشرشل أن يعيد
تنظيم الهيئة الرئيسية المكونة من الانجليز والامريكيين في وقت

انسلم تلك اللجنة التي قادت معسكر الحرية الى النصر في سنة ١٩٤٥ ولكنه كان يحاول عبثا . لان الوقت قد تغير ولاستطيع انجلترا اليوم الا أن تكون دولة من الدرجة الثانية .

ولا يبقى أمامنا الا خطأ واحد في هذه القيادة وهو كامن بين الامريكين والبريطانيين انفسهم وهو تأكيد بريطانيا لامريكا عدم استخدامهما للأسلحة النووية الا بعد اتخاذ رأي مشترك . وهذه القاعدة غير المكتوبة تنجست قبل كل شيء على أساس أحداث عدة . وهو ان الدور الوقتي الذي تلعبه بريطانيا في الدفاع العام يرجع الى وجود قواعد القيادة الاستراتيجية الجوية على اراضيها وكذلك قيادة الحرب الاطلنطية مثل قواعد قذف الصاروخ ثور ، وقاذفات القنابل التي تزيد على المائتين والقنابل الذرية والهيدروجينية التي تمتلكها .

فانجلترا هي دولة مثل كل الدول التي قبلت وجود اسلحة نووية امريكية على ارضها ولذلك فيمكن تطبيق قاعدة « النار المزدوج عليها » وهذا يعني انها لاستطيع استخدام هذه الاسلحة دون موافقة الولايات المتحدة والدول التي يهمها الامر وهذه القاعدة تنطبق فقط على القواعد الموجودة في أرض قومية . فإيطاليا لن تستطيع إيقاف الحرب اذا ما عارضت استخدام الصاروخ جوييتير الموضوع في أراضيها ومن المحتمل ايضا انها لن تستطيع منع تحطيم قواعدها كعمل وقائي ضد العدو . اما الحالة في انجلترا فهي تختلف كل الاختلاف لان مشاركتها لامريكا شيء له أهميته وبدونها لن تستطيع أمريكا أن

ترمى بقذائفها في المستقبل دون الالتجاء الى الاسلحة التي تملكها
بريطانيا والموجودة على اراضيها .

المسيو جايار يطالب بحقوقه

ولم يتخل أى فرنسى عن منصبه خلال تلك الاحداث وقوى
مركز المسيو جايار بشكل ملحوظ منذ زيارة المستر ماكميلان لباريس
في الخامس والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٧ بان حصل منه على
تصريح يقضى وجود قيادة انجلو ساكسونية . وقد كان هذا في
الحقيقة عصر توزيع الاسلحة في تونس الذي عهد فيه للانجليز
بالمشاركة فيه ، مفترضين حينذاك رأيا آثار الفرنسيين وهو التدخل
الاجنبى الذي ينصب على استطاعة لندن وواشنطن وضع حل في
المستقبل خاص بالمشكلة الجزائرية .

وحاول رئيس وزراء بريطانيا ان يهدىء الحالة سرا ، اما علانية
فقد كانت المشكلة صعبة بالنسبة له فليست فرنسا هي البلد الوحيد
التي تجد فيها ، روح القلق الدائم وهي دائمة الاستعداد لافشائها
والتعبير عنها عند مقابلتها لاعمال أو اقتراحات حكومات لا تقبل
هي نفسها الموافقة عليها . فهي تصمم دائما على مبادئ « روح
المساورة » بين الدول المكونة لمبادئ هذا الحلف .

الجزائر

ان ذلك الذى يشغل بال المسيو جايار ويقابله مثيله بالنسبة
للزعماء الآخرين ولم يصبح من المتعسر ان يحصل على حكم بادانة كل

ماهو متعلق بالادارة الانجلو سكسونية وخصوصا بعد اجتماع مؤتمر
الاقطاب .

ولم يكن اكثر فرحا حينما دافع بحيوية عظيمة عن ايجاد
« حلف عالمي » ولكن يجب ان تعلم ان المعتبرات التي كانت ترسم على
شفتيه كان لها معنى خاص . فقد اعاد الى الازهان انه لايمكن ان
يتحالف هنا دون ان يكون في نفس الوقت وفي كل وقت وفي كل
مكان هو آخر رئيس لمجلس الجمهورية الرابعة ذات الالوان
الخلافة .. والذي لايرضى بأى سند أو تدخل في سياسة فرنسا في
شمال افريقيا .

وكان القانون في جانبه . فيمثاق حلف الاطلنطي قال في
الحقيقة « ان الاملاك الفرنسية في الجزائر تدخل ضمن الاراضى
التي يدافع عنها الحلف ، من أين تفهم اذن أن ذلك الحلف الذى عبر
عن مساندته وتضامنه الكامل لفرنسا خلال حربها في الهند الصينية
لم يشر ابدا في اجتماعاته الى ذلك الذى يحدث في المغرب .

وان رفض حكوماتنا المتتالي لوضع هذه المسألة موضع البحث
أمام دول الحلف تحت مبدأ ان هذا الموضوع لا يخص الا فرنسا
نفسها ، ما هو الا هدف ترمى اليه من وراء هذا الضمت ، ولكن تلك
الحكومات نفسها قد تتخذ موقفا مختلفا بعض الشيء اذا لم تشعر بهذا
التحفظ الذى يلزمه كثير من حلفائنا . ومن هذا تفهم أن مصلحة
الدول الغربية هو في اعاقها للاستعمار السوفيتى وتقويت فرصة

استغلاله للدول الواقعة على المحيط الآخر ولمشاعرهم المضادة للاستعمار . ففي فيتنام كان عدونا شيوعيا . وفي الجزائر اخفقت الدعاية الرسمية في اقناع الامريكيين بان جبهة التحرير كانت في ابدى الكرملين . وينصب خوف حلفائنا من ان الاستمرار في حرب مزمنة لا نهاية لها سيدفع بزعماء هذه الثورة الى الدخول في نطاق التأثير السوفييتي . وهذا يبدو بالنسبة لهم هو السبب الذي يلزمنا بمناقشة المسألة معهم .

وبكل تأكيد فان قاذو الجمهورية الرابعة يسوا بحاجة الى الجدل وبعد ان حصلت تونس على حكمها الذاتي وحصلت بعد ذلك على استقلالها هي ومراكش اقتنعت الولايات المتحدة بأهدافهم التي ترمي الى الحرية وحينذاك عبر المسيو ديبلون سفير الولايات المتحدة في باريس حينذاك في احدى تصريحاته الشهيرة مشاركة واشنجتون الوجدانية لمجهودات فرنسا نحو حل مشكلة الجزائر بروح ملؤها التحرر . وتكلم المستر جلادوين جيب ممثل الحكومة البريطانية حينذاك بلغة اكثر وضوحا وسلاسة من زميله الامريكي ولم تعارض منظمة حلف الاطلنطي من جهتها في المحافظة على التقسيمات القائمة في شمال افريقيا بالرغم من تعارضها بشدة مع الناحية الدفاعية لحلف الاطلنطي وهؤلاء الاشخاص الذين يعيشون في داخل تلك التقسيمات كثيرا ما وعدهم وزراؤنا باعادتهم الى اوطانهم . وقد ادخلت المصروفات التي انفقت على الحرب في داخل هذه التقسيمات ضمن ميزانية فرنسا الدفاعية .

وتعتبر هذه العمشة غير مرصية في نظر كثير من الفرنسيين ،
والصحافة الامريكية لاتخفي موقفها المعادي بالنسبة لسياستنا في
الجزائر ، واطهرت الولايات المتحدة الامريكية اهمية قصوى نحو
المسائل المتعلقة بمراكش وتونس ويراودهم الامل في أن يحلوا مكاننا
كما فعلوا في فيتنام . وكانوا يستعدون الى نشر غازات في الناحية
الاحرى من المحيط الاطلنطي باقامة علاقات مع جبهة التحرير
الجزائرية ، ولكن اجتاحتهم الفزع حينما رأوا في مواجهتهم عملاء
هؤلاء الذين اقاموا سدا أمامهم في أحد شوارع نيويورك أو في
المانيا . ولقد بدت بعثة المسر مورفي الخاصة بمسألة ساقية سيدي بن
يوسف بالنسبة لكثير من مواطنينا كبداية لوضع نهاية للتوسط في
الحرب الجزائرية .

فمنذ مشكلة السويس ويعانى الامريكيون من الصحافة الميينة
وما زال .. الفرنسيون يعتقدون أنه لولا تدخل الامريكيين الذي
ليس في محله لكان امكنهم القضاء على ناصر الذي سيكون من السهل
عليه نشر العروبة العالمية بمساعدة أصوات الثوار الجزائريين وأبطالهم
ومنذ التوقيع على معاهدة حلف الاطلنطي التي سمحت للدول المشتركة
في أن تنتقد الى حد ما ما يجب ان يتجه اليه الحلف طبقا للسياسة
الامريكية التي تشك في دول الحياد وفي الدول المحبة للشيوعية .
ومنذ عام ١٩٥٦ - يتجه المتعصبون الارثوذكس نحو مهاجمة السياسة
الامريكية دون أى اعتبار لهؤلاء الذين يحمون وقيمون اساسها هؤلاء
الاشخاص الذين اتهموا بالتنازل والتخاذل امام تهديد القادة العرب

فمن أين فكرة ان الولايات المتحدة قد قدمت صداقتها لفرنسا في تلك اللحظة اذا عرفنا انها كانت اكبر صداقة بالنسبة لهم وان كانت الأكثر سخاء... بالنسبة لنا وفي الحقيقة فان فرنسا تشعر بمدى الخطر الذي يهددها من الشرق تحت نداء المساعدة ضد الاستعمار وهذا هو ما حدث فعلا في مؤتمر باندونج الذي أكد هذا المبدأ .

ولم يكن دور الحكومة الامريكية بضئيل بدخوله في تكوين الرأي العام وقيادته ذلك الرأي الذي ادى الى سقوط حكومة جايار . ولا يخفى على أحد حكم الجنرال دييجول الصارم على سياسة الولايات المتحدة التي لام عليها كثيرا موقفها من رؤساء الحكومة الراحلة .

ماذا حدث وماذا اصبح في استطاعة هؤلاء الحلفاء العظماء الذين وقعوا على تكوين (حلف جميل ولطيف) في موسكو في ديسمبر سنة ١٩٤٤ ذلك الحلف الذي اوحى الى تشرشل بأن يهذى هذيانه الشهير الذي يقول فيه « من كل العائائد التي احملها بين صدري اقدم لكم اعمقها الاوهى مشكلة اللورية » ؟ وبالطبع دارت بعد ذلك مناقشات عامة كافية من جانب السفير السوفيتي خلال شتاء عامي ١٩٥٧ - ٥٨ اوقف بعدها مناقشة هذه المسألة التي كان يراودهم فيها الامل تارة واليأس والقلق تارة أخرى . واتقد كان رئيس المجلس الجديد في قراره الوزاري حكيما جدا في خصوص هذا الموضوع لانه كان يقتنع بضرورة الاخلاص لحلف الاطلنطي . « بدون حدود »

وكان هذا القرار واضحا جدا ولكنه في نفس الوقت غامض جدا وذلك لعدم وجود أى تعليق رسمى عليه .

ولكن بعد مضي وقت طويل علمنا من مصدر مسئول ماذا يعنى هذا الخطاب فقالت الجمهورية الرابعة وهى التى تتبع الجنرال بأنه يعنى بكلمة حدود أوروبا بالذات وهذا هو ما تشير إليه سياسته التى ترمى إلى التماسك أما العهد الجديد فانه يصمم على اهتمام الدولة بالعالم ككل أى بشعورها بتحمل المسؤولية ومايجرى من حوادث على أراضي القارات كلها وعلى مياه المحيطات جميعا .

وبمجرد أن حط ذلك الشخص رحاله فى فندق «ماتيون» فى الثامن عشر من يونيو حتى زاره المستر ماكيلان وتلاه بعد ذلك المستر فوستر دالاس ، وكان غرض الاول والثانى هو السؤال عن حالته النفسية ولكى يخدموا شعورا نائرا فيه لا يعرفون أين سيوجهه ، ألم يحدثهم ذلك الشخص فى بعض الاماكن انه ينوى السفر الى موسكو أما من جهة نواياه ومقاصده فتؤكد الشخصيتان الكبيرتان اللتان يعتبران دعامتى الحكومة البريطانية ، تؤكدان بان محدثهما لم يكن أقل إخلاصا فى مبادئه الخاصة بحلف شمال الاطلسي .

وقد انتهز رئيس الحكومة هذه الفرصة التى اتاحت له الاتصال بزعماء أكبر بلدين غربيين ، بأن وضع خطا عريضا تجت المتناقضات . وأوجه الاختلاف الموجودة بين الشخصية العالمية للضغط السوفيتي والطبيعة الجزئية للدفاع الاطلسي ، واسترجع ذكرى سلفه وآلامهم

باتخاذهم اعمال جديّة ضد الجهل الذي كثيرا ما اخذت فرنسا قرارا
بشأنه وكانت تلك القرارات تخصها هي نفسها مباشرة .

وجاءت للرئيس رسالات تهدئة هنا وهناك . ولكن بعد الرابع
عشر من يوليو من نفس السنة حينما وجهت ضربة قوية الى المملكة
العراقية التي كانت تعتبر حينذاك برجا عظيما في قلعة الامبراطورية
البريطانية في الشرق الاوسط ، في ذلك الوقت لم تهتم الولايات
المتحدة باستشارة فرنسا معتمدة في ذلك على الاعلان الثلاثي المتخذ
في سنة ١٩٥٠ والذي يقضي بضمانها للحالة القائمة فعلا في الشرق
الادنى كما هي عليه . واكتفت بابلاغها ذلك قبل عدة ساعات من
اتخاذها قرارا بارسال ... اسطول بحري من الغواصات وباصدارها
الاوامر الى الاسطول السادس الامريكى باقيام بجولة في البحر
المتوسط الشرقي على ان تكون القبلة الذرية في احدى سفنه واعلنت
بريطانيا العظمى كذلك دون اتخاذها رأى باريس بأنها سترسل رجال
المظلات الى شرق الاردن .

وفي نفس الوقت اعتبر الجنرال ديغول ان هذا العمل عملا
سيئا للغاية لانه يعتبر أن لبنان بلد قديم العهد بالسيطرة الفرنسية
كما انه دائما ما يعلق باسمه ذكريات الاحتكاكات الخطيرة التي وقعت
بين الحلفاء في وقت الحرب . اذ حينما طلب الرئيس شمعون منها
المساعدة شهرين قبل وقوع هذا الحادث وجد نفسه في مواجهة
قوات ثلاثية . ولكن بعد مناقشات حادة وسوء فهم للتدخل الفرنسي

سمحوا لها بأن تتدخل تدخلا محدودا وذلك بإرسالها طرادا فرنسيا
بكلف بضمان الامن لرعاياها ومؤسساتها العامة والخاصة هناك ومهما
يكن من أمر فقد أظهرت فرنسا استيائها خلال النكبة الدبلوماسية
التي تلت ، والتي اوضح بشأنها الاتحاد السوفيتي بعض الاراء في
مؤتمر القمة واتخذت تجاهها الولايات المتحدة وبريطانيا بعض المواقف
المختلفة التي لم ترض فرنسا .

وبعد ذلك بعدة ايام سمع العالم قرعة احذية الرؤساء وانكر
المسخر خروشوف بكل ما اوتي من قوة تهديدات الدول الاستعمارية
واعبرها ناقصة الذوق والدم وبمجرد ما ان حلت تلك الازمة حتى
ثارت أزمة أخرى في كيموى . ولكي تساعد الولايات المتحدة شانج
كاى تشيك جندت أكبر قوة عندها من السلاح البحرى والجوى
في التاريخ العالمى وكان ذلك بمثابة انجح تطبيق لنظرية ، حافة
الحرب ، الذى برهن جون فوبستر دالاس على أنه السيد الكبير
في هذا المضمار .

البيان السياسى الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٥٨

بالرغم من أن أخطار تلك الفترة قد مرت دون أن يلحظها
الكثيرون الا انها لم تكن كذلك بالنسبة للجبران ديجول . وفى الايام
التالية مباشرة لاصدار البيان السياسى تفتحت امام مخاطبيه الاخطار
التي يمرون بها جميعا مما اوحى له بخطورة الموقف ولكن هل كان
هذا الخوف الذى اعتراهم صادقا ؟ على كل انه فى استطاعتهم ان

يسألوه ، وخصوصا بعد أن رأينا موقفه الصلب بعد ذلك بعدة شهور بالنسبة لمشكلة برلين • ولكنه في الحقيقة وصل الى نقطة معينة جعلته يوضح ويساند اعتراضاته لقد كان مثالا واضحا وعظيما بين ذلك الصراع الذي تولد خارج منطقة الاطنطي ولكنه كان مخاطرة بالتأثير على العناصر الاساسية الداخلة ضمن نطاق الحلف قريبا كان ذلك أو بعيدا .

وعلى هذا صدر حكمه على الحوادث التي مازال يخفيها الزمن وكان الرابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٥٨ هو اليوم الرابع قبل الاستفتاء الشعبي الذي ستسلمه فرنسا مصيرها على اسمته فكتب فيه خطابا الى الرئيس ايزنهاور ومكميلان حتى يشاركاه الافكار التي تؤرقه ويقترحان له بعض الحلول للمشكلتين اللتين مازالتادون أي حل منذ اللحظة الاولى من تكوين حلف الاطنطي وأولهما الوصول الى اجابة ... تفسيرية علنية على التحدى السوفيتي العالمي ، اما ثانيهما فهو اقامة قيادة متماسكة على رأس الحلف الغربي •

الفصل الخامس

الخطاب السياسى

حينما يتحدث أحدث السياسيين عن خطاب سياسى دون أن يزيد على هذه الكلمة شيئا فان ذلك يعنى أنه يحمل فى رأسه ما كان يحمله الجنرال دييجول فى الرابع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٥٨ حينما ارسل خطابه الى ايزنهاور وماكميلان وفى الحقيقة فان هذه الوثيقة التى ارسلها لم تنته بعد ، لانه بالرغم من قصرها الا انها تدعم المحادثات الرسمية •

وكانت الرغبة الاولى لمؤلفها هو ان تبقى سرية ، وما زالت هذه الرسالة ممنوع نشرها حتى الان على الشعب ، ولذلك فان معظم الشعب مازال يعتقد فى أن المعنى مازال فى بطن الشاعر - أى بهما •

واشتمل الخطاب السياسى ثلاثة اجزاء : الاول منها هو التشخيص الذى يقوم على اساسه مدى تماسك وترايط العالم • وثانيهما العلاج الذى يجب ان يؤدى اخيرا الى تخفيف وطأة التهيج والتحمس ، وثالثهما التهديد وهو الذى يبدو لنا اليوم غير مقبول ابدا لعدم وجود فرصة. تتيج وجوده •

ولكن ماهو التشخيص ؟ انه الرأى المغاير والمناوىء للتهديد الشيوعى العالمى الذى تنادى به دول الحلف فى شكل غير منتظم . وكذلك التناقض فى التساوى بين الاخطار التى يجابهها المعسكران فى حالة وقوع حرب ذرية ، وعدم التساوى بين المسئوليات التى تتحملها كل دولة بمفردها اذا ما اتخذوا قرارا نهائيا للالتجاء الى هذه الاسلحة وعلى ذلك فانه غير مجد التصميم على ذلك بأى شكل ومن ثم جعلنا وجه التناقض هذا هو موضوع الفصل التالى من دراستنا وما هو العلاج ؟ هو اقامة منظمة سياسية وحربية تتكون من الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا وتكون مكلفة بالاتى :

١ - القيام برسم استراتيجية سياسية وحربية مشتركة بين الدول المشتركة فى هذه المنظمة .

٢ - وضع قيادة متحالفة مشتركة على مسرح الحوادث الجارية لتقوم باتخاذ قرارات نهائية بشأن الظروف المحيطة .

٣ - تقرير الساعة التى يقتضى فيها الالتجاء لاسلحة التدمير على نطاق واسع .

ومن هذا وجدوا انفسهم يخلطون بين السؤالين اللذين وجههما المسيو موريس شومان فى أحد مقالاته عن الغرب . كيف ندعم فاعلية الحلف وتأثيره فى جميع انحاء العالم ؟ وكيف نضع فرنسا فى داخل نطاقها السليم ؟ ولم يكن خاطئا حينما بين فى مقاله اهتمام الجنرال ديغول ، بعدم وضعه السؤال الثانى الا بالمقدار الذى يختلط و يمتزج فيه مع الاولى ، اما المادة الثالثة التى وردت فى هذا الخطاب

هي : ان هذا التهديد الذي سيصل اليه سيؤدي الى الجهل بالمصلحة العامة بل واهمالها ، وبالتالي سيلقى الاضواء على وجه الخصوص على مطامع أحد الرؤساء الذين يعرفون عنه حبه للفظ ورغبته في أن يعطي لدولته مكانا مرموقا بين الدول العظمى ، ففرنسا التي تعيش بعقلية رجل القرن الثامن عشر تتمسك بتوسع مؤازرتها للحلف الاطلنطي على أساس التمسك باعتبار اقتراحاتها ووضعها على الميزان

الاعتمادات والإلزامات

من العيب ان نقول ان الخطبة الدافعة التي القاها الجنرال ديغول قد استقبلها الشعب بصدور رحب . ولم تظهر حكومات دول حلف الاطلنطي أى عدااء في الاشهر التي سبقت تلك الخطبة ، ضد فكرة قيام قيادة انجلوساكسونية ، ذلك حتى يخلو لها الطريق وتقوم باتفاق على اشاء قيادة فرانكو - انجلو - امريكية . ولما كان الحال هكذا كان الطبيعي هو أن يتمسكوا بهذا كمبدأ أساسى حينما ساروا نحو باريس . وكان المسيو بيرو قد ارتأى في الماضي القريب نفس الاقتراح حينما اعتنق نفس الفكرة التي عرضها المسيو جان جاك سيرفان شريير في مجلة «لموند» وكان يؤمن في قرارة نفسه بخلق هيئة على نمط تلك الهيئة الثلاثية التي تقوم بدور القيادة في واشنطن وتعتبر وذلك من اجل توضيح السياسة الاستراتيجية العامة للحلف وتعتبر بمثابة هيئة سياسية ، ولكن بمجرد الادلاء بهذا الحديث صاحبت الدول سيحة عالية وعبرت عن رأيها بكل وضوح وما كان هذا الرأي الا الرفض التام في اعطاء تلك الهيئة ولو جزءا بسيطا من مسؤولياتها .

ذلك لأنهم لو خضعوا بسهولة لعدم المساواة في القيام بالأعمال
لهم سيكونون في هذه الحالة ضحايا هذا العمل ، وهذا بالطبع
يختلف تمام الاختلاف عن استعداداتهم في تقديس واحترام
القوانين .

وهذا هو ما قاله رئيس وزراء إيطاليا على وجه التقريب حينما
علم بذلك الخبر بطرق ملتوية قبل ان يتخذ شكلا رسميا وخصوصا
حينما علم بمطالب الجنرال ديغول وقد اعلن حينذاك امام الاعضاء
المناقشين للموضوع بأن المسألة ليست مسألة تمييز بين دول الحلف
بحيث تصبح ثلاثة منها هي الدعامات الأساسية التي تتخذ القرارات في
حين ان الباقي لا يتعدى أعمدة بسيطة يقوم عليها البناء .

وحتى اكون أكثر اخلاصا في قولي فأننى يجب ان اقول لكم
أن رد الفعل في بون لم يكن اقل منه في إيطاليا فقد ارسل الدكتور
اديناور خطابا الى رئيس الحكومة الفرنسية يعلن فيه عن دهشته عن
وجود ذلك الدافع الذى بدا له مناقضا تمام التناقض للمبادئ التي
تقضى بالمساواة التامة تلك المبادئ التي كانت سائدة في المقابلة التي
تمت قبل ذلك بعدة ايام في « باد كرناتخ » وقال انه يجب ان توجه
تلك الاعتراضات ضد الانجلوساكسونيين لانه يقظ جدا امام تلك
الادعاءات بالعظمة وعدم اهتمامه بتلك الابنية القضائية الجميلة التي
تهتم بالمناقشات فقط ، ونادى بوجوب التقليل من حدة الغيرة بين
الدول المشتركة .

وقام كواي دى أورسى بدور المهدىء للحلفاء القلقين وبذل في
ذلك كل ما اوتى من قوة وقد كان مصمما على وجوب فهم معنى الكلمة

« منظمة » التي استخدمت في المذكرة التفسيرية بمعنى وجوب قيام علاقات حيوية بين الثلاثة الكبار ، وعاد الى الاذهان بعدم وجوب قيام منازعات في داخل حلف شمال الاطلسي نفسه لان الغرض من قيام الحلف هو شمال الاطلسي نفسه .

لان الغرض من قيام الحلف هو تنسيق الوجهات السياسية للثلاثة الكبار التي تقف مسئولة امام المسؤوليات الخارجة عن منطقة الاطلسي .

ومنذ حلول شهر نوفمبر ويقوم الجنرال ايلي بتغذية هذا الموضوع بالكتابة عندما وسعه ذلك في «الاريفي دي ديه موند» فقال في أحد مقالاته (ان الثغرة الموجودة في الشرق الاوسط تتطلب منا ان نسدّها بغطاء دائري اكثر صلابة من ناحية افريقيا الشرقية . ولما كانت تلك العملية ستكون هشة فانه من الواجب ان تتضمن الفلكت الشرقية والغربية القائمة على تلك الثغرة ، وفي نفس الوقت يقومون ببناء نقطة دفاع افريقية بنظام مماثل لنفس النظام المتبع في منظمة حلف شمال الاطلسي بحيث يتكون المحور الفرنسي العظيم الذي يمتد من باريس - فالجزائر - فبرازيل وهذا المحور يكون قابلا للامتداد نحو شمال اوربا وجنوب افريقيا . واذا لزم الامر الى اعادة تكوين الدفاع الاوروبي فائنا سنكون مضطرين الى اعادة تعديل مناطق تكليف قوى الدفاع الاوروية وذلك خلال اعادة تنظيم ادارة دفاع العالم المتحرر . ويبدو انه من الصعب التعرف على القوى المسيرة التي تلعب دورا عظيما في الدفاع الفرنسي من الان فصاعدا

بسالها من مواقع جغرافية اساسية في اوربا كما في افريقيا . وكان
بدو انه من الضروري ان يصل الغرب الى اقامة الدعامات والوصول
الى الطرق والوسائل التي يستطيع بواسطتها معارضة قيادة محصنة
مناوثة تقف ضد قيادة اوروبية مشتركة او ان الادراك الفرنسى الذى
يؤمن بالوحدة الاوروبية الافريقية ويعطيه حق قدره .

ولكننا وجدنا أن المسير ميشيل ديبيريه حينما ازداد في تعليقاته
على المطالب الفرنسية أدى الى تعقيد الامور ولم يصل في الحقيقة الى
التوافق بين الآراء المختلفة . وقد كان اعلانه عند توليته منصبه في
يناير سنة ١٩٥٩ كان فيه اصرار الى حد كبير فبه يقول ، ان الحلف
الاطلنطى سيكون وسيبقى قوة عالمية اذا ما قام على اساس تضامن
أعضائه والمساواة في تحمل المسؤولية . لانه بمرور الزمن لن يمكن
أن يكون هناك تضامن بين الشعوب الغربية اذا لم يعد ذلك التضامن
الا في فترات معينة ولم يمارس في الفترات الاخرى انه لا يمكنهم أن
ينحدوا في أوروبا تحت وجود تهديدنا ولا يمكن ان ينقسموا في
منطقة البحر المتوسط تحت وجود نفس التهديد كما انه لا يمكنهم
اقامة جبهة مشتركة في مؤتمر أوروبى ، واقامة جبهة مفككة في
مؤتمر آخر خارج أوروبا . وبدون شك فان السياسة كثيرا ما تتطلب
بعض الامتيازات التي لا تعتمد على المنطق : وهذه الامتيازات تكون
على الاقل الاشياء التي يفهمون بها دائما ، ولكن بالرغم من هذا يجب
عليهم ان يأخذوا حذرهم : ولانه يوجد في التيارات السياسية بعض
المنطق يكون على الاقل المنطق الشعبى ، ولا يمكن أن يقوم التضامن

من الاطلنطى قائمة الا اذا قام على اساس من الرضى العميق الحقيقى المدعم . وهذا الرضى هو الذى يتطلب قيام حكومات تضع نصب اعينها الشرطين التاليين وهما : المساواة فى التضامن والمساواة فى تحمل المسؤولية .

المساهمة الفرنسية فى حلف شمال الاطلنطى

لما وجد الجنرال ديغول ان المطالب التى اكدها فى بيانها السياسى ... الصادر فى الرابع والعشرين من سبتمبر وتلك التى تضمنها الاعلان الصادر منه قد قوبلت بطريقة سيئة ، لم يجد هناك حلا آخر سوى أن يقنعهم به بالقوة والضغط .

ولكن ماذا كانت النتائج العملية حينما رفضت فرنسا فى الازدياد من مساهمتها فى دول الحلف ، حتى وصلت اخيرا الى التقدم بطلب الاسترداد الذى اتخذ فى اعتبار الدول الاعضاء .

(أ) لم يكن من المستطاع تدعيم القوى الفرنسية التى تعسكر فى القارة الاوروبية فقد كانت تهديداتها عبارة عن تهديدات افلاطونية أى كلا بلا عمل لانهم وصلوا أخيرا الى أن المشكلة الجزائرية لايمكن البت فيها او تعيين الوقت الذى يمكن ان يصلوا فيه الى حل نهائى .

(ب) لن تضع فرنسا موضع التنفيذ قرارات المجلس الاعلى لمنظمة حلف شمال الاطلنطى التى اتخذت فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ لانها تسأت بتوزيع المخزون من القنابل الذرية وقواعدها فى مناطق مختلفة من أوروبا وقواعد قذف القنابل المتوسطة المدى (مثل الصاروخ من

نوع (أ • ر • ب • م) الذى كان موضوع بحث الفصل الثانى) •
(ج) انها لن تضع قواتها الجوية تحت قيادة مشتركة، ولكن ذلك
لم يكن سوى جزء من طلبات الجنرال ديغول، وكان يدخل ضمن
هذه الفكرة المطالبة بالعمل على الاحتفاظ بقوة فاعلية الحلف ، ولكن
قبول هذه المطالب الدكتاتورية لم يكن كافيا للوصول الى حل
نهائى .

(د) وأخيرا ، تراجعت فرنسا فى قرارها الخاص بوضع جزء
من اسطولها البحرى فى البحر المتوسط فى وقت الحرب تحت امرة
القيادة العليا لحلف شمال الاطلنطى •

وسنجد هاتين المشكلتين الاخيرتين فى الفصل القادم •
وستتفرغ الآن لمناقشة الموضوعين اللذين كتب عنهما الكثير
ونرى عما اذا كان موقف الحكومة من اقتراحها سيؤدى اخيرا الى حل
مشكلاتها وسد حاجاتها بسهولة •

كانت الميزانية سلبية للغاية . بينما تأثرت العلاقات الطيبة تبعا
للخطة السيكلوجية • وقد رأينا وجود نوع من التهديد المثير للنفوس
بين الدول الصديقة وكذلك فى الطرق التى اتبعها الجنرال ديغول
فى تقريراته وبياناته • وقد ابتدأت « بتاجون » فى الاضطرابات
بشكل خطير ابتداء من ربيع سنة ١٩٥٩ بعد اشارة ازمة برلين ورفض
فرنسا التصريح باقامة مخازن ذرية على اراضيها تكون تحت طلب
قاذفات القنابل التى يمتلكها حلف شمال الاطلنطى فى افيان، وتول،
وشومونت وهذا يعنى انه اذا ارادت فرنسا ان تقذف قنابلها فيجب ان
تلتجأ الى المانيا او بريطانيا العظمى حيث يخزن هذا النوع من القذائف •

ولكن في الحقيقة لم تنته المفاوضات الى لاشيء لان قيادة حلف
الاطلنطي اتخذت قرارا بنقل نصف السلاح الجوي الى الشاطيء
الاخر من المانش ونصف السلاح الاخر ينقل الى الرين ويبدو ان
هذا لن ينفذ في وقت قريب .

أما عن قواعد القذف فقد ارتكب فيها معظم قوادنا خطأ في
مدى بعد النظر مثلما حدث تحت حكم الجمهورية الرابعة والخامسة
ويتلخص هذا الخطأ في انهم اعتقدوا في ادعاءات الولايات المتحدة ،
لانهم استتجوا من كلامهم انهم في وضع يرغمهم على تحويل اقامة
تلك القواعد في حالة موافقتهم . وهذا هو عكس ما كان صحيحا
فبعد انتهاء المستر دالاس من مناقشة الموضوع في باريس مع رئيس
وزرائه في ديسمبر سنة ١٩٥٧ وجه مطالبه الى دول الحلف طالبا
منهم الحصول على احدث الاسلحة وفي الحقيقة فانه كان في اعترافه
بحماية نفسه ضد أي اعتداء خارجي مستخدما في ذلك احسن
الاسلحة وأحدثها وليس تلك التي قدمت وزال عهدها، اعترافا
بمؤازرته وتماسكه مع حلف شمال الاطلنطي . وكان هو أول السابقين
الى اتخاذ تلك الاسلحة البعيدة المدى كأداة للدفاع عنه . فقد كان
القادة البريطانيون حاملي اللواء في هذا المجال وتبعهم في ذلك المسيو
ينوا لذي يعتبر من بين هؤلاء الذين رأوا وجوب الحصول على قذائف
ذرية لبلادهم . لانه تأكد وتحقق من أن الامور أصبحت ذات
شكل يختلف تماما عن حقيقتها وان المفاوضات أصبحت غير قادرة
على ان تخطو خطوة واحدة من مكانها ، قرر أن يلعب دوره في هذا

الميدان . وبعد ذلك بوقت قصير وضعت الولايات المتحدة قذائفها على القواعد الفرنسية في نفس الوقت كانت تضعها فيه على القواعد الانجليزية والايطالية والفرنسية والتركية التي امتلأت بقاذفات قنابلها وعواصاتها .

علامات الرضى الاولى

وبالرغم من هذا لم تمر تلك العاصفة دون ان تترك أثرا واضحا .. فشخصية الجنرال ديغول ورغبة حلفائنا في التخفيف الى أقصى حد مشكلة الجزائر ، ونجاحنا في التجربة الذي كان يعنى فشلنا فيها ووقوع فرنسا الى الهاوية، واستطاعت بذلك ان تثبت للعالم الغربى أجمع أنها قد اعطيت لتصرفاتها وسيرها وزنا ومعايير وقوة تشبه صوت الرعد وهذه أشياء كان من الواضح جدا عدم وجودها تحت حكم حكومة الجمهورية الرابعة التي كان ضعفها ظاهرا بشكل واضح جدا .

وعلى ذلك بذلت مجهودات ضخمة لايجاد بأى وسيلة كانت طريقة للوصول الى تهدئة رئيس الجمهورية ولو لبعض الوقت ، وفجأة وعند نقطة معلومة فاجأه المستر خروشوف بأن أصدر مايمكن أن تفسره بانذار نهائى خاص بمسألة برلين ، والذي كانت نتيجته الاولى هو اعادة مناقشة حقوق الدول الثلاث الغربية فى اتخاذها قرارات بوتسدام .

ولكى يعيد الاقطاب الثلاثة قوة فاعلية هذه القرارات وفيمتها الفعلية عملوا على اقامة اتحاد منفرد قبل أى من الطرفين سواء

اكان ذلك المانيا الغربية ام الاتحاد السوفيتي . مما ترتب عليه اقامة احتفال له معنى ووجود وبعيد كل البعد عن معرفة العامة، ولكن كان معناه ووجوده واضحين فقط بالنسبة لاصحاب الخبرة وكان الغرض من هذا الاحتفال هو تناول طعام غداء رمزي يشترك فيه وزراء خارجية امريكا وفرنسا وبريطانيا من وقت لآخر دون اشراك شريكهم المانيا الغربية ، ومن جهة اخرى وجدوا اخيرا انهم لا يمكن ان يقفوا على قدم المساواة مهما كانت الامور الا اذا اتخذوا قرارا بشأن هذا الصدد . وهذه الثلاثية التي كانت نظرية بحتة تحولت الى أن أصبحت خطة عملية والفضل في هذا يرجع الى مؤتمر جنيف الذي خلقه عادة مناقشة المشاكل المختلفة التي تظهر في الافق بين الحلفاء الثلاثة على أسس الصداقة والمودة الحقيقية .

ووجد الجنرال ديغول في هذا شعورا بالرضى . وحدثت تقدمات عظيمة في خطة التعاون السياسي التي شملت مشاكل مختلفة مثل مشكلة لاوس والبت وتزع السلاح ، وبيع الاسلحة لتوس . وقامت دراسة منظمة في واشتجتون في يناير سنة ١٩٥٩ غرضها دراسة السياسة الغربية في بلدان العالم المختلفة ، وكان القائمون بهذه الدراسة مجموعة صغيرة اختارها المستر دالاس بنفسه وكانت تحتوي في نفس الوقت السفيرين الفرنسي والبريطاني ووكيل وزارة الولايات المتحدة وبعض الخبراء الذين كان من اللازم استشارتهم. وقد قضى المستر داريدان شهرا في العاصمة الامريكية وكان المستر داريدان حينذاك مديرا عاما للشئون السياسية لسكواي دي أورسي .

واستطاع خلال هذا الشهر أن يناقش مشكلات الشرق الأقصى مع هذه اللجنة ، ثم جاء بعد ذلك المستر لويس جوكس وناقش مشكلات أفريقيا .

أما عن هذه المسألة الأخيرة فقد ملكت قلب الجنرال ديغول ورئيس وزرائه اللذين كانا دائما ماثور تأثيرتهما لمواجهتهما بقيادة انجليز أو أمريكيين . وكان يبدو أن المبدأ الاساسى هو التعاون المحدود فى مجال السياسة لافريقيا السوداء ذلك مع استثناء أى قيام بعمل فردى ، وكذلك اتخاذ أى قرارات يمكن تفسيرها بأنها تعنى تحويل الحطة العامة الأفريقية الخاصة بالحرب من أجل فرض النفوذ الفرانكو - بريطانى والذى من شأنه أن يؤدى الى جر الحلفاء الى تحطيم الشرق الادنى * ولقد فسر اعتراف واشنطنجتون ولندن السريع بجمهورية غينيا ورحلة المستر سيكوتورى الى أكرا وإعلان قيام ولاية متحدة افريقية ، فسرت كل هذه الاشياء فى باريس على انها برهان على محاولات الانجلو ساكسون بإبدال نفوذنا بنفوذهم ، كما انهم بدوا انهم أرادوا أن يفعلوا ذلك فى تونس ومركش أضف الى ذلك انهم أرادوا فرض هذا النفوذ كذلك فى الهند الصينية حينما كان بعض الامريكيين يغطون فى نوم عميق *

أما اذا انتقلنا الى الشاطئ الآخر للمقارة السوداء فقد أفلقت المساعدات التى بذلتها بريطانيا من أجل مشروع الصومال الكبير حكومة أرادت أن تحتفظ بمساعدات الجيوش وكذلك الاحتفاظ بالعلاقات

الطية بين أثيوبيا ودول الغرب تلك العلاقات التي مازالت قائمة حتى الآن •

ومن ذلك الوقت تحققت تقدمات عظيمة في باريس وأصبحت مملوسة الى حد كبير. وذلك بفضل الطرق التي اتبعتها واستخدمتها (وزارة المستعمرات) في تهدئة الخوف الذي أثارته الممتلكات البريطانية في أفريقيا ، وذلك بقيامها بتجارب ذرية فرنسية في الصحراء •

المحافظة على الجزائر

ولقد كان من الطبيعي أن تشغل المشكلة الجزائرية بالكثيرين من رؤساء الحكومات الفرنسية الذين جاءوا تلو بعضهم • وهذا ما حدث كذلك أيام حكم الجمهورية الرابعة ، فقد توقفت على المطالبة لمدة قصيرة لضمان أصوات الحلفاء في جانبها وكان الالتجاء الى مقدرة الجنرال ديغول مغيرا للجو المحيط كلية ويرى أمامنا كثيرا من شركائنا وكأنهم هم الاشخاص الوحيدون القادرون على جعل أوطاننا وكذلك الجزائريون المتطرفون في تقبل التطور الحر الذي لولاه لما كان من الممكن أن يجدونا الامل ولو لدقيقة واحدة في توقف اراقصة الدماء . وقدى قوى ودعم هذا الامل بل وغسل رئيس فرنسا الحديث من كل شك نحو الاتجاه الاستعماري بالاخمد السريع للصراع الذي قد أثارته مشكلة ساقية بن يوسف في تونس ، والعلاقات الطيبة الكريمة

التي قامت بين فرنسا وملك المغرب وخلق تطور سريع شمل المجتمع
أجمع، والاعتراف باستقلال غينيا والكونغو والكاميرون. أضف إلى
ذلك أن إصدار قانون الكليات الموحد وطلب إيقاف النار في الثالث
والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٨ قد أثار كثيرا من العطف على
الحكومة .

ولم تكن الولايات المتحدة تعتقد في ذلك الوقت بوجوب استبداء
سدويها في الأمم المتحدة لكي تحثهم على اتخاذ موقف مضاد لقرار
اتخذته الدول « الأفرو آسيوية » وكانت فرنسا تعارضه تماما . وكان
من نتيجة هذا العمل أن أرسل الجنرال ديغول شكوى بشأن هذا
الموضوع للمستتر دالاس وقد ترتب عليها زيارة هذا الأخير لباريس
سنة ١٩٥٨ ، ومنذ ذلك الوقت وهو يعمل بنفسه على تطوير النظام الذي
أدى إلى تطور سريع في مجرى الأمور لدرجة أن الولايات المتحدة
وجدت نفسها مشغولة إلى حد كبير وواقفة في جانب فرنسا . ولكن
في واشنطن فقد ثبتوا على رأيهم بالرغم من الشكوك الكثيرة التي
كانت تتوالت في كل مكان ، تجاه جميع النتائج المحتملة وقوعها كنتيجة
لتهدئة مآثراته «الريخ ساعة الأخيرة» بدون توقف . ولكن
أثبتت الأشهر التي تلت ذلك أن جبهة التحرير الجزائرية قد لحقت
بقطار القوة السياسية ما فقدته بقطار القوة الحربية .

وهذا هو ما جعل الجنرال ديغول يوجه نداء مباشرا طالبا العون
الأمريكي فقد أعطى للرئيس ايزنهاور بأكورة أخباره العظيمة في
المكتب المجاور لمكتبه الموجود في «الايلاز» ذلك في الثاني من

سبتمبر سنة ١٩٥٩ . ثم انشغل بعد ذلك بعدة أيام باستشارة الجزائريين أنفسهم في تقرير مصيرهم وذلك بأن خيرهم بين وجهات ثلاث وهي : الاستقلال - التفرنس - الاتحاد وكان بالنسبة له الحل الثالث هو الشيء الذي يرجوه ، كما انه بدا بالنسبة للأمريكيين بطلان أنه أنسب وأعقل حل والذي شجعهم على الايمان بهذا الحل الأخير هو المكتب المضاد للاستعمار والذي أقنعهم بأن انقرن العشرين هو قرن تحرير الشعوب الواقعة على الشاطئ الآخر من البحر الأبيض المتوسط ولكن الخوف كل الخوف هو أن يصبح في المغرب منطقة فراغ بعد رحيل الفرنسيين عنها تستطيع أن تجني من ورائها الشيوعية الثمار التي تريد أن تجنيها وذلك بتسللها خلال هذا الفراغ على حساب فرنسا . ومن ثم استطاع « آيك » أن يوافق بصراحة على رأي مضافه وأن يتعهد له أخيرا بالمساندة السياسية الكاملة تلك المساندة التي حاولت حكومات فرنسية كثيرة الحصول عليها من قبل ولكن ذهبت مجهوداتها أدراج الرياح ولكن كان الثمن لذلك هو تنازل فرنسا عن شيء تضمنته هذه المساندة ، وهو أنه منذ تلك اللحظة فصاعدا لم يصبح في مقدور فرنسا اتخاذ أي قرار داخلي كلية . وكان من الصعب جدا التظاهر ولو لمرة واحدة انه كان من السهل حصولهم على موافقة صريحة على أي قرار تتخذه فرنسا وتطالب من واشنطن ولندن وباريس وروما الموافقة عليه ، الا بعد امعانهم النظر في مثل ذلك القرار وهذا ما حدث بالفعل في شأن القرار الذي اتخذته في السادس عشر من سبتمبر

سنة ١٩٥٩

جوا أكثر تفاهما

أعطى مجيء الرئيس أيزنهاور إلى فرنسا الفرص للجنرال ديجول بأن يعرض عليه آراءه بشأن قيام تعاون مشترك بين الدول الثلاث على قدم المساواة .

والآن فلنعد ونذكر جو العداة الذى كان قائما بيننا وبين الدول الأوروبية . . . ونستطيع القول فى هذا الصدد بأن هذا العداة قد افتقد شيئا من لذاعته وحموضته فى فترة العداة نفسها فالأغلبية الساحقة التى قامت على أكتافها حكومة أتونويسينى فى روما أعطته الفرصة فى أن يرى الحبيب الحقيقى ذلك لأنه كان أقل انفعالا من سلفه . أضف إلى ذلك أن أحكام الجمهورية الخامسة فى فرنسا اتخذوا الخطوات الأولى نحو تحقيق الصداقة بينها وبين الحكومة الإيطالية ، فأصبحت بذلك ؛دولتان أكثر قوة وصداقة من تلك العلاقة القائمة بين باريس وبون . وقد تم الاتفاق على هذا النوع من العلاقات فى شبه الجزيرة التى قام رئيس الحكومة بأولى رحلاته إليها منذ رياسته لمجلس القضاء العالى . أما من جهة ألمانيا فمن المؤكد أنها مازالت تزن الأحداث - الجارية بشىء من الحذر والتردد . ولكن رئيس الوزراء حدد ثمننا للعلاقات الودية مع فرنسا حتى يكف عن إصداره أى حركة من شأنها أن تحد وتضيق العلاقات بين فرنسا وألمانيا بل والدفاع عنها أمام الرئيس أيزنهاور وبالرغم من ضخامة وعظم معاضدة الأعضاء الآخرين الداخلين فى منظمة حلف شمال الأطلسى إلا أنهم لم يستطيعوا أن يكونوا بالنسبة لواشنطن ولندن قوة

دافعة كافية لمعارضتهم للرؤساء المقيمين في « الاليزية » .

والحق يقال انه بالرغم من انقضاء أشهر طويلة في تبادل وجهات النظر وارتقاء درجات مختلفة في مسالك المدارك الفرنسية فقد كان القادة الامريكيون بعيدين جدا من أن يروا بوضوح مقاصد ما ترمى اليه سياسة الجنرال ديجول . فهم كما يقول .. نصحاء وهم يسمعون دقات أجراس مختلفة تمام الاختلاف ، ذلك لأن رئيس وزرائهم كان يميل دائما الى ايضاح وجهات نظره عن طريق التهديد بينما كان القائمون بالسياسة عندنا يحاولون دائما التوفيق .

وهذا هو أحد الأسباب التي دعت رئيس البيت الأبيض الى أن يعد علانية عن عزمه عقد محادثة صريحة خاصة بهذا الموضوع مع الرجل الثامن عشر من يونية وذلك - قبل عودته للمستتر خروشوف الى الولايات المتحدة الامريكية وكان غرض رئيس البيت الأبيض في ذلك هو تصميمه على معرفة مدى رضاء البلاد الواقعة في الناحية الاخرى من - الاطلنطي على مدى سلطتها وتفوذها الذي كثيرا ما كان يشك فيه ويحاول البحث عن وجوده ، راميا وراء ظهره مدى مساهمة الاقتراحات الفرنسية في المشاكل الحقيقية الموجودة في العالم الغربي .

ومن هذا نرى أن التفكير كان مقصورا على ميزان القوى الادارية المسيطرة وليست مقتصرة على المشاكل العملية ومن ثم كانت

التفاصيل التي استغرقت عدة ساعات في مناقشتها مقتصرة على
نقصها وذلك لاجتمية ترجمتها وتفسيرها .

والأكثر من ذلك هو أن رئيسي الحكومتين لم يستطيعا إلا الى
الوصول الى نتائج عامة ، وهذا هو ما وجدناه في المنشور الصادر عن
محادثتهما .

لقد وصل رئيسا الحكومتين الى فحص الوسائل للوصول الى
نظام أفضل للتعاون بين البلدين داخل اطار المجموعة العالمية ، ذلك
مفضل تقدم وتطور الاستشارة المتبادلة الخاصة بجميع المشاكل الأساسية
سواء منها السياسي أو الحربي .

وكان بمثابة ارضاء جزئي لمطالب الجنرال ديغول الذي حصل
على وعد في ذلك الوقت على تطور وتقدم المشاورات وامتدادها الى
الناحية العسكرية التي كانت تسعى اليها الحكومات الفرنسية منذ أمد
طويل دون جدوى .

وكان كل ماوافق عليه الأمريكيون حتى تلك اللحظة ما هو إلا
أشياء محدودة ولذلك وضع أعضاء حلف شمال الاطلسي قعاتهم
الاطلنطية جانبا حتى يكونوا منظمة خاصة غير رسمية تقوم بدراسة
بعض المشكلات على أسس افتراضية كلية .

ولكن هل سيستمر هذا الوعد حتى يتم اعداد خطط شاملة
لحالة الطوارئ بحيث يمكن تطبيقها في حالة نزول إحدى الكوارث
التي قد تتدلع نيرانها هنا أو هناك ان هذا صعب على العقل أن يتفقه .

ومن الآن فصاعداً فإنه قد بات واضحاً جداً للأمريكيين أنهم متأكدون
كل التأكيد أن الجنرال ديغول لم يستخدم حق الفيتو في تحديد
الأماكن التي لن تستخدم فيها القنابل الذرية ذلك لأنه وعدمهم
استشارتهم مهما كان اتجاه دفة الأمور قبل اتخاذ أى قرار نهائى .
ولكننا إذا ما أخذنا فى اعتبارنا التهديد السوفيتى الدائم للسلام العالمى
فإن هذه الحكومة تبدو - وشكراً لله أنها تبدو هكذا - مجرد نظرية
لا أكثر ولا أقل .

وكان من نتيجة هذا قيام صراع بين كل من الفريقين لاثبات
مدى قدرتها ومن ثم لم يتم أى تقدم يذكر اللهم الا تكوين منظمة
للدول يقوم فيها صراع تحاول كل منها فيه اثبات مدى كمالها
ومقدرتها .

الفصل السادس الصراع من أجل الكمال

انه لمن لعنة الشيطان واراדתه المشثومة أن تذوب المسئولية العالمية وتحلل بين يدي منظمة عالمية عامة ، اتنا في الحقيقة لاندافع في هذه اللحظة عن ارادتنا الشخصية في الدفاع عن أنفسنا بأنفسنا ، هذا هو ما قاله المسيو موريس كوفدي مورفيل في قاعة الغذاء التي دعا اليها الجنرال نوستاد في الثالث والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٨ لتناول غدائه بدعوة من الجمعية الفرنسية القائمة بشئون المجموعة الاطلنطية ولم ينس في تلك اللحظة أن يلقي وزير خارجية بريطانيا بعبارة الواهية التي يتميز بها كل ذي مكر ودهاء . لقد قال القليل ليعنى به الكثير . فهذه العبارات القصيرة تبدو في مظهرها وكأنها دواء ملطف ، ولكنها في الحقيقة قد أوجت بمفهوم الى اعادة أحد الأوضاع الرئيسية التي يقوم عليها حلف الأطنطى الى مكانها .

وقد وصلت الشعوب الأوروبية الى هذه النتيجة بعد أن تولدت لديهم فكرة الشعور بالعالم ككل وهو ما تسميه «اسمى من الجنس» أنها شعرت خلال الحرب العالمية بضعف حدودها السياسية ، ومن هذا

فهمت أنه في حالة ظهور نجوم ساطعة لها عظمتها في المجال العالمي فإن التحية التي يجب أن تقابل بها لا يجب أن تكون المنافسة والمقاتلة بل يجب أن تكون الوحدة والاتحاد - أضف الى ذلك ان سير الولايات المتحدة نحو الاتحاد مع الدول الأوروبية كان يقابل بترحيب الأمريكيين الذي كان يعضده ويسانده موافق الدول التي كانت تقوم بالحرب من أجل الاستقلال •

ان نظرية التكامل قد استسقيناها من علم الرياضيات ولا يوجد الا شخص واحد لا يؤمن بها وهو فرحات عباس الذي يقول ان ذلك الوقت مازال بعيدا جدا حتى تطبق هذه النظرية في حل المشكلة الجزائرية • فالتكامل بمعنى التجاوز عن النطاق القومي بالتنازل عن بعض مسؤوليات الدولة لهيئة جماعية .

عام أوروبا العظيم

كان عام ١٩٥٠ هو عام الكمال والوحدة بالنسبة لأوروبا ففي التاسع من مايو ألقى المستر روبرت شومان الورقة المفحمة من يده ، وفي الرابع والعشرين من أكتوبر من نفس السنة أرسل الميسورينيه بليفان وزير الدولة حينذاك أجابته على التوسلات الأمريكية باعادة تسليح ألمانيا وقد حملت تلك الاجابة اسمه اذ قال فيها - ان الحكومة الفرنسية تعتقد ان تحقيق قيام مصلحة مشتركة سيسمح لأرواحنا بالتعلق بفكرة قيام مجتمع أوروبي لا تقف الا مشكلة

واحدة في وجهها وهي الدفاع المشترك ولكن الاحداث العالمية
(وكان يعنى مشكلة كوريا) لاتسمح له الآن . . بتحقيقها ولكن
الحكومة الفرنسية تؤمن كل الايمان بمصير السلام الشامل الذى سيعم
أوروبا وشعوبها بوجوب يكفل لجميع الشعوب الأوروبية شعورا من
الأمن الجماعى ولذلك فهي تقترح حل هذه المسألة بطريقة واحدة
وروح مشتركة واحدة .

وبعد مرور ثلاثة أيام عرض وزير دفاعه مسيو جول موش على
مجلس حلف شمال الاطلسي المجتمع في واشنطن حينذاك مشروعاً
هاماً وعظيماً ، وكان هذا المشروع يدل على ادراك سليم واستيعاب شامل
للموقف ولم تمض سنة واحدة حتى تكون جيشه الذى يبلغ
مائة ألف من الرجال ذوى جنسيات مختلفة كلهم جاءوا ليكونوا
جيشاً أوروبياً موحداً على مستوى آلاى عسكري . لأنه
لا يجب أن يقوم فى ألمانيا ولو فصيلة واحدة متجانسة ، ولا وزير
دفاع قومى ، ولا أركان حرب عام .

ولكن فى الحقيقة لم يكمل هذا النظام بالنجاح عند حلفائنا ، لأن
كثيراً منهم تمسك بمبدأ سيادة القومية وكثيراً منهم راودتهم الشكوك
فى مدى فاعلية جيش غير متجانس كهذا . ولم تكن المعارضة أقل
قوة ولا حيوية فى فرنسا نفسها . فقد تقل الجنرال ويجاند مشاعر
الغالبية العظمى من رؤسائنا المحاربين فى أحد المقالات المدوية فى
مجلة . لاريفى دى ديه موند ، اذ قال ان الجيش الأوروبى كان يعتقد

في حرمان الجيش الفرنسي من العضوية ودفع فرنسا الى هجرها السياسة التي تنتهجها والتي تشكل خطورة كبيرة . .

وهذا هو ما حدث كنتيجة لذلك ، اذ اجاب أحد الدبلوماسيين لفرنسيين بطريقة حية تحت عنوان «وحدة القواعد العسكرية» ، صدق فيها رسميا على خلق فصائل حرية المانية، بل وانه طالب كذلك بامكان قيام جيش الماني متجانس بناء على طلب منظمة حلف شمال الاطلسي، على شرط الموافقة الاجماعية لقيادة حلف شمال الاطلسي على هذا القرار . وكان نتيجة لذلك التقهقر أن ظهر حزبا مضادا للحلف من بينهم سبعة من أعضاء الحكومة التي أخذت الخطوة الأولى في هذا المجال. وخوفا من أن يخفق المسيو شومان والمسيو بيدوف في مشروعهما فانهما لم يجروا على تقديم نص هذا المشروع للبرلمان من أجل الموافقة عليه وعلى ذلك تركوا مهمة التقرير في يد مندس فرانس الذي خلفهم حينذاك والذي أصبح مسئولا عن رفض هذا المشروع .

ومع ذلك فقد أوضح الرئيس الجديد للحكومة ان قيام اتفاق اعتبر شيئا أساسيا لدرجة جعلت الوزراء الذين كانوا معادين لقيادة الحلف يتركون حكوماتهم - الذي رغب في أن يطول مكوثه فيها - ولكن سير الاحداث الذي تم بعد ذلك في بروكسل والذي أعطى للمستتر فوستر دالاس حينذاك لقب « سوبرمان » جعل من المستحيل الموافقة على قيام مثل هذا الاتفاق .

وكان من المعروف به ان رفض الجمعية الوطنية في الثلاثين من

أغسطس سنة ١٩٥٤ التصديق على الاتفاق الذي وضعته القيادة العامة
قد اعتبر ضربة موجبة نحو سياسة التكامل لا قيام من بعدها . وفي
الحقيقة ، فإنه لا يوجد في أوروبا سوى المتطرفين الذين يريدون وضع
المحراث أمام العجول وكان ذلك اليوم هو يوم دفن سياستهم كلية .
وبعد ذلك بعدة أيام حدد رئيس مفهوم سياسة التبديل وكان موفقا في
تعريفه وتحديده ، وكان ذلك في إحدى خطبه التي ألقاها في
ستراسبورج فهذه السياسة كذلك كانت قائمة على التكامل والاتحاد
ولكن اتبع في تحقيقها طرقا أخرى ففي حقل العمل الغني كانت تندفع
بقوة دوافع مختلفة أما في حقل العمل السياسي فقد كان يدفعها دستور
مجلس الوزراء الأوربيين الذي أخذ في جانبه أغلبية الأصوات في
أكثر الحالات - وعلى ذلك خاطرت الحكومة بموافقتها على قرارات لم
تشارك في وضعها .

اتفاقات باريس

وكانت تلك المفاهيم التي مرت بنا هي القاعدة الأساسية لاتفاقات
باريس التي وقع عليها في الثالث والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٤
والتي تم التصديق - عليها في مدة أقل من ثمان شهور من ذلك التاريخ
فاتحاد غرب أوروبا الذي - أوجدته الدول الأوروبية يشتمل في
الحقيقة على نظام تصويت أكثر تعقيدا أكثر من ذلك النظام المتبع في
مجلس وزرائه . فهو يطلب لحل مشاكله بالتصويت الجماعي الذي
تشارك فيه الأغلبية العظمى أو على الأقل ثلثا أعضائه . وقد تناسب

وقت تكوين هذا الاتحاد مع ذلك الوقت الذى اتخذ فيه مجلس وزراء حلف شمال الاطلنطى قرارا يقضى بما يأتى :

(أ) الاحتفاظ بتكامل ووحدة القوات الجوية وتكتيكها على مستوى جيش •

(ب) وبما هذه القوة العسكرية قد أعطيت القدرة على الاتحاد والتحمل فى وقت المعركة وبما أنها أعطيت كذلك القدرة على حماية المنظمة بدرجة جيش فان تكامل هذه الفرقة والفرقة الجوية التى تقابلها يجب أن تخضع لنظام واحد وعلى الأخص يجب تكوينها من جميع الجنسيات التى تعمل فى قطاع واحد وتكلف بالدفاع العام بحيث لا يكون هناك أى اعتراض مطلق بحقوق قيامها بأعمالها من الوجهة العسكرية •

(ج) وفى جميع الأحوال التى تسمح فيها الأحوال العسكرية فانه يجب أن يؤخذ فى الحسبان ان امكان ادخال قوات مساعدة بنسبة قوتين احدهما أرضية والأخرى جوية بحيث يعضدان هذه القوة الى أقصى درجة ممكنة .

وأهم مايلفت نظرنا فى هذا القرار هو أنه كان من صنع مجلس حلف شمال الاطلنطى ولم يكن أوروبا بحثا . وهناك سؤال آخر هل سيقصر اطار هذا التكامل والاتحاد على الأعضاء الستة أم أنه سيشمل الأعضاء السبعة المشتركين فى اتحاد غرب أوروبا أم أنه سيتمدد ويشمل أعضاء حلف الاطلنطى أجمع • أضف الى ذلك أن جميع

القرارات التي اتخذت في ذلك الوقت كانت تأتي بناء على طلب فرنسا وكانت ترمى الى زيادة قبضة القيادة العامة على القوات العاملة تحت أمرتها وكان الهدف يرمى الى ثلاث وجهات : أولها إعادة تأكيد ما ارتأوه في اتحاد المجموعة الأوروبية في الدفاع واعتبارها الطريقة الوحيدة التي تدور حولها الديناميكية العسكرية الألمانية وعدم السعي في إيجاد أي عرقلة لعمل هذه الديناميكية في القوانين الجديدة التي اتخذوها وثانيها الإجابة على ما أدلى به أركان حرب الجيش الذي : حكم على القوة العسكرية القومية بأنها خطأ تاريخي في قرن يسمى قرن الطائرات الأسرع من الصوت . وثالثها إيضاح للأعضاء بأن الاعتماد على سياسة اسمى من الجنسية (عالمية) لا يعنى إدارة ظهورهم الى مبادئهم .

ولسوء الحظ بقي جزء كبير من التنظيمات المتخذة في الثالث والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٤ أشبه بالميت ، وقد حدث هذا على وجه الأخص بين من نيط بهم إنتاج الأسلحة الحربية اذ اعتقدوا في فكرة « الميت الحي » ، للمجموعة الأوروبية المشتركة في الدفاع ، فحتى الوكيل الموكل اليه الاشراف على إنتاج هذه الأسلحة لا يوجد اليوم الا مجرد اسم على ورق . فتأخر ألمانيا في الوصول الى الحد المرسوم لها في مجهوداتها العسكرية أعطى لها فوراً كل حق في الاعتقاد بأن ومالتها هي عدم اختراق الحواجز التي أقامها لها البرنامج الموضوع .

وفي الحقيقة فان تكامل القوات واتحادها هنا لم يتحقق في اي وقت كان اللهم الا في الناحية التشريعية في تكوين فرقة أقل من لاولى وضمها الى الوحدات العسكرية وكذلك في المواصلات ووسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية ، والمؤن) وأخيرا فاننا نرى أن جميع المجهودات التي بذلت لاستبدال اتحاد غرب أوروبا في أوروبا باتحاد الست دول وجعلهم كحقيقة سياسية أساسية أوروبية ، قد أخذ لطمة شديدة من جانب الدول فأسكتته في مهده . واليوم فان اتحاد عرب أوروبا موجود بكل تأكيد ويجتمع مجلسه مرات أكثر من تلك التي يجتمعها مجلس حلف شمال الأطلسي وقد حقق الكثير لدوله ، وفي الحقيقة فاننا لن نكتب شيئا لهذا الاتحاد يذكر به أكثر من اشتراكه في منظمة الاستفتاء الشعبي الذي يرجع تاريخها الى التاريخ القديم .

فكرة الاتحاد والتكامل الأطلسي قامت بتقديم كبير من الناحية العملية لم يسبق مثيله في تاريخ التحالف بين الدول الديمقراطية في وقت السلم .

ولكن المشكلة هي ان قيادة أركان حرب هذا الجيش تتكون من شخصيات عسكرية ذات جنسيات مختلفة ، ولذلك فانه لم يبق أمامنا شخص واحد يشعر بالمسئولية العليا للدفاع في قيادة نيطة رئاسة الدفاع فيها الى قائد أمريكي يساعده في ذلك ملحق انجليزي ويعمل تحت امرته قواد مختلفو الجنسيات في مسرح العمليات الأوروبية وأهم فرق هذا الجيش وهي تلك الفرقة الموضوعة في وسط أوروبا

والتي تتكون من أحد القادة الفرنسيين وفرقة العسكرية التي تكون أكبر جزء في حقل المعركة الغربية ، تخضع لأوامر أحد القادة الألمان .

الاعتماد المشترك

خلال تلك السنوات الأخيرة كان قادة الحلف متجهين نحو تطوير سياسة الاتحاد والتكامل هذه لأنهم اعتقدوا بأن هذا التكامل الفني يتساير مع مقتضيات العصر وكذلك مع روح حلف من المقدر له في نظر مؤسسيه التحول الى مجتمع حقيقي ملموس وليس حقيقة نظرية ولم تتوقف هذه الفكرة عن اللحاق بقطار عصرنا الحاضر حيث الصراع الذي لا يستطيع تجنبه • وحيث المنافسة بين الدول التي لم يعد لها معنى ولا مغزى • فالقضاء على هذه الأشياء هو ما ينقص فكرة «الاعتقاد المشترك» تلك الكلمة التي استخدمها لأول مرة الرئيس ايزنهاور والمستر ماكميلان عند مقابلتهما في برمودة في أكتوبر سنة ١٩٥٧ حيث كانا يرأسان أعمال مؤتمر أقطاب حلف شمال الاطلسي الذي اجتمع بعد ذلك في ديسمبر من نفس السنة في قصر « شايو » .

وقد حدد رئيس حكومة الانجلو ساكسون مغزى تلك السياسة في بيانها المشترك بأنها التعاون الحقيقي ووضع ثروات دول الحلف المختلفة تحت امرة واحدة ، والاشتراك في الرأي في النواحي المختلفة

التي تستطيع الدول الحرة أن تضمن تقدمها فيها وسلامتها .. وفي الحقيقة فإن وضع الثروات المختلفة تحت امرة الحلف كان قرارا جميلا جدا ، ولكن للأسف فإنه لم يتحقق وينفذ تماما حتى وقتنا الحاضر ، ويجدر بالولايات المتحدة ، ان تقدر ضخامة المعونة العسكرية والاقتصادية التي قدمتها لحلفائها الأوروبيين فهل يعلمون أن فرنسا قد أخذت من واشنطنون منذ انتهاء الحرب حتى الآن ما يقرب من ٥٠٠٠ مليار فرنك ؟

أما عن تبادل وجهات النظر والآراء فإنه من الواضح جدا انهم أقاموا تنظيما جيدا وتفكيرا حديثا بحيث تكون الناحية العسكرية تساوى جميع النواحي الأخرى المخصصة للأعمال القومية . ولكن في كلا الحالتين ، فإن حتمية النفاذ .. والمقدرة ، فإن بعض الأعمال الرئيسية كثيرا ماتأخذ بعض المعضدين جانبها وهذا بالطبع كثيرا ما يصطدم بأشياء كثيرة أخرى قد تكون أكثر أو أقل أهمية - ألم تسر اشاعة مدوية لوقت قصير بأن حلف شمال الاطلسنطى سيطلب من فرنسا أن تنازل عن أسطولها ، وبالرغم من ذلك فإن النتائج التي جنوها كانت بسيطة للغاية فيما عدا في الناحية الخاصة بانتاج الأسلحة أضف الى ذلك ان الاتفاقات الأساسية - التي اتخذت بشأن هذا الموضوع لم تتخذ في محيط الحلف الاطلسنطى ككل بل اتخذت بين فرنسا وإيطاليا وجمهورية ألمانيا الفيدرالية

ولم تر الجمهورية الخامسة أى سبب لهذه الاتفاقات ، وعلى ذلك حصل ميسو شاين ديماس على موافقة الجنرال ديغول التامة بعد مفاوضاته مع وزير دفاع الجمهورية الخامسة على استمرار النظام الجديد فى نفس ذلك الاتحاد ، ذلك بالإضافة الى خلق شركة أوروبية منتجة للصاروخ ، هوك ، .

وقفه الجنرال ديغول من أجل الاتحاد

اتنا اذا نظرنا بامعان الى معنى الاتحاد والتكامل فاننا سنجد أن نفس هيئة تكوين القوى العسكرية لا تحمل هذا المعنى فقد كانت الأقطار تتبادل وجهات نظرها السياسية فى نفس الوقت التى تخلقها فيه . ولذلك فانهم لم يغفلوا وجهة نظر رئيس فرنسا الحرة . فقد اتخذ موقفا مضادا لقيادة الحلف فى مؤتمره الذى عقده فى الخامس من يونيو سنة ١٩٥٢ والذى أعلن فيه « بمجرد أن تهزم المانيا وابطالها فجب على فرنسا أن تلقى برجالها وأسلحتها ونقودها فى خليط ثلاثى وقد نزل عليها هذا الانحطاط تحت اسم المساواة فى الحقوق والذى سبعا له. اشتهرت المانيا بعد امكان امتلاكها أو إعادة تكوينها لقوات عسكرية .

ومن المفهوم أن فرنسا هى الدولة الوحيدة التى أفقدت جيشها من بين جميع الدول العظمى التى تمتلك اليوم جيوشا كبيرة .

وبعد أن أصبح رئيسا للمجلس ثم بعد ذلك رئيسا للجمهورية
فقد قدر رجل الثامن عشر من يونيو اختيار الشعب الفرنسي
واتخاذ آرائه في الأمور الأوروبية . ولكنه لم يسحب كلمته ثانية
بخصوص صيغة الاتحاد الذي يجب أن يكون أوروبا أو اطلنطيا .
أو فرانكو - جزائريا ، فقد عرض كثيرا من نقاط الضعف أمام الشعب
العظيم ولكن بالرغم من هذا فإن رأيه هو المسموع من بين رؤساء
العالم . فبقا لرأيه يعتبر النظام القائم حاليا سيئا للغاية لأنه ينزع من
رءوس جنوده السبب الأول الذي يخوضون المعركة من أجله
ألا وهو خدمة الوطن .

ولما كان متخوفا من أن يقف وجهها لوجه مع المنظمة العالمية وبما
يفعله أمام حلف الاطلنطي والامم المتحدة ، اتجه الى الانتقام من الحلف
الغربي من ذلك الاتحاد الذي يضم جميع الدول الواقعة بين جميع
بخار العالم وقاراته ومن هؤلاء الذين ورثوا الرثا واحدا من الحضارة
من حلف يقوم على المساواة تبعا للاسس التقليدية القديمة تاركا
مجلسا للقيادة ليس مواحدا بل متجالفا لينظم شئونه المختلفة
ومقسما بالتساوى بين الدول الكبيرة .

وكان من الواضح أنها ليست ثمة مسألة للدخول في بناء نظام
مختلط يقضى بالطاعة أوامر ضباط أجانب يخضعون لنظم وقاعدة
منافضة للتقاليد القومية العظيمة ، يحفظنا من قوة التغير ولكنه لا يعدنا

في أي حالة لاى شيء جديد من شأنه أن يخلصنا من زيادة السلطة
القومية كلية كانت أو جزئية على قواتنا الحربية .

أسطول البحر الأبيض المتوسط

لقد صدر قرار الجنرال حول الأسطول الفرنسى فى البحر
الأبيض المتوسط بطريقة رمزية . وبالرغم من هذا فإن هذا القرار
لم يدع كاملا فى حين أن الحلفاء لم يجدوه مناسباً ولا حتى مقبولا
عندهم .

ولكن : مما يتكون هذا الأسطول : انه يتكون من ثمانية
طائرات ومن اثني عشر طرادا يبلغ حمولته ١٠٠٠٠ طن من السفن
ومجموع هذه السفن تدخل ضمن نطاق الأسطول البحرى الفرنسى
فى البحر المتوسط . ومنبؤضع هذا الأسطول فى وقت الحرب تحت
أمر القيادة العسكرية لحلف شمال الاطلنطى الموجودة فى
«زوكشور» والقرارات الفرنسية تتفق تماما مع تنظيمات
الحلف وليس مع زوجه ذلك القرار الذى يشتمل على اخبار
السلطات المسئولة بأن الأسطول الفرنسى سيبقى فى وقت
الحرب تحت قيادة قومية .

ولم تثر الحكومة عجب الدول حينما فسرَت الاسباب التى
دفعتها الى اتخاذ هذا القرار . وأول هذه الاسباب وأهمها هو حاجتها
الى عقد صلات دائمة مع أفريقيا الشمالية ، وبهذا استطاعت اقناعهم
لان حرب الجزائر لم تعد مجرد مناقشات كفا أن القوات المستخدمة

فى الحرب فى تلك الـجهة فمن المقدـر لها ان تبقى سائرة وراء العالم
القومى •

والآن بقى أماننا بدون شك تفسيران آخران متممان
لسابـقهما وأولهما وهو رغبة الجنرال فى حالة غزو العاصمة مكانه
الاتـقال هو وأقل عدد ممكن من القوات الى الجزائر ومعه خاتم الدولة
حتى يتقضى وقوع حوادث مثل تلك التى حلت بالدولة سنة ١٩٤٠
وثانيهما شن حملة من التبويـخ ضد تأييد استرداد الأشياء التى لم
يقدم عهدنا بعد . وهذا العمل يعتبر عملا رصينا من جانب فرنسا
ومعارضتها لجميع الأشياء الجديدة التى ترمى نحو التـكامل ، ورغبتها
فى أن تصبح فى أسرع وقت ممكن مشتركة فى اتـجاد ذى شكل
مبسط •

وكان الجنرال نورستاد هو أول من تفوه بهذه المواضع
الدقيقة ••

ألم يعلن الكونجرس الأمريكى فى السادس والعشرين من
يوليو سنة ١٩٥٩ ان تلك السفن لا تميز بين الليل والنهار ، وانها
لا تؤثر بالمرّة على القوة الدفاعية للحلف . ولكن أليس ميزان تلك
القوة الدفاعية مزعزعا جداً لدرجة أنه مهدد بالخوف اذا ما فقدت تلك
القوى الصغيرة ، ان هذا هو مبدأ تجاهل الأشياء الهامة • ومنذ
ذلك الوقت والمفاوضات لم تنقطع للوصول الى اتفاق عن طريقة
الدفاع عن البحر المتوسط •

ولم يكن قرار الانسحاب هو القرار الوحيد بل كان هناك قرار آخر برفض اقامة قواعد للقذف وكذلك بتخزين الاسلحة الذرية ، لان موقف فرنسا تجاه تلك التقطتين كان يعتمد على شروط معينة . وهى لو أن القيادة الثلاثية المشتركة التى يتخيلها دييجول رأت الموافقة على ذلك فانه سيقبل كلا المشروعين لان معارضته لها ليست من نوع تلك المعارضة التى يشنها ضد التكامل والتوحد فى تكتيكات الدفاع الجوى الذى طالبه به حلف الاطلنطى بصورة شبه اجماعية لان الجنرال دييجول فى الحقيقة يسير فى طريقه ورأسه متلىء بفاهيم ومدارك أساسية . فشمس فرنسا وأرضها يجب أن تحميها الطائرات الفرنسية . أما إذا وضعها تحت قيادة عالمية مشتركة أى أجنبية ، فانه يخاطر بذلك بأن يرى جنرالا ذا جنسية يفضل الدفاع عن بلاده الأصلية تاركا سماء فرنسا خاوية لاشئ يحميها ذلك لان الجنرال دييجول حين طالب بحماية جوية لعرباته المقاتلة سنة ١٩٤٠ ، ذهب نداءه أدراج الرياح ، كما أنه شعر بمتاعب كثيرة بعد أن أصبح رئيسا مؤقتا للجمهورية الفرنسية وخصوصا حينما أمر فون رانستد فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ بإعاقه الحلفاء عن الجلاء عن ستراسبورج .

ويبدو أن الوطنية الاساسية التى توصى بكل تلك الاعتبارات

هى التى يجب أن تكون الملاذ الوحيد لجميع المناقشات التى تنشأ
حول تلك المسألة ولكن القادة الحريين الأطلنطيين بما لهم من
قرارات شبه اجماعية فهم يرون الأشياء من وجهة نظر تختلف تماما
عن تلك التى يرى منها الامور . فهؤلاء القادة يقدرّون أن وجود
قوة دفاعية جوية ذات قواعد مختلفة فى عصر أصبحت قاذفات القنابل
الذرية ذات سرعة تفوق سرعة المدافع المضادة يتطلب إعادة النظر فى
جميع الخطط الموضوعية . أضف إلى ذلك أن فكرة وجود اطار
قومى يجب أن تزول لأن عمل الحلف هو الدفاع عن أراض أكثر
اتساعا من أرض فرنسا . ولكى تدفع تيار بريطانيا الى عجلة العذاب
أعلنت عزيمتها دخول حلبة السباق والحرب على شرط أن ترى
أمامها نظاما موحدا . فدائما نجد أن الذى يدفع فرنسا الى الاعتراض
هو أننا نجدهم يطالبوننا دائما بالتنازل عن سيادتنا فى الشاطئ الآخر
من المانش أضف الى هذه البيعة وجود جنرال بريطاني على رأس
القوات الجوية فى وسط أوروبا ولكن فى الحقيقة فإن هذه الرئاسة
لها قوة رمزية وخصوصا وأن المقاتلات البريطانية ستزسل دائما
لحماية الجزر البريطانية التى أعطتها المقدرة الجغرافية وعدم
العدالة التاريخية موقعا بعيدا ومنعزلا عن الاخطار .

وعلى ذلك فإن تصميم الحكومة لم يصلح أو يعدل من الرأى
العالمى ولا نستطيع فى هذه اللحظة التى نعيشها أن نرى كيف خرجت
تلك المشكلة من داخل نطاق المناقشات والمحادثات التى دارت بين

الجنرال ديغول والرئيس ايزنهاور فى التاسع والعشرين من سبتمبر سنة ١٩٥٩ ، تلك المناقشة التى تعتبر بحق أعظم المناقشات . وفى هذه الاثناء عملت بلجيكا وهولاندا وألمانيا الفيدرالية على الوقوف على أرجلها للدفاع عن سمائهما بنفسها وتحمى نفسها ضد قاذفات القنابل الاسرع من الصوت « سوبر سونيك » فى ميدان المعركة الذى يمتد بالنسبة لكل منها بعض المئات من الكيلومترات .

القيادات

وتبعت هذه المناقشات مناقشة أخرى غرضها إعادة تنظيم القيادات وإعادة توزيعها فى القارة الأوروبية . ولم ينجح هذا النظام الجديد كسابقه من النظم لانه لم يعمل به بمجرد خلقه ولم يطبق على الاجزاء التى كان يجب أن يطبق عليها : فهو يأسف بشكل ملحوظ للممثل الفرنسى الموجود فى القيادة البحرية بمطما والمسئول عن جميع طرق المواصلات والاتصالات عبر مجموعة دول البحر المتوسط ، ولكنه كان فى نفس الوقت يسير على نهج الخطة التى كان يرسمها أصدقاءه الاتراك والايطاليون كما انه يأسف للأسطول الفرنسى فى البحر المتوسط الذى أصبح ذا أهمية عظيمة تؤهله بالاعتراف به فى القانون وخصوصا بعد أن فقدت بريطانيا سيطرتها على قناة السويس . ومن جهة أخرى فانا نجد أن الانجليز قد تسلموا قطاعين عظيمي الأهمية فى داخل تلك القيادة فى حين أن فرنسا

لأتحرس إلا البحر المتوسط الغربى المنوطة قيادته الى الاميرال
آأوبونيون) ومن هنا انبثقت فكرة خلق قيادة جديدة تحمى البحر
الايضى المتوسط كله من ناحية المحيط الاطلنطى وتسلم
مقاليد القيادة لقائد فرنسى وهذا هو مايسمى بمشروع ايرلانت
ولكنه يفترض بالطبع موافقة البرتغال وأسبانيا بالرغم من أن هذه
الاخيرة لا تدخل فى حلف الاطلنطى وهذا ما جعل الحكام فى قصر
الايلىزية يقفون فى جانبها فى بعض الاحداث الاخيرة وعلى كل
حال فان الاقتراح الذى يفسر هذا الموضوع مازال غامضا ومهما
حتى بالنسبة لهؤلاء الذين ينادون بخلق قيادة أخرى جديدة
بخلق « مجتمع » حقيقى اطلنطى مشترك فى خطته السياسية
التي يجدون فيها وجهة نظر مقبولة فى عدم رضاهم أو راحتهم
لهذا الزحف الذى ترمى اليه باريس .

والآن يجب التأكد خلال مجرى هذه الاحداث من أن المطالب
المعروضة منذ سنة مضت من جانب الحكومة الفرنسية لم تدخل
ضمن مجموعة المطالب التي لم تحز نجاحا . لان ذلك يذكرنا بالطرق
الكثيرة التي تعرفل سير مثل تلك المشاريع لانها لو استعملت فان
الاهداف لن يمكن تحقيقها أبدا .

بل على العكس من ذلك فانها قد تثير فى نفس بعض المشتركين
بعض الشكوك الدنسة أو قد تثير فى نفوسهم فرجة مزدوجة .
وسيهووافق كل منهم على أن صوت فرنسا ومطالبها التي كثيرا ما كانت

شرعية سيصبح أحسن مما كان كثيرا في اليوم الذي ستنتهي فيه الحرب الجزائرية اذ انها ستصبح في مكانة تسمح لها بتنفيذ التزاماتها وجها لوجه مع حلف منظمة شمال الاطلسي، وبمعنى آخر انها ستصبح قادرة على أن تضع تحت أمرته الاربعة عشر فرقة التي كثيرا ما وعدته بها في حين أنها لا تتعدى الآن فرقتين ونصف . وبدون شك فقد فهم الجنرال ديغول ذلك وفعل لعب ذلك العنصر دورا كبيرا في تصريحه الذي أدلى به في السادس عشر من سبتمبر

الفصل السابع

ما وراء الناحية العسكرية

ان المشكلات الاستراتيجية وامتلاك الاسلحة الذرية وعمليات الضغط التي تمارس خارج نطاق المنطقة التي تغطيها منظمة شمال الاطلنطي وعدم المساواة السائدة بين أعضائه أنفسهم ، كل ذلك أرجعناه في فصول هذا الكتاب للناحية العسكرية . أما بالنسبة لنقطة الاختلاف بينهم فهي ليست عسكرية . وبما ان الحلف الاطلنطي لا يجب عليه أن يختص بالناحية الدفاعية فقط وهذا بالنسبة لوجهة نظر منشئيه ، فان المادة الثانية من الحلف تنص على ما يلي :

يساهم جميع الاعضاء المشتركين في هذا الحلف على اقامة العلاقات السلمية والودية العالمية وذلك لتقوية مراكزهم الحرة، وتأكيذا لفهم أفضل للمبادئ التي قام على أساسها هذا الحلف، والعمل كذلك على ايجاد الظروف التي تساعد على وجود استقرار والحياة الطيبة . وسيعملون جهدهم على محو جميع المتناقضات في سياستهم الاقتصادية العالمية ويشجعون على الاشتراك في النواحي الاقتصادية بين كل منهم على حدة وبين المجموعة ككل .

وأصبحت هذه المادة الثانية عبارة عن دواة حبر للحلف ذلك لان معدتهم كانت مكتظة جدا لدرجة تمنعهم من تقبل المزيد في حين أننا نجد بعض الحكومات تفهر هذه المادة بمعان أضخم من ذلك اذ تقول أن تلك المادة التزام من الحكومات الموقعة حقيقى اطلنطى مشترك في خطته السياسية والاقتصادية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

ففى نفس اللحظة التى وقع فيها الاعضاء على ميثاق الحلف تفوء المستر ليستر بيرسون بكلمة «مجتمع» وقد كان حينذاك وزير خارجية كندا، وقد حصل بعد ذلك على جائزة نوبل للسلام . وبسرعة البرق اشتهر اسمه بعد البلاغ الذى أصدره مجلس حلف الاطلنطى وفى سنة ١٩٥١ اجتمع مؤتمر اتوا وخلق لجنة تتكون من خمس أعضاء (بلجيكا وكندا والنرويج وايطاليا والاراضى الواطئة) تكفلت تكفلت بدراسة العمل على تقوية المجتمع الاطلنطى وعلى وجه الأخص تطبيق النص الوارد فى المادة الثانية . وبعد ذلك بعام قدمت هذه اللجنة فى مؤتمر لشبونة تقريرا أثنى عليه الجميع جاء فيه مايلى :

- تنظيم السياسات الخارجية .
- تدعيم التعاون الاقتصادى .
- مد يد المعونة للجميع (وعلى الاخص ايطاليا ذات الشبح الذى يؤرقها دائما الا وهو الثلاثة ملايين متعطل)
- التعاون الاجتماعى والثقافى .

– زيادة تركيز أعمال الخاصة بتشر المعلومات •

تقريرات الحكماء :

فى مايو سنة ١٩٥٦ عادت ثانية مناقشة مسألة المجتمع الاطلنطى
بى مجلس وزراء حلف شمال الاطلنطى وذلك لانه لم يحدث أى
تقدم ملموس يذكر ، ومن ثم تكونت لجنة أخرى جديدة تتكون من
ثلاثة أعضاء أو ثلاثة حكماء ، وهم مستر ليستر بيرسون «من كندا»
ومستر كاجتينيو مارتينو (من ايطاليا) وهالفارد لانج (من النرويج)
ولكن لا يجب أن نخلط بين هذه اللجنة ولجنة الحكماء الآخرين التى
كانت مكونة من هاريمان – ومونيه – وبلودن التى تحدثنا عنها سابقا
والتي كلفت فى سنة ١٩٥٢ باتتكيم بين مطالب العسكريين ومدى
امكانيات بيوتات المال •

وكانت أزمة السويس تبتق مرات ومرات لتعطى للحكساء
بريقا لامعا عن الأشياء التى لا يمكن عملها فى ظروف مماثلة لانها
وضعت خطا تحت الحروف وبينت أن سبب تلك المصيبة يرجع لعدم
كفاية الاستشارة بين الدول الاعضاء الداخلة فى حلف شمال
الاطلنطى لان كلا منهم كان مشغولا باحترام آراء الآخرين وعدم
اتخاذ أى عمل ايجابى فى الوقت نفسه دون استشارتهم • ولقد
شاهدوا أى مدى نفذوا هذا العمل فى لحظة الأزمة التى وقعت فى
الشرق الأدنى فى صيف عام ١٩٥٨ وفى الحقيقة فان تنظيم هذه
الاستشارات روعى فيها عدم وجوب اصطدامها بصعوبات مادية بالغة
الأهمية أو بسياسة أى عضو من أعضائها كما أعفيت تلك القرارات

من تقديمها الى المجلس الدائم الذى يجتمع أسبوعيا لمناقشة مد
وجزر سياسة الدول الاعضاء وخاصة كل ما هو يتعلق بتبادل التمثيل
الدبلوماسى بالشرق • وقد كان من الصعب جدا اعتباره عملا يستدعى
السرعة لانه كان يحتاج لسرية تامة •

وقد أكد المجلس الدائم انه ما هو الا منظمة عملها تسلم واعطاء
المعلومات فقط وانه ليس فى مقدوره اتخاذ أى قرار نهائى • ففى
اليوم الذى سيكون فى مقدوره فعل ذلك فانه يجب على وزراء
الخارجية المشتركين فيه أن يتنازل كل منهم عن بعض سلطاته وقد
أدركوا خطورة ما قد يحدث لو أصبح الموقف هكذا • ذلك لان
المستر ادجار فور استمال الى جانبه المستر جاستون بالويسكى كوزير
مفوض لمناقشة المسائل الاطلنطية فى حين أن المستر انطوان بينى كان
يذوق منه الامرين حينما كان يناقش مصائر كواى دى أورس

فلو أن اللجنة الدائمة رأت بعد تغيير مفاجىء أداء واجباتها الكثيرة
ولو أن أعضاءها تسلموا جميع اقتراحات وزراء حكوماتهم فان تلك
اللجنة لن تتقدم أبدا لان حق الفيتو الذى يمكنه أن يوقف قرار
الخمس عشرة دولة كاف جدا لايقاف مفعولها ومن ثم فان حاملى
لواء مساندة وتعضيد الحلف لم يكفوا أبدا عن المطالبة الى الالتجاء
فى بعض الحالات الى صوت الاغلبية وفى بعضها الآخر الالتجاء الى
خلق لجان فرعية لا تشترك فيها جميع الاعضاء الداخلة فى الحلف •

فاليوم لحسن الحظ وصلنا الى حل لمشكلة قبرص المعقدة وأعطت
يكن ينقص الا صوتا واحدا لاعطاء الحياة للتائج التي وصل اليها
لنا مثلا دائما ما نستشهد به على سخافة قاعدة الرأي الجماعي ، فلم
المستر سباك الذي أقر له تقرير الحكماء الثلاثة بحسن مقسدرته
وتصرفاته • وفي الحقيقة كان الصراع يقوم بين عضوين من أعضاء
الحلف فقد أظهرت اليونان قلقها القديم وانسحبت لتبتدىء في تمثيل
نفسها في مركز قيادة الحلفاء العليا في أزمير •

وهذه الحالة متطرفة الى حد كبير ، ولكن الحقيقة تضطرننا
الى الاعتراف بأنه لم تدر أى منازعة من تلك المنازعات الكبيرة التي
شأت في خلال تلك السنوات الاخيرة في داخل العالم الغربي الا
وصلها منظمة شمال الاطلنطي • فحتى المعسكر السوفيتي نفسه
قد نشأت فيه بعض انواع الصراع الداخلي ، ولكنه كان غالبا ما يحلها
قبل أن تصل اليها ويوجد الآن تحت يد دول الغرب قوة هائلة
تكلفهم الكثير وخبراء معتادون على دراسة أعظم المشاكل تعقيدا ،
وظهرت أمامنا نتائج المناقشات المعقولة وقامت أمام أعيننا فرعاء
الحلف دائما ما يكررون ويؤكدون نيتهم في بناء مجتمع حقيقي بثت فيه
الروح الفكرية لعضارة واحدة . ولكنهم عاجزون عن غسل
أصواتهم القذرة ثم بعد ذلك ينشرونها بكل عزم وتصميم أمام
أعين عدوهم الرابض امامهم ، وعلى ذلك فان العدو يعتبر استغلاله
لناقضات الدول الرأسمالية سلاحا أساسيا بين يديه ولهذا السبب فهو

يميل دائما الى المبالغة فى أهمية هذا السلاح مضافا اليه الحزب الذى
يستطيع استمالته فى جانبه •

رفض المتدين للقرارات :

وأحد الامور الرئيسية التى تؤدى الى الضعف بل وبليلة هذا
الضعف من الداخل والذى يقود الحلفاء الى عدم الثقة فى كل منهم
هو رفضهم التام وامعانهم فى هذا الرفض لكل قانون أو قرار لا
يتمثل فيه الخمسة عشر دولة ، ولكن هناك استثناء واحد وهو
قرارات لجنة التخطيط الاستراتيجية ذات الصبغة الحربية المطلقة

وبدا فى الامكان الوصول الى تقدمات عظيمة فى المعنى الخاص
بخلق جماعات للعمل لكل منها تخصص فى وجوه معينة ولا يشترك
فيها الا عدد محدود من الدول . وفعلا قامت بعض تلك الجماعات
فى سنة ١٩٥٨ لكى تقدم نفسها لاجتماع مؤتمر الاقطاب الذى كانوا
يتحدثون عنه حينذاك ، وكانت أولى تلك الجماعات تتكون من ممثلى
الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى وألمانيا واليونان وايطاليا
والأراضي الواطئة وناقشت تلك المجموعة وفحصت مشكلات الأمن
فى أوروبا واعادة توحيد ألمانيا ، وكانت تلك المشاكل قد درست خارج
حلف شمال الاطلنطى منذ مارس سنة ١٩٥٧ فى داخل نطاق
اتصالات ضيقة جدا ومحدودة كانت تتم فى شكل لجنة رباعية تدخل
فيها الدول الثلاث الكبرى التى كانت ممثلة للجمهورية الفيدرالية

يُقد أدى عمل هذه اللجنة الى توضيح السياسة العامة لدولة الحلف
بعد نشر اقتراحاتها •

وافقت الدول الخمس عشرة دون مجابهة أى صعوبة فى ذلك
على ترك الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا العظمى وايطاليا وكندا
للتكلم باسمهم فى بعثهم الجديدة الموفدة لنزع السلاح فى جنيف
ألا يمكن أن تتطلع تلك المجموعات الى حل المشكلات الاخرى بهذه
الطريقة ؟ فتخصص مثلا بعض الدول لحل المشاكل الافريقية مثل :
فرنسا - وبلجيكا - وبريطانيا العظمى - والبرتغال مضافا اليهم ايطاليا
والولايات المتحدة الامريكية • ويخصص لحل مشكلات الشرق
الأدنى بريطانيا العظمى والولايات المتحدة وفرنسا الموقعون على
اتفاق سنة ١٩٥٠ مضافا اليهم ألمانيا وايطاليا وهما يلعبان دورا
اقتصاديا ودبلوماسيا هاما فى ذلك القطاع من العالم •

والآن اتنا نجد أن عمل هذه اللجان الرئيسى هو عمل فنى
لا أكثر ولا أقل ، فهى تحضر المشروعات ولكنها لاتتخذ أى قرارات
و تسير أى خطوات نحو تنفيذ تلك المشروعات ، ولذلك فاننا نرى
السلج الوحيد موجود فى جميع الاحوال التى يتم فيها اجابات
سريعة على مقترحات تلك اللجان • وعلى ذلك فانه من الواجب
بعض الحلول الاخرى وعرضها غير تلك الحلول التى حازت على
رضا الأغلبية والتى يجب أن تؤدى فى نهاية المطاف الى اتساع وتقدم
نطاق الاستشارة ومن ثم يجب أن تتخيل شكلا تنفيذيا بأى حال كان ،

وهذا هو ما يطالب به الجنرال ديغول . ولكن هناك خطأ أساسيا يعوق مطلبه وهو أنه يريد ان يقوم بالتنفيذ على أساس عدم المساواة وبما أن هذه الحالة موجودة فعلا لانها تعتمد على مدى تحمل المسئوليات ومدى المقدرة الحربية ، فان هذا العالم يفقد معناه ويصبح لا قيمة له لانهم فى هذه الحالة سيدجأون الى فكرة الاخطار الناجمة ومدى تحمل كل منهم فيها •

ولكن لماذا لم يفكروا والخطال هكذا فى البدء فى تكوين مجلس د. من فى داخل نطاق الحلف مماثل لذلك المجلس الموجود فى الامم المتحدة وذلك من ناحية أعضائه الدائمين وغير الدائمين ؟ واتنى أومن بأن أحدا لن يعارض الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا التى تعتبر الاعضاء المؤسسة لمنظمة هيئة الامم المتحدة اذا ما أقاموا أعمدة مجلس كهذا لمنظمة شمال الاطلنطى ويمكن اقامة الحائط الاول من عضوين غير دائمين ينتخبان سنويا أو يتبع كل منهما الآخر • ويمكن كذلك أن نضع فى أذهانتنا أن تكون احدى هاتين الدولتين كندا أو ألمانيا أو ايطاليا وذلك حتى يضموا فى حسابانهم مدى اهميتهم ومساهمتهم فى هذا الشأن • وفى حالة تعرض احدى الدول الاعضاء الداخلين فى الحلف لاي من الاخطار فانه من الواجب فى تلك الحالة أن يضم المجلس ممثل تلك الدولة • واتنى أومن بأن مثل هذه اللجنة أحسن وأفضل مائة مرة من مجلس دائم

يكون من خمسة عشر عضوا • مجلسها يجتمع دائما على مستوى الوزراء أو وكلاء الوزراء ، ألا يكون هذا أسهل بكثير من مجلس ادارة ثلاثي ؟ ان هذه اللجنة بدون شك ستملأ الفراغ الذي أفسحوه من أجلها والذي وثقوا فيها ملئه •
ثىء منسى دائما :

ان كل ماحدث بعد بدأ منظمة شمال الاطلنطي في العمل كان في جميع الحالات يتفق على تقدير النظام القائم فعلا الذي لايعتمد على نقاط الضعف بل على أشياء أخرى ثانوية وذلك رغما عن وجهة نظر السكرتير العام المستر مباك ذلك البطل الذي يقتنع بتحويل الحلف الى مجتمع واحد • ولكننا نجد بالرغم من هذا انه يقدر ماينبثق من أسئلة روتينية ، ومن تغيير في المعلومات ومن مشاعر شخصية ومن منازعات طفيفة بين دول الحلف أنفسهم ، ومن تحرير مذكرات دبلوماسية ، يقدر مانجد أن المشاكل طفيفة للغاية ، ولكن ما ان بزغ في الافق مشكلة معقولة ما أن تجد الدول الكبرى تمتنع عن عرضها جديا على المجلس • فقد رأينا حينما وقعت مشكلة السويس بعض سفن الاسطول الامريكى في لبنان وكان يتقدمها الفرنسيون في مركز القيادة ولم تعلم فرنسا بهذا رسميا الا بعد ذلك .
بثمانية أشهر اذا علمت بأن الجنرال نومستاد قد قرر أن يرسل الى فرنسا قاذفات قنابله .

وقد رأينا ذلك أيضا في مشكلة برلين ، اذا لم تشترك الدول
الخمس عشرة الاعضاء في مجرى الاحداث الا في اذيال الدول
الثلاث الكبرى وتتقدمهم الجمهورية الفيدرالية ، وفي الحقيقة لم
تغش هذه المشكلة مناقشة عملية وعميقة وبدون شك فانهم كانوا
يخافون من أن يعاد وضعها باستمرار على بساط البحث الذي أصبح
الآن من الصعب مده الى السريع وبذلك ستصبح تلك المشكلة في
مدة وجيزة شبيهة بنجم (بنيلوبي) .

وقد كان التناقض الواضح جدا بين الفاعلية الضرورية للحلف
وبين حق الفيتو موضوع النقاش في مناقشات عدة كان بعضها علانية
والبعض الآخر سريا واطتت جميعها بنفس الطريقة اذ كان يتم
الاتفاق على : لقد اتفق الجميع على الخروج على النظام الحالي لاننا
بدونه سنصل الى اتفاق أعظم عن احداث المستقبل ومن جهة أخرى
أصدرت الولايات المتحدة رغبتها عن هذه القرارات. ذلك لانها أرادت
في الحقيقة الاحتفاظ بمنطقة حلف شمال الاطلسي كما هي تماما أي
أن يبقى أحد العناصر الداخلة في شبكة الاحلاف التي تعترف بحلف
«ريو» الأمريكي ، وحلف بغداد وجميع الاتفاقات والاحلاف الثنائية
وغير الثنائية الداخلة فيها أمريكا. وانها لا ترضى ولا تستطيع أن تلزم
الاحلاف الأخرى .

نفسها بالتزامات نحو هذا الحلف أكثر مما تلزم به نفسها نحو
فحتى البريطانيون أنفسهم وجدوا أنفسهم يحاولون الزيادة من

سلطتهم السياسية في منظمة حلف شمال الاطلسي. ولكونهم معادين للتقليد الذي ينادى بالتعالى عن الجنسية ، ولكونهم راغبين في الاحتفاظ الى أقصى حد بسيادتهم وبالصلوات الخاصة التي نجحوا في نسجها مع الأمريكيين فقد اقتنعوا جدا بالحلف بشكله الراهن . واستمروا في الاهتمام أولا وقبل كل شيء بالناحية العسكرية . أما من جهة فرنسا والجنرال ديغول فانهما يعرفان ماهى وجهة النظر الاساسية فى الموضوع .

التحرك من أجل المجتمع الاطلسي :

انه لايجب على دول الحلف أن تنتظر فى تلك الظروف أن ترى منظمة حلف شمال الاطلسي تسير فى السنوات القادمة فى الطريق الذى سيؤدى الى حلف خفى ومبسط نواته «المجتمع» الاطلسي . ولكن مع ذلك يجب ألا نغض من قيمة قوة الاحداث الجارية التى تعتبر فى رأى دول عديدة دعامة لموضوع المجتمع الاطلسي الذى اقتنع به عدد كبير من رواد الحركة وعلى رأسهم كلارنس ستريت الأمريكى الذى ضحى بسنوات عديدة من مجهوداته فى هذا الموضوع ، فقد كان خلق جمعية برلمانية لمنظمة حلف الاطلسي فى سنة ١٩٥٦ رغما عن تلك القوات التى كانت محور الامس فى مشكلة السويس خطوة أولى نحو انعقاد مؤتمر لندن سنة ١٩٥٩ وعقد بعض المقابلات التى سمحت بالنواة الاولى للروح الاطلسية .

وقوانين حلف شمال الاطلسي نفسها التي كثيرا ما فكروا فيها أدت الى نحو من نوع خاص بين مئات العوامل التي تشغل بال عقلية موحدة مشتركة • لقد اكتشفوا كم من المنازعات التي نشأت بشأن الحدود أو المركز التي لم تكن تقوم على أساس كبير والتي كانت تدفعهم الى اعادة تكوين كل ما يقربون الحصول عليه ، فأقامت في وجه تلك التهديدات والفتنة الجماعية مجتمعا كبيرا من الرجال الاحرار • ولكن ذلك لم يعرفوا قيمته الا حديثا جدا • لانه من المفهوم أن الاتفاقات التي وصلوا اليها تحت اسم الحاجة والضرورة التي تتطلبها التنظيم لا تتفق والمثل الديمقراطية ولكن بالرغم من هذا فلم تحتقرها على المكشوف •

وانا لانجد انتشار هذه الروح الا في أركان حرب القيادة وتواجه مشكلة العمل المشترك اليومي خطرا جسيما ذا شكل خاص وهو يبعد في مداه عن التقاليد والمنوعات والاهانات القائمة الى الابد ، تلك الاخطاء لا يمكن لاحد أن يتخلص منها قبل عشر سنوات على الاقل • وقد برهن هذا الخطر على أن الاتحاد ليس مدينة فاضلة تتعدى جميع الحدود ولكنه حقيقة طبقت تبعا لبعض مقاييس عصرنا الحديث ، كما أنه برهن كذلك على أن تلك الاخطاء هي الحائط الوحيد من الحزبيلات والاوهام التي تعوق بعض الاعتقادات التي تأمل في مستقبل منذر بالخير ولقد تمخضت التجربة في هذا المضمار عن نتائج مذهشة عكس ما كنا تصور •

والآن لم يبق عندنا الا عادة اجتماع الوزراء الى مرات كثيرة كل عام فبالرغم من هذه العادة الا اننا لم نجد انها قد حققت أى صلات أو روابط شخصية من شأنها أن تؤدي الى تفسير جميع أنواع المناقشات والمحادثات والاتصالات التي تنشأ بينهم ولكننا نجد في نفس الوقت انه بالرغم من تلك المناقشات والمناورات التي لا يمكن تجاهلها أو تجنبها فانا نجد أن الخصمين أو المتخاصمين كثيرا ما يجدون أنفسهم قانعين وراضين بعد أن أطفئت نار غلهم على خشبة المسرح الاطنطى ذلك لانهم يميلون دائما ويعلم الله أن هذا الميل طبيعي انى إعطاء مشاكلهم الابعاد الحقيقية التي تستحقها ، كما انهم يميلون الى الاشياء التي تزيد الوحدة بينهم بأسرع ما يمكن ويبعدون عن تلك التي توسع هوة خلافهم •

ولكن لكى نقسم بالصدق فيجب ان تذكر هنا ان الدول الكبرى ما زالت مستمرة في كرهها للاشتراك حقيقة مع الدول الصغرى في طرقها في الحياة وثروتها المالية ، كما انها تستكف أن تتساوى مستويات المعيشة بينها • وما زال حتى الآن اختلافات كثيرة جدا بين أعضاء دول الحلف عن فهمهم وادراكهم لبعض النواحي الفلسفية السياسية والاخلاقية حتى انك لتجد انهم لم يصلوا أبدا الى اتفاق بشأن المفاهيم والمعاني الحقيقية لتلك القيم • واذا أخذنا مثلا لذلك فيجب ان ننظر الى تلك الهوة الساحقة بين دولة مثل هولندا تقدر عظمة حلف شمال الاطلنطى حق قدره ولا ترفض أبدا الاعتراف بمعنى القوة والثبات الكامن فيه ودولة كاسكاندينافيا

ذات الاعضاء المشتركين في الحلف والذين يفسرون التزاماتهم نحو الحلف في معان محدودة للغاية ويقصد منهم ، ولا تقل تلك الاختلافات قوة في افساح المجال مثل تلك الهوة التي بين البرتغال الجماعية ، وتركيا الدكتاتورية وكوبنهاجن وأوسلو ممن يؤمنون بالديمقراطية الاشتراكية . وأخيرا فلنر تلك الفوارق بين الجزر المتفرقة هنا وهناك أنه لن يمكن بدون شك أن يكون هذا الحلف بمفرده قادرا على تقديم الفرص لجميع الاعضاء مع التغاضي عن الجنسيات •

وعلى ذلك فانه يبدو أنه من الحكمة ، وعلى الاخص في ذلك الوقت الذي تحققت فيه القوميات والذي تتداعى فيه بعض القلاع التي كانت على مستوى رفيع من الشهرة من الحكمة أن نبحث عن الروح « الجماعية » في تلك النواة التي بدأت تثبت فعلا في اطار الدول الاوروبية الست ، وأن نجتاح هذه الروح في البزوغ سيدفعها حتما الى الانتشار والاتساع والبرهان على ذلك حديث العهد جدا ، ويمكن رؤيته في سير اليونان وتركيا بفضل اتحادهما للقيام بعمل سوق مشتركة •

الفصل الثامن

الأخطاء الموجودة في «المجتمع» الاطلنطي

ان ما يحق لنا أن نصف به الناحية السياسية يحق لنا ان نصف به الناحية الاقتصادية والاجتماعية بل واكثر منه وهو «المجتمع» الاطلنطي مازال حتى الآن فكرة مثالية بعيدة المنال ، فاوروبا وحدها هي اى تستطيع فى المستقبل القريب أن تقيم اطارا سليما لتطور وتقدم جدير أن يوصف به «مجتمع» كما يجب أن يكون أليس ذلك الاطار بقادر على أن يشير فكرة المساواة بالرغم من اختلاف مستويات المعيشة وبالرغم من قلة الفرص التى لا توجد حتى ولو مجرد حبر على ورق فى الوقت الحالى ؟

ان الحلف يضم خمسة عشر عضوا يوجد فيما بينهم اختلافات شاسعة جدا فى الاحوال المعيشية ، فالولايات المتحدة وكندا والسويد وسويسرا هى دول فيها الدخل القومى مرتفع جدا ، ولا تشعر تركيا واليونان يخجل حينما تنظران الى الحدود التى حولهما وتجدان تلك الدول التى تحوطهما تعتبرهما من البلدان المتخلفة اقتصاديا ، وان رخاء وزارة المالية البرتغالية لن يجعلها تنسى الفقر الذى يحيق

بشعبها ، وكذلك لن ينسى غنى لومباردى فقر وتعاسة «صقلية»
و «دى لاكابر» •

وكثيرا ما حاولت منظمة حلف شمال الاطلسي اثناء على
دولها لايجاد حل لتلك الحالة التي تتعارض وادعاءها بتفوقها الروحي
والمادى ، ولكن النتائج كانت ضئيلة للغاية ، وحقيقة الامر هو أن
الحلف الاطلسي نفسه لم يشر إلا اشارات سريعة الى مشاكله
الاقتصادية ، فتنص المادة الثانية فيه على أن الاعضاء المتقدمين فقط
هم الذين يضعون الشروط الأساسية لضمان الاستقرار والحياة
الطيبة ، كما يجب عليهم العمل على محو جميع التناقضات بين
سياساتهم الاقتصادية العالمية وتشجيع التعاون الاقتصادى بين كل
واحدة منهم على حدة ، وبين المجموعة ، وحينما وضع الحكماء
الثلاثة السادة ، مارتينو ، وبيرسون تقريرهم سنة ١٩٥٦ عن تقدم
التعاون فى النواحي غير العسكرية وصلوا فى النهاية الى نتائج تافهة
جدا فى الشئون الخاصة بالناحية الاقتصادية واول شيء أوضحوه هو
أن المشاركة والتعاون الاقتصادى يجب أن يتبع على نطاق أوسع واكبر
فى الحلف ، ووصلوا فى النهاية الى الاعتراف بالدور الرئيسى الذى
تلعبه المنظمة الاوروبية التعاونية الاقتصادية التى لا تشمل فقط أعضاء
حلف منظمة شمال الاطلسي ولكن أيضا تشمل على دول أخرى
مجاورة • وفى احدى اجاباتهم على بعض اقتراحات ألمانيا أكدوا
وصمموا على أن الحلف لا يمكن أن يكلف نفسه بمحاولات اتخذيها
وقامت بها بعض المنظمات الاخرى ، ودائما أثبت الاعضاء أهمية

بعض الاستشارات الخاصة به والتي يجدها ماثلة في بعض المسائل الاقتصادية ذات «القيمة الخاصة» بالنسبة للحلف وعلى وجه الأخص إذا كانت تلك المسائل ذات قيمة سياسية أو تحتوى على قرارات خاصة بمشكلة الدفاع أو تؤثر على الحالة الاقتصادية «المجتمع الاطنطى» بوجه عام واقترح الاعضاء الحكماء أخيرا الالتجاء دائما كلما اقتضت الحاجة الى المساعدات والى تكوين لجنة اقتصادية استشارية •

وتطبيقا لتلك التوصيات اعترف مجلس منظمة حلف شمال الاطنطى بسناكل جزر صيد السمك وباطرح القائم بين بريطانيا العظمى واذربا الاوروبية التى تقترح اقامة منطقة للمبادلات الحرة • ولكنها لو ساعدت تلك المنظمة على الاقل فى ايضاح جميع النقاط التى من شأنها أن تؤدى الى اعاقه التقدم فيها ستكون بالتالى قد وقفت موقفا سلبيا للغاية . ولكننا يجب ألا نسى أن الصراع القائم حول اشتراك بون فى الابقاء على القوات البريطانية الموجودة على أراضي الجمهورية الاتحادية لم يحل عن طريق المحادثات الثنائية بل يفضل تدخل منظمة حلف شمال الاطنطى وهذه بالطبع طريقة أخرى تبين مجهودات المنظمة فى المجال الاقتصادى . ولكن الشئ الملحوظ هو عدم تأثر أى عضو من أعضاء المنظمة سواء بنقص منتجاتها أو بسبب الاستهلاك المدنى . بل كانت النتائج على العكس من ذلك لان الدلالات والارقام تدل على أن الانتاج الصناعى ازداد

بمقدار انضعف في أكثر الدول الداخلة في نطاق الحلف في مدة
أول من عشر سنوات •

أما الاستهلاك الخاص فقد كان يتزايد بطريقة منتظمة إذ تدرج
من ٤٢٠ دولارا لكل رأس في أوروبا الاطلنطية في سنة ١٩٤٩ الى
٤٩٢ دولارا في سنة ١٩٥٥ في حين أن النفقات العسكرية السنوية
ما زالت تقرب من ٤٠ دولارا .

الامتحان السنوي

انه لم يكن من الممكن الحصول على تلك النتائج لو لم يتدخل
الحلف فيها فإقامة مؤتمر لشبونة للمبادئ والاسس التي تقوم عليها
المساواة في مساهمة كل دولة من الدول الاعضاء من ناحية امكانياتها
الاقتصادية والمالية ، فقد حقق هذا المضمار نتائج نهائية . ومنذ
ذلك الوقت يتمسك مجلس الوزراء كل سنة بوثيقة تسمى الائتمان
السنوي التي تحدد الاهداف التي يجب عليه تحقيقها في العام القادم
مع وضع الاحتياطات للعام التالي ، وتشير بعض الاشارات الى العام
الثالث . ويقوم السكرتاريون العامون بالاتفاق مع المجلس الدائم
والحكومات والقيادات بايضاح نقط خطط المستقبل خلال فترات
الاستراحة التي تتخلل الجلسات •

وتلك العملية التي يقوم المختصون بها منذ سنة ١٩٥٢ وتحوز
الرضا التام منذ ذلك التاريخ قد طبقت في حالة خاصة بطريقة

اعتبرت الأولى من نوعها فقامت بإجراء ورسم برامج فرعية خاصة بالأسلحة والمعدات اللازمة ليدان العمليات الحربية الأوروبية وادخلت ضمنها المطارات ومخازن الذخيرة والممرات الأرضية وخطوط المواصلات .. الخ .. وقد تسبب عن تقسيم النفقات بين المصالح المختلفة إثارة المناقشات المملة المعقدة في كل مرة ينعقد فيها المجلس وانتهى بهم المطاف الى وضع مقادير نسبية معينة للنفقات وتتقدم كل دولة بدفع نسبة مئوية محددة من النسبة المئوية العامة للنفقات مع اختلاف هذه النسبة بين الدول المشتركة .

وبما انه لا يوجد بأى حال من الأحوال أى منظمة اقتصادية فان الحلف يضع سياسة اقتصادية هامة ذات فاعلية عظيمة . ولذلك فقد وكل السكرتير العام للحلف أحد نوابه المتخصصين في تلك المسائل للقيام بهذه المهمة .

انتاج الأسلحة

من الواضح جداً أن التعاون الاقتصادي بين دول حلف الأطلسي تعاون وثيق جداً في الناحية الخاصة بانتاج الأسلحة ، في الوقت الذي وقع فيه الأعضاء على ميثاق حلف الأطلسي كانت الدول الأوروبية على وشك الموت . فجيوشهم البسيطة المحدودة كانت تستخدم مواد بليت ومضى عهداها باخراجها لا تتاج قومي بسيط ومحدود معتمدين في ذلك على مخلفات «الويهرماخت» وعلى محلات الانجلوساكسن ولم يكن من الممكن السير نحو تجديد هذه الأسلحة وادخال أسلحة حديثة

أخرى إلا بالمساعدة العظيمة التي بذلتها الولايات المتحدة ، وكندا وكذلك بالمجهودات الضخمة التي بذلت في حقل الفكر العقلي .

وقد تمت أمريكا جزءا من هذه الاسلحة بدون مقابل بل تحت اسم بند المساعدات العسكرية كما وفقت الولايات المتحدة الأمريكية الانتاج في محل الاستعمال أى الانتاج البعيد عن الشواطىء الأمريكية بالمواد المتقدر استعمالها بواسطة الأمريكيين أو الحلفاء . وقد وصلت الاموال التي دفعتها الولايات المتحدة في هذا الشأن ٢ مليار ونصف من الدولارات في نهاية عام ١٩٥٦ ثم ادخلت الولايات المتحدة بعد ذلك بعض القروض في الانتاج القومى ولكن على هيئة اشكال مختلفة .

ان منظمة حلف شمال الاطلسي نفسها ليست منظمة انتاجية كما أنها لا تبني أيامها ، فالمنظمة الوحيدة القائمة تحت هذه الفكرة هي الوكالة الأوروبية لانتاج الاسلحة وهذه المنظمة تعتبر بقايا الاتفاقات التي عقدت في باريس وقد رأينا أن وجود هذه المنظمة ماهو الا مجرد وهم وخيال .

ومن ثم عملت التدابير على تقسيم الانتاج والابحاث في داخل تلك المنظمة ومنذ ذلك الوقت تلعب لجنة انتاج الاسلحة دورا هاما جدا في ميدان وضع البرامج والتوسع في تطبيقها والعمل على تناسقها في كثير من الاحيان . وقد أدى هذا مثلا الى القيام ببناء الطراد «جلوستر ميتيور رقم ٧» تحت رعاية بريطانيا في هولندا وبلجيكا بحيث كانت تصنع الاولى منه الهيكل ، والثانية الموتور ومن

وجهة أخرى تم القيام بأبحاث عميقة وشاملة لغرض وضع مستوى واحد لعدة مواد مختلفة وترمى الى تبسيط وتعديل اشكال بعض المنتجات . وقد أطلقت تلك المجهودات في حقل الذخيرة ، وفي مجال قطع انيار والاجهزة الكهربائية والايكترونية وكان هدفها التقليل الى الحد الأدنى من عدد الاشكال المستخدمة في دول مختلفة وجعلها سهلة الاستبدال بقدر الامكان •

ولقد صدق المثل القائل : «الحاجة أم الاختراع» فهذه هي طريقة الاشياء التي تملى علينا اقامة شكل معين من المشروعات أو تصميمات • ولكن مازالت حلقات المناقشة بين دول حلف شمال الاطلسي تدعو الى الاسف وخصوصا في المجال الاقتصادي ذلك لان تلك المناقشات تتجاوز حدودا معينة حتى تصل الى الدرجة التي تفقد فيها معناها ذلك لانها تتجه دائما نحو انتاج اسلحة الحرب وحاجياتها ولذلك فهي تؤدي الى نتيجة غير مرغوب فيها، لان النتيجة التي ترمى اليها هي تخفيض النفقات الحربية الى الحد الأدنى الذي يضمن سلامة البلاد في حين اننا نجدتها تتمخض عن العكس ، ولكن الجغرافيين يؤكدون ما ذكرناه آنفا بشأن الاقتراحات المختلفة المتعلقة بهذه النقطة اذ أنهم يؤكدون بقاء الاطار الاوروبي وعلى وجه الاخص ذلك الاطار الذي يشمل الدول الست هو الاطار الملحوظ الاول الذي تدور فيه عجلة الانتاج المشترك .

التعاون الاجتماعي والثقافي

ومن بين المجالات التي خلقت من أجلها لجنة بيرسون في

سنة ١٩٥١ هي دراسة الطرق والوسائل لجعل منظمة حلف شمال الاطلنطي مجتمعا اطلنطيا واحدا والعمل على اتساع نطاق نشاطه وبوجه عام مجالات النشاط المتصلة بالتعاون الاجتماعى والثقافى ، ولكن النتائج التى حصلنا عليها فى هذا المجال مازالت متواضعة للغاية . فقد كتب اللورد «ايسمى» فى أحد كتبه الذى نشر فى سنة ١٩٥٤ والذى نشر فيه ميزانية الخمس سنوات الاولى من الحلف كتب يقول يبدو أنه مازال من الصعب تحقيق التقدم فى مجالات التعاون الاطلنطى من الناحية الاجتماعية . وفى الحقيقة لم يحقق المجلس أى تقدم يذكر فى هذا المجال ، واثنا نرى أن هذه النتيجة تقسم بالصراحة التامة ، واليوم ليس عندنا شىء نضيفه الى هذا الكلام . لان أوجه الاختلاف مازالت قائمة بين القوانين التشريعية المختلفة وبين مستويات المعيشة وبين العادات والتقاليد ومن ثم أصبح التعاون بين هذا الشاطئ من المحيط الاطلنطى والشاطئ الآخر صعبا للغاية لدرجة أنه لم يحدث أى تقدم يذكر فى هذا الميدان وكان الرد على هذه الصعوبة القائمة هو انشاء سوق أوروبية مشتركة .

وفى الحقيقة فان المسألة الاجتماعية الوحيدة التى يجب أن يهتم بها مجلس حلف الاطلنطى حقا هى تلك المسألة الخاصة بتحركات اليد العاملة ، فمثلا حينما اثرت مشكلة ايطاليا وهى تلك المشكلة التى تضع أمامنا وجود ثلاثة ملايين عاطل من العمال فى ايطاليا مما يجعل المشكلة مستعصية الحل فى داخل الاطار القومى تكونت لجنة خاصة

سنة ١٩٥١ ، وبعد أن اتخذت هذه اللجنة قرارا يقضى بتسهيل أمريكا لعملية الهجرة الى أراضيها دفع الحلف بعدم اختصاصه قائلًا انه لا يمكن أن يصبح الحلف منظمة تنفيذية لشيء يجب أن تقوم به منظمات دولية أخرى • وهذا الجدل هو مارأيناه يفوه به في حانة الاقتراحات الخاصة بالتعاون الاقتصادي • وانا لنجد أن هذا الموقف يقل من قيمة الاعضاء المنتظمين فيه بل ويقلل من شأنهم •

أما من جهة التعاون الثقافي فلم يسجل عنه أى نتائج مباشرة أكثر من تلك التى وجدناها في مجال التعاون الاجتماعى ذلك بالرغم من الدراسات المختلفة ومن التقارير التى اتخذها الحكماء الثلاثة والتى أتعبوا أنفسهم من أجلها وكل ما استطاعوا أن يقوموا به من مجهود هو تخصيص بعض الحلقات الدراسية للغرباء وتنظيم حلقتين للمناظرات ، وبمعنى آخر تنظيم حلقات دراسية تعمل على سد احتياجات الحلف وتحقيق أهدافه ، وقد حصل جميع من اشترك في تلك الرحلات والاجتماعات على مكسب عظيم •

ولكننا لانسعى الى تكوين «مجتمع» اطلنطى بين افراد محدودين على الاصابع فقط فكل مانسعى اليه هو تكوين «مجتمع» اطلنطى تشترك فيه جميع الشعوب المشتركة في المنظمة . وبما أن الحالة وصلت الى هذا الحد فلنا أن تتساءل كم من الاشخاص من بين الاربعمائة مليون الذين يعيشون في حماية العلم الازرق والاسود لمنظمة حلف شمال الاطلنط . يعرفون ماهو الحلف . والرد على هذا ليس ببعيد . ان أكثرهم لا يعلمون بكل بساطة حتى وجودهم

الفرنسية والغرض الذى تهدف اليه تلك الحطة هو خلق « مجتمع عقلى » ولكن فى الحقيقة لم يحز المسيو بينو أى نجاح الا نجاحه فى الحياة على تقدير الجميع فبناء على ذلك الطلب اجتمع مجلس الاطلنطى على مستوى رؤساء الحكومات ، وارتضى لنفسه الموافقة فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ على خلق لجنة علمية تتكون من خبراء من الخمسة عشر دولة واقامة مركز للاستشارات العلمية للسكريتير العام للحلف . وكان يتضمن هذا القرار فى نفس الوقت بعض التدابير المختلفة للزيادة من فاعلية المجهودات العالمية وذلك بفضل القيام بتقسيم أفضل للأبحاث والمحاولات ووضع خطة مشتركة للطرق العلمية والمستندات الاساسية ولسوء الحظ لم يعقد هذا القرار الا أنه قرار اذا قدر له أن يبقى ندرا افلاطونيا (نظريا بحثا) ويبدو هذا واضحا بعد اصدار التشريعات الامريكية الخاصة بالمحافظة على سرية الاختراعات الذرية التى أدت بدورها الى زيادة المنافسة القومية • ولكن فى هذه الاثناء حصلت الدول على نتائج عظيمة فى المجالات المدنية • لانه بدا من الصعب الحصول على أى معلومات زيادة فى المجال الحربى • ولكن الشئ الذى بقى لنا هو معرفة ما اذا كانت تلك القواعد والاسس تسمح لنا بالاجابة على تحدى احدى المنظمات التى تعطى لمشاريعها الاساسية الأفضلية المطلقة من الناحية النظرية من أن تطبيقها عمليا فى ظل القانون •

الفصل التاسع

الدول الخمسة عشر امام الكرميين

والآن وبعد أن أصبح من المستحيل أن تتحول المنظمة الاطلنطية الى مجتمع اطلنطى ألا تطمع تلك المنظمة فى أن توسع حدودها بحيث أن تصبح حلقا عالميا له القدرة على الوقوف ضد أى تحد عالمى آخر ؟ وهل اذا بقيت منظمة حلف الاطلنطى على هذا الحال ستصبح قادرة على أن تتحمل هذا التحدى وحدها وتدافع عن مجالاتها التى يمكن أن تحميها ؟

والاجابة على هذا السؤال تتطلب منا ان نتفق على معنى لطبيعة هذا التحدى لانه فى تلك اللحظة التى تم فيها التوقيع على حلف الاطلنطى سنة ١٩٤٩ كان يبدو اولا وقبل كل شىء حلفا عسكريا ولذلك فقد بقى هذا الحلف حتى هذا اليوم منظمة عسكرية . والسبب فى ذلك يرجع الى أن كل الاهتمام كان موجهها الى تغيير الاسلحة الكلاسيكية التى كان التهديد الموجه اليها ظاهرا للغاية حين ذاك وانا لنجد حتى اليوم محاولات المنظمة المتكررة لتوزيع قدرتها التكتيكية بين الدول الاعضاء .

وفي هذه الاثناء نجد ان كثيرا من الاشخاص يعتقدون ان التهديد السوفيتي يعتبر أولا وقبل كل شيء تهديدا حريا . كما يعتبر كل واحد منهم ان هذا التهديد في طبيعته تهديد معقد للغاية كما انهم يعتقدون ان امتلاك الاسلحة ذاك الاثر الفعال وامتلاك العدد الوفير منها لا يعتبر بالنسبة للكرملين اكثر من آلات للحرب الباردة التي لا يقل في مضارها قوة فاعلية عن التاحية الدبلوماسية والناحية الدعائية والاقتصادية والتجارية والفكرية والثقافية . ولكن اذ امتلك الحلف هذه الاسلحة فان الدول الداخلة فيه ستصبح هدفا مباشرا لجمهوريات الاتحاد السوفيتي الذي يستخر بالطبع من سلوكه هؤلاء الاعضاء . ولقد تركت الطريقة الوحشية للضغط الذي مارسه موسكو ايام حكم ستالين وموكبه المحافل بضم الدول اليه عن طريق المذابح الانسانية والابادة الجماعية ، كل هذا ترك شيئا في داخلية الحلف اختلفت الدول - الاعضاء في تفسيره . ولكن الحاجة والضرورة أجبرتهم على اتحاد سريع وعلى اتخاذ التدابير في بذل المجهودات العظيمة التي يعمل حسابها حتى تعيد قيام الميزان العسكري وتدعيم النظم الديمقراطية . ولكن هذه الفترة قد انتهت وانقضى عهدها وليس من العجيب الآن أن تسمع من أكثر من زعيم غربي وهو يندم على ذلك الوقت الذي جعل فيه ستالين كل ذلك سهلا وممكنا .

قطبان

تقع المدرستان المتضادتان اليوم بين قطبين مختلفين ونجد في

أحدكما هؤلاء الذين يرغبون في الاعتقاد في مدى إخلاص القادة
السوفييت ويبنون على ذلك تأملاتهم الدفاعية بما يتناسب وموقف
هؤلاء العدائين . فعلى سبيل المثال نجد أن هؤلاء يرون ضرورة عدم
إعادة تسليح (بونديزير) وأما أن توضع جمهورية المانيا
الديمقراطية في حظيرة المناورات الحربية المخربة التي تعتبر برلين
الشرقية مصدرا لها • ونرى ذلك واضحا في جميع العمليات التي
شنت في السابع والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٥٨ بغرض تصفية
الاحتلال لعاصمة المانيا القديمة وفي الحقيقة فأننا نجد أن المعارضة
تحتوي عناصر أكثر مما نراه .. أمامنا إذ تقف القوة الروسية في
نهاية الصفوف المعارضة للغرب •

ومن الضروري أن تكون الأجابة التي يرغبون في الوصول
إليها في مباحثات الكرملين معتمدة على ان فكرة القائمة على هذه
الدوافع • وتبشر طائفة المتشائمين المتشككين بأن جميع
الابتسامات القادمة سيقام حولها ستار حديدي ، واعتبارها كل
من يعطى امتيازاً لا أحد دون أن يحصل على ما يقابله مجرماً حقيقياً
أما هؤلاء الذين يتصفون بالتفاؤل فهم يميلون الى تفسير كل ما يتعلق
بقدره بالضعف والاستكانة • وينصحون دائماً باتخاذهم للخطوات
لاولى نحو التوفيق •

وسيكون هذا التقسيم بالطبع تقسيماً مبسطاً ولكنه جائز
بالنسبة للدول الداخلة في حلف الاطلنطي لانه من الخطأ أن

تتصور ان الخمسة عشر دولة الاطلنطية قد انقسمت فيما بينها الى
هاتين المجموعتين المتطرفتين ... لانهم يستطيعون ان يرقبوا عن
كتب وجود جناح قوى يستطيعون مقابله في تركيا والاراضى
الواطئة التى بنيت عليها البرتغال تلك الدولة التى دائما ماتلتزم
الصمت من جانبها - أما من جهة ألمانيا فانها تميل فى جانبها ميلا
طبيعيا فاشتراكها المحدود فى الحياة مع الدول الكبرى ، وموقعها
المكشوف جعلها تمنع النظر فى كل ذلك الذى يمكن أن يعتبر
« اثاره » لها .

أما الدانمرك والنرويج فانهما يشكلان بين هذه الدول المعرضة
للاعتداء السوفيتى امتيازاً بالنسبة للاتحاد السوفيتى . اضيف الى
ذلك أن اتحاد الجمهورية السوفيتية يعتمد عند وضعه لخطه الحرية
على موقف هاتين الدولتين مضافا اليهما كندا او اكثر من ذلك فانها
تحدد موقفها فيما اذا كان لها أن « تنطلق » أم « لا تنطلق » ذلك لان
هاتين الدولتين تثيران تحديا عظيما لها بالنسبة لاخلاصهما المتزايد
للحلف . وقد رفضت الدولتان الاسكندنافيتان اقامة أى قواعد
اطلاق الاسلحة الذرية المتوسطة المدى ، او بناء مخازن للأسلحة
الذرية فى اراضيها ، ولذلك فهم يقعون فى منتصف الطريق بين
سياسة الحياد التى تتبعها السويد وسياسة الالتزام التام الذى تدين به
أكثر الدول الاطلنطية الاخرى . وقد كانت النرويج على وشك
ان تعلن فى بيانها السياسى الذى اصدرته عقب مباحثات وقعت عليها
جمهوريات الاتحاد السوفيتى رغبتها فى عدم قبول وجود أى قواعد

امريكية على اراضيها • وكثيرا ما اعرب المستر خروشفوف عن ارتياحه من جانب هاتين الدولتين •• وخصوصا عندما عقد ميثاق اوساوكوبنهاجن ، اللذين أعلن فيهما عن الاحوال السائدة اذ قال انه لا يشعر بقلق بالغ لا تضمام تلك الدولتين الى منظمة حلف شمال الاطلسي .

ومن السهل جدا الان ان نضع الدول الاخرى الباقية بين الدول التي يتغير موقفها تبعا للتطورات التي تصيب سياساتها الداخلية ففي ايطاليا مثلا كان المسيو « سيني » أكثر «اطلسيا» من زميله المسيو فانفاني وفي فرنسا كان المسو بينو اقل من المسيو شومان وفي بريطانيا كان المستر ييفان يختلف تمام الاختلاف عن مستر سلوين لويدي •

تحليل شخصية الجنرال ديغول

ان موقف فرنسا من الجنرال ديغول يتطلب منا بحثا أكثر اهتماما وأكثر تعمقا لان موقفها يفصح عن نفسه أنه أمام مشكلات ذات وجهات نظر مختلفة بل وتكاد أن تكون متناقضة . فالحكومة تصمم على موقف الثبات والحزم الذي تتخذه من الدول الشرقية ولكننا رأينا أن رئيس الحكومة قد انتهج سبيل اللين منذ اجتماعه بمؤتمر الصحفيين في مارس سنة ١٩٥٩ وقذبات هذا واضحا في اعترافه بحدود أودر - نيس اذ تكلم بلغة كان من الممكن ان تؤدي الى خلق شعر قائلها لو كان قائلها احد من سبقوه الى الحكم . لانها اقتضت من

الحلف اشتراكه الفعلى فى تحمل الاخطار التى قد تنشب عن
مواقف التهديد التى يقفها المشاركون فيه .

وتقوم هذه السياسة على اساس فلسفة خاصة تتعلق بشخصية
الجنرال ديغول فهى التى قادت الى تعليق اهمية بسيطة على الصدمات
التى ترتطم بها المثل فى عالم المنافسة الابدى بين الاحزاب والدول .
فبالنسبة لرئيس الجمهورية الخامسة تعتبر الظاهرة الروسية فى نظره
لها تأثير عظيم على الظاهرة السوفيتية ذلك لان الشيوعية ليس امامها
الا هدفا واحدا وهو الاتساع الذى رسمه لها القياصرة وكانوا يهدفون
اليها بكل ما اوتوا من قوة . وفى محاولتهم تقوية هذا النظام ونشره
ابتدأ القناع الدكتاتورى ينقشع شيئا فشيئا . وهو يعتقد
بالاضافة الى ما اعتقده ان الديناميكية الصينية ستصل فى النهاية
الى التقابل مع الديناميكية السوفيتية ويشكلان تغيرات عظيمة
وعميقة ومن المحتمل ان يتسبب ذلك فى بعض التغيرات فى
الحلف الاطلنطى نفسه .

ومثل تلك النظرة الى الاشياء تتعارض بوضوح مع تلك النظرة
التى كان ينظر بها المستر فوستر دالاس والتى كانت توصى اليه بالقيام
بأشياء من نوع خاص . وبعد المناظرة التى أقيمت فى يوليو سنة
١٩٥٨ اختفى الوزير بعد محادثة طويلة دارت بينه وبين الجنرال
ديغول استعرضا فيها وجهات نظرهما وبالطبع كانت متعارضة ،
اذ استعرض المستر دالاس بكل ما اوتى من قوة احد آرائه المليئة

فلسفات بين رسنان وحرر و سوف اذ قال ان روح التسويعية نها
طبيعة فلسفية اولا وقبل كل شىء طبيعة شبيهة بالدين واعرب عن
رأيه بأنها قد تنجح فى فرض قوانينها على العالم اجمع .

أما مفهوم ديجول وادراكه للاوطان فهو مفهوم الرجل الذى
يؤمن بايديولوجيتها وأولويتها على كل شىء ، وهذا التحليل والتفسير
التاريخى قائم على الفكرة التى تؤمن بأن تقوم . وتطور الناحية الفنية
لا يؤثر شيئا فى اعماق الاشياء ، وبأن العلاقات بين الرجال تشبه
دائما تلك العلاقات القائمة بين الدول أنها تخضع لنفس
القوانين حين وجودها أو عدم وجودها ، وهذه الفكرة تشرح
جيدا وتفسر السلوك الحالى الذى تنتجه فرنسا وجها لوجه مع
الشرق ووجها لوجه مع منظمة حلف الاطلسطى .

ولكن بما أن الاتساع الروسى يعتبر أولا وقبل كل شىء اتساعا
روسيا فانه يجب أن يحد داخل حدود معينة . فلو استطاعوا أن
يوضحوا فى الكرملين مكان هذه الحدود ووجوب عدم تعديها
بدون الالتجاء الى حرب عالمية فانه سيتمكن الوصول الى اتفاقات
فرعية واتفاقات بشأن الوجود بين الامبراطوريتين الشرقية والغربية
كما كان يحدث من قبل فى الازمان المختلفة من التاريخ وبما أن
سلامة الجمهورية هى القانون الاول فان واجب الدبلوماسية الفرنسى
عدم وجوب وضعه موارد الدولة تحت رحمة بعض المثل غير
المعروف أصلها . بل باستخدامه لجميع الطرق التى تعلن لهذه الموارد

أكبر نطاق للتأثير من أن تركها لنظام ضعيف واهن قد يؤدي الى خياعها وفنائها . ومن ثم فانه من المشروع أن تنتهز جميع الفرص لقيام بأى اتحاد أو مشاكة من شأنها أن تؤدي الى الدفاع الجماعى ذلك مادام الاتحاد لن يؤدي الى مجتمع واحد له كنيسة واحدة سيوضع فيها كل من الجسد والروح ، بل سيؤدي الى اقتصاد من نوع معقد يعطى لهم ضمانات دفعوا من أجلها أعظم قدر من الفائدة .

وعلى هذا فالجنرال ديغول له الحق فى عدم اختفائه وراء الحجب حينما لم يعد أو يعطى ثقته التامة للقادة والاداريين الأمريكين وحينما رفض أن يخضع لهم خضوعا تاما . ولكنه فى نفس الوقت لم ينتهز أى فرصة ليظهر ان الجمهورية الفرنسية عبارة عن حليف مخلص ، وانها ليست بأى حال من الاحوال دولة تابعة أو محمية .

المفهوم البريطانى

لم يكن القادة البريطانيون بكل تأكيد بعيدين عن وجهات النظر هذه التى كانت تدفعهم الى الاعتقاد فى تلك الازمات التى كانت تؤثر من آن لآخر فى العلاقات بين لندن وباريس — ولم يصبحوا الآن يعلقون على المنافسات الفكرية مجرد تعليقات ثانوية ، كما أنهم لم يعودوا يرفضون اقامة سد منيع وجها لوجه مع الكتلة الشرقية

يمكن أن يعتبره بعض الأشخاص كشيء مناقض تمام المناقضة لدول الحلف، وعلى وجه الاخص حينما لم يستشيروا الحلف في الاحوال الآتية والاعتراف بالصين الشعبية ، واعادة النظر في وقف المنتجات الاستراتيجية وفي زيارة حروشف للندن وزيارة ماكميلان لموسكو - أضف الى ذلك أن بريطانيا لا ترغب في أن تعطى ثققتها العمياء للمشروعات الاطنطلية . فهم كذلك أدركوا أهمية احتفاظهم بالحد الأقصى لتأثير دولتهم ومركزها في داخل وخارج الحلف .

ومن ثم نرى أن أوجه الاختلاف هي تكتيكية في مجموعها - ولكننا نرى في نفس الوقت أن الانجليز يعترفون بأن احتفاظهم دائما بطابع الصداقة الامريكية قد عاد عليهم بأحسن النتائج وأعظمها ولذلك فهم يحاولون دائما الاحتفاظ بجهة متحدة مع واشنطن ، تاركين عملية التنظيم في يد أصدقائهم كلية بحيث أن تؤدي الى حالة يرضى عنها الاثنان . وهذا هو السبب الذي يجعلهم لا يرفضون أبدا طلبا للولايات المتحدة الامريكية بشأن الناحية العسكرية . ودائما ما يأخذون مركز الصدارة قبل أن يتخذ الجنرال ديجسول أى قرار بشأن المواضيع التي يكونون بصدددها .

وبالرغم من كل ما قيل فانا نجد أن أعضاء الحلف يتفقون جميعا على نقطة واحدة وهي : وجوب الاحتفاظ بموقف متحد تجاه الكرملين بالرغم من كل الظروف والملايسات التي تحيط بهم ، بطريقة من الصعب هدم هذا الاتحاد مهما كانت الاختلافات بينهم .

وقد أمكن حتى وقتنا الحاضر امتصاص جميع التفاوض في التفكير وجميع الاختلافات في التكتيكات ولكن لا يمكن ذلك في العلاقات مع جمهوريات الاتحاد السوفيتي، ودائما انتهت جلسات حلف شمال الاطلسي نشر بيان مياسي ووفق عليه بالاجماع ولم تسجل الاحداث أى تصدع في الجبهة الغربية المعارضة للمجهودات المستمرة التي يبذلها الممثلون السياسيون للاتحاد السوفيتي والدليل على ذلك الاتحاد في الرأي الغربي في جميع المؤتمرات المتتالية المنعقدة بين وزراء الخارجية والتي كانت تهتم بأمر أوروبا وألمانيا مثل مؤتمر باريس سنة ١٩٤٩ ، ١٩٥٠ ومؤتمر برلين سنة ١٩٥٤ ومؤتمر جنيف سنة ١٩٥٥ ، سنة ١٩٥٩ أو تهتم بالمشكلات الآسيوية مثل مؤتمر جنيف ١٩٥٩ كما كانت تقسم تلك المؤتمرات بالمفاوضات المنظمة والمعارضة القائمة على أسس نظرية وتكتيك قوى فعال .

المتاعب التي تواجهنا في الحصول على الرأي الجماعي

ولكننا نرى أن ضرورة الحصول على رأى عالمي عام تتفق عليه جميع الدول لا يمكن أن يمر بدون متاعب فجميع الافكار الايجابية لا يمكن أن يعمل بها دون موافقة الجميع ولقد رأينا أن جميع الافكار الجريئة دائما تموت في مهدها . ولقد برهنت الجماعة على أنها مملة وركيكة للغاية ذلك لان كل دولة تخاف من الدولة الأخرى وتعمل حسابها لذلك فهي لا توافق على أى اقتراح

الا اذا أُعتبر بالنسبة للدول أجمع عبارة عن قضية ذات افتراضات تقليدية •

وخطة السلم التي قدمتها الدول الغربية على بساط بحث مؤتمر جنيف في مايو ١٩٥٣ هي مثل جميل تنطبق عليه هذه القاعدة فمجرد وضع نقاطها الاساسية استغرق عدة شهور فهي عبارة عن تحفة صغيرة تدل على الألمعية الفنية فلكني لا تغضب هذه الخطة أحد فقد خلعوا جميع أسنانها كما يقول المثل الأميركي واذا ما بحث الانسان عن فكرة لها قوتها في هذه الخطة فان بحثه سيذهب عبثا ومن ثم فان تأثيرها على الرأي العالمي كان لا يساوي شيئا من حيث القوة •

وهذه الخطة ازدادت فاعليتها أكثر مما كانت عليه في المناظرات العظيمة الخاصة في السياسة الخارجية • فقد كانت أعصاب الدول جميعا موضوعة في باقة من الزهور ذلك لان السلم كان موضوعا تحت رحمة أناس قصيري النظر يخضعون بالتأثير ومن ذلك الوقت وهم متعودون على الشعور بالخطر قبل الوصول الى ميدان اللعب الحقيقي الذي يعتبر بالنسبة لهم مكان الراحة العظمى • فكان يقول لكل واحد منهم أنه لا يوجد أحد على غير حق أو أحد يمكن أن يقال عنه أنه أحمق حتى وبعد اختراع الاسلحة الحديثة التي يمكن قذفها في حالة الحرب كما انهم يعتبرون أن - المستر خروشوف ليس أحمق بأي حال من الأحوال •

ولم تحصل الحكومات على أي عاطفة من الشعوب في الوقت.

الذي حدث فيه أزمة الشرق الأدنى وأزمة كيموي التي وقعت في
صيف سنة ١٩٥٨ ولم يأخذ أحد على محمل الجد مشكلة برلين
وربما هذا هو ما يفسر فشل محاولة الارهاب التي ظهرت في
الكرملين . فهل معنى هذا هو لعب الآراء دورا كبيرا أكثر مما
ينبغي في توضيح وجهات النظر المختلفة ؟ اننا لسنا متأكدين من هذا
ولكن هذا الدور تمارسه الحكومات بطريقة أكثر فطنة وعلى الاخص
الحكومات الغربية التي قد نجحت فيه الآن أكثر مما كانت في الماضي
لكننا نجد بعض التفاوت بالنسبة للدول المختلفة والاحوال السائدة
في هذه الدول .

ففي انجلترا مثلا انتشرت فكرة أن المحادثات على نطاق منظمات
صغيرة بين الدول الكبرى في هذا العالم مفيدة جدا لكثير من المحادثات
على نطاق واسع . وهذا العنصر بالطبع من الصعب جدا اهماله في فترة
الانتخابات . فمن المحتمل جدا اهماله في فترة الانتخابات . فمن
المحتمل جدا أن المستر ماكملان كان من الممكن ألا يقوم برحلته
الى موسكو في عام ١٩٥٩ لو لم يكن المشرع البريطاني قد اقترب
من نهاية مدة خدمته . وكان من المحتمل كذلك ألا يحصل على هذه
الاغلبية لو لم يعط لهذه الرحلة الفضل الاول في خلق جو من
الهدوء والتراخي تم في خلاله جميع الاستشارات والمفاوضات
الهامة .

أما في ألمانيا ، فانا نجد أن الديمقراطيين الاشتراكيين يبدوون

بعد من رمائهم البريطانيين عن انسلطه . ولقد اتهمت هجماتهم المتكررة ضد «النركود» الرسمي ضد رئيس دولتهم بانهم لا يريدون في الحقيقة إعادة الوحدة الألمانية كما نانت، ولذلك اتت هجماتهم دون أن تحدث أى انواء في سياسة الحكومة . وهم لا يشكون في قبول الدول الغربية في وجود وزيرة خارجية بانكو في مؤتمر جنيف المنعقد في خريف سنة ١٩٥٩ .

ونجد في دول أخرى أن وجود رأى من الآراء يدل على وجود معنى مغاير له ، ولا يمكن لأى انسان أن يسك بزمام الموقف . ولكن بما أن الحكومة من المحتمل أن تخاف تأثير هبوط في السياسة الخارجية مناجىء على سياستها الداخلية مثلما حدث في إيطاليا فقد استغرقت الحكومة الإيطالية سنوات عديدة في شرحها للأشخاص المخمورين بأن جميع الأفكار التي تعترهم من الشيوعية ماهى إلا أفكار متافية للأخلاق بجميع معانيها . ولم يكن من السهل الاحتفاظ بخط مستقيم في اليوم الذي أعده فيه رئيس الاتحاد والجزيرة لاستقبال المستر خروشوف بنفس التحيات التي يتطلبها البروتوكول نحو رئيس الحكومة . وهذا بدون شك هو العنصر الاساسى الذي يفسر سبب السرعة التي بحث بها المستر أنطونيو سيني والمستر بيللا عن شىء يؤكد موافقة أميركا على السيادة الاطنطلية وذلك بقيامهم بزيارتين احدهما لباريس والاخرى لواشنطنجتون في سبتمبر سنة ١٩٥٩ . ويجب أن يفهم أن ذكرنا لهذه الحالة ماهو الا مثل أردنا تقديمه للقارىء .

والثعوا اخيرا بان يلاحظوا ان الرأى فى عصرنا هذا ما هو الا
ظاهرة طبيعية فى شكل قومى • فكل ما يظنونه وما يفكرون فيه
بحاه افريقيا واسيا يؤثر كثيرا على السياسة الاطلنطية بل وعلى اراء
المرشحين فى «جراند رايد» وفى مانشستر وكريمبر - كوريتين
فالامم المتحدة قد اقيمت اعمدها على هيئة محكمة ذات ضمير عالمى
والجمهورية الخامسة نفسها قد ولدت مع أنها قامت على أساس تفكير
قومى مطلق الا أنها يجب أن تعمل لهذه الجمعية حسابا • أما من جهة
انجلترا فهى لا تنسى فى أى لحظة كانت أنها مشتركة فى الكمنولث:
فلم يكن تأثير الهند وكندا بسيطا فى سنة ١٩٥٦ فى اسقاط السير
أتونى ايدن بسبب حملته التى شنها على السنويس •

من السهل جدا التأسى على هذا التطور ، وأسهل منه ألا يعمل
الانسان حسابا له ، وستبقى الدول المشتركة على عدم اتمام نفسها
فى هذا الموضوع عواصم لهؤلاء الذين لا يريدون أن يفقدوا
الحرب الباردة ، والذين لا يريدون ادانتهم أمام الحلقة الدولية •

الفصل العاشر

الصراع الجديد بين الطبقات

نحن الذين سنهزم لاتنا «الاقوى» وكان يبدو أن العظمة التي اشتهرت بهاساحة الحرب ١٩٣٩ - ١٩٤٠. مازالت حتى الآن هي التي تسير .. الدعاية الاطلنطية تدفعها الى الامام . وكثيرا مايكون لنا أن الخمس عشرة دولة الاعضاء لا يمثل مجموع سكانهم سوى الحلية السادسة من العالم فهم (٤٤٣٠٠٠٠٠٠٠ الى ٢٧٠٠٠٠٠٠٠٠٠) ويتجرون بفردهم حوالى ٦٠ الى ٧٠٪ من الفحم ومن الصلب والحديد الزهر والكهرباء والالمنيوم ، وحامض الكبريتيك وحوالى ٥٥ ٪ من الاسمنت ، ٤٦ ٪ من البترول وأخيرا ولبس آخر ٩٧٪ من سيارات السباحة .

ولا يمكن لاحد أن يعترض على مدى أهمية تلك الارقام . فتلك الارقام ذات مغزى أعمق من لو أنها قيدت في محيط اقتصادى كامل النمو ، ولما كانت تلك الدول قادرة على قيادة جبهة قوية دون ارتكاب أى حوادث ، كما أنها قادرة على إعادة تسليح نفسها بنفسها وتحسين مستوا الحياة بوجه عام، والقيام باستثمارات عظيمة وضخمة

في أماكن المواد الخام نفسها • وبالرغم من هذا فقد تأثرت قيمته
بمعدلات النمو في الانتاج التي تسجلها دول المعسكر الاشتراكي.
وعلى الاخص في روسيا والصين الشعبية • ولذلك فيمكنهم تحديد
الاحتياطي على بعض الحقائق التي يحصاؤون عليها من سجلات الاحصاء
الرسمية فيمكن مثلا اعترفت تلقائيا في سنة ١٩٥٩ باخطائها في
تقريرها للمواد الخام - ولكن بدون شك فقد كانت المواد الخام
الموجودة فيها اعظم من تلك الموجودة في الدول الغربية وخصوصا
فيما يختص بالطائرات و انتاج القواعد على الاقل •

ولقد رأينا أن محاولة المقارنة بين النتائج الصناعية ومستويات
المعيشة في بلد تعيش على جانب من الستار الحديدي كانت
دائما ماتكون خاطئة بسبب عدم وجود المواد الحقيقية المقرن بينها •
وبالرغم من هذا لا يمكن التباهي والتفاخر بالنظام الاقتصادي معتمدين
على ذلك على كبر حجم الانتاج او كبر حجم الاستهلاك ذلك لان
نقط البدء تختلف تمام الاختلاف . ففي سنة ١٩١٣ كانت روسيا
مازالت في بداية فجر نصنعها في حين كانت فرنسا والمانيا والولايات
المتحدة وانجلترا في اوج عظمتهم - وجاءت الحرب التي استمرت
فيما بين ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وأوقعت بالاتحاد السوفيتي واقتصادياته
مصيبة عظيمة اعظم مما وقعت بأي بلد أخرى من دول الحلفاء
الغربيين ، وعلى وجه اخص أمريكا التي نجحت في الهروب من
الغزو وضرب القنابل التي ابتلى بها الحلفاء .

ولقد استطاعوا بعد ذلك ان يصمموا على المبدأ الذى طبقوه
فى نطاق الزراعة وهو المبدأ القائل بأن الوسائل الفردية الحرة كانت
اقوى بكثير واكثر فاعلية بين الوسائل الاشتراكية . ولقد كلفت
الجماعية فى روسيا ثمننا خياليا من حياة البشر فيقول ستالين للجنرال
ديجول . انها معركة اقوى واصعب بكثير من تلك المعركة التى
خاضوها فى ستالينجراد ، ولقد أكد هذا انقول عدد مازهقت من
ارواح فى احباط الثورة فى بونونيا والمجر ويوغوسلافيا .

واليوم تستطيع الولايات المتحدة ان تفخر على الاتحاد
السوفيتى بقدرتها على التغلب على المناقضات الشهيرة بين المدينة
والقرية التى أمر ماركس الشيوعيين بالعمل على القضاء عليها .
ولكن اليوم فان الصين تعتبر مثالا أمامنا اذ أنها نجحت بفضل نظامها
الاشتراكى الجمهورى الذى دفعها الى التقدم السريع ، ونحن نعتبرها
الدولة الوحيدة من الدول الآسيوية التى اتسعت اتساعا عظيما فى
انتاجها الزراعى ، ونجاحها فى هذا المضمار قلل من قوة الاختلاف
بين الطبقات . والشئ الذى يجب عمله نحو شعب متمسك بمبادئه
القديمة التى تؤمن بالفردية ذلك الشعب الذى تعود ان يأكل قبل ان
يجوع بقليل هو الشعب الذى يعى الزيادة السريعة فى انتاج
المواد الغذائية الاولى .

الميدالية لاصحاب الوهم والخيال

لم تكن الارقام التى نشرتها منظمة حلف شمال الاطلسى بأى

حال من الاحوال ذات معنى جماعى ، فلقد اعطيت الميدالية لاصحاب الاحلام فالتفكير فى مستوى المعيشة فى الدول الغربية يتطلب من التخلص من أى تفكيرات أو تأملات تعكر صفونا فالولايات المتحدة وحدها تستهلك ما يقرب من نصف الانتاج العالمى من المعادن الخام بالرغم من ان شعبها يعتبر ١٥ر١ من الشعوب العالمية ولكن يجب على ثلثى البشر ان يقنعوا بخمسة فى المائة من هذا الانتاج ، ذلك لان الأمريكى يستهلك ٣١٢٠ وحدة حرارية يوميا وهو يعتبر بالنسبة للرأى العالمى مستهلكا ٣٠٠ وحدة حرارية اكثر من الوحدات الغذائية اللازمة للشخص العادى ، فالهندي فى المتوسط لا يستهلك أكثر من ٢٠٠٠ وحدة . وهى تعيد الى الازدهان ان الغذاء فى البلدان الاسيوية مختل الميزان بالنسبة لقلّة البروتينات التى تسبب عنها أمراض سوء التغذية .

وأقول لكم وأنا متأكد بأنه يوجد مفارقات ضخمة فى داخل - كل دولة داخلية ضمن طاق الحلف الاطلنطى ، ففي البرتغال والجزائر وايطاليا واليونان وتركيا آلاف بل وملايين من الشعوب الجائعة البائسة المكتملة ، ففي الولايات المتحدة وحدها يوجد أربعة ملايين من المتعطلين الذين لا يركبون الكاديلاك كما يظن البعض ويمكنك مقابلتهم فى داخل المدن الامريكية العظيمة والشهيرة وانهم يكونون كتلة متراصة من الطبقة الكادحة فى أغنى بلد فى العالم وفى فرنسا تجد آلاف - العائلات المكدسة فى الاكواخ التى لا حصر لها . ولذلك فان كلمات الحضارة المسيحية - ومصطلحات الحضارة

الاوروبية التي تستخدمها الدعاية الرسمية للدولة تدو في آذانهم
كما لو انها قرع طبول يثيرهم الى العمل والتوثب .
ولكن بالرغم من هذا يعتبر البؤس في معظم دول حلف
شمال الاطلنطي بؤسا طفيفا . ويمكن القضاء عليه ببعض المحاولات
البسيطة نسبيا ، ذلك لانه لايعتبر ظاهرة طبيعية رئيسية ساحقة على
جميع البلدان بحيث يعم على كل الآخرين المتصلين بها بشكل أو بآخر
فالصراع السياسى والاجتماعى والنظام الضرائبى فى فرنسا وانجلترا
تغيروا كما تغير بناء المجتمع نفسه فى أمريكا وغطى الظل العريض
الاختلافات الطبقيّة . واصبحت الثروة التى جنتها الطبقة العليا من
الشعب العامل تسخر من تنبؤات الشيوعيين عن الفقر والفاقة الجماعية
فقد تزايدت أواصر الصلة ونعاد والتضامن بين الطبقة العاملة بسبب
رد فعل البرجوازيين الفقراء وعائلاتهم التى تحسنت حالتهم ،
وتزايدت أواصر الصلة كذلك بفضل انطلاقة بعض الصناعات
التي قادت رؤساءهم الى العمل على تحسين أحوالهم ليس على
أساس الصراع فى داخل القنينة القومية بل بالعمل الدائب فى
داخل المشروعات نفسها .

أما فى بعض الدول الأخرى فاتنا نجد أن القوى الشعبية دائبة
الصراع والمقاومة للمصالح الشخصية ويطلق على هذه البلدان «دولا
ذات مشاكل داخلية ناتجة عن التخلف الاقتصادى الداخلى ، وهذه
المشاكل تظهر على وجه الأخص عند تنسيق تقييم بعض المناطق ،
أو فى ترقية العمال أو فى إدارة اليد العاملة وهذه الحالة هى السائدة

في ايطاليا على وجه الاخص حيث يحاولون تثبيت معدل زيادة المواليد
وحيث ينظم التقدم والتحصن ولكن لا يأتي عن طريق الاثارة ،
وحيث يقل استهلاك الدقيق لصالح استهلاك اللحم . وهذه
هي الحالة كذلك مع فرنسا تلك الدولة التي أطلقت العنان لحظة
عظيمة في الجزائر غرضها تقييم زيادة مستوى المعيشة ،
انها تفعل ما لا تستطيع أن تفعله حكومة قائمة من ذات سكان
البلاد الاصليين .

وكانت النتائج التي ترتبت على جميع هذه التغيرات تأثيرا
ملموسا على الاقلال من الاغراء الشيوعي في داخل المعسكر الاطرنطي
نفسه وقد كان تأثيره عظيما في مغزاه في داخل ثمان دول من الدول
الاعضاء . ففي تركيا والبرتغال اوقف الحزب الشيوعي من ممارسة
تأثيره وبذلك لم يعد له أى تأثير يذكر بعد ذلك . وفي فرنسا كان
اليساريون المتطرفون مناوئين لاربعة ملايين من الناضحين ولذلك
لحقهم العجز وأصبحوا غير قادرين على ان يكونوا في مايو سنة ١٩٥٨
الجزء الاعظم الذي تتكون منه في العادة رد الطبقة العاملة على
محاولات المستفيدين من الحرب والفاشين في ايطاليا نفسها فقد
المجلس الخصوصي الآن جميع سلطاته ومراكزه في البرلمان بل وقد
الامل الذي كان يراوده من مدة عشر سنوات في الغزو السريع نحو
السلطة والسيادة . وفي الحقيقة أن الدولة الوحيدة الداخلة في
الحلف والذي تبدو فيها الشيوعية تسير بخطوات سريعة هي دولة
اليونان - ولكن سرعان ما ذابت تلك التأثيرات الشيوعية بفضل

تكوين حزب تقدمى ذى قوة فعلية قانونية نجح أخيرا فى تفتيت
كثير من قدراتها بل وقد استطاع أيضا أن يؤدى الى القضاء التام
على الاشتراكية فيها .

سيكشف ثلث العالم عن مواطن البؤس فيه

ايتها الطبقة الكادحة فى جيع البلدان ، فلتحدوا وتجمعوا هكذا
قال مركس فى منشوره الشيوعى . واليوم انهم يعيدون الى أذهانهم
بمحض ارادتهم انه كان يقصد بذلك انتصار الطبقة العاملة فى الدول
الصناعية الاوربية مبتدئا بألمانيا ، وبذلك تدور وتدور حتى يظهر تاج
القيادة فوق رأسها . ولكن صراع الطبقات الذى غطته الظلال فى داخل
العالم البرجوازى ما كان ليستريح قليلا ثم لتجدوناره ثانية بين العالم
البرجوازى نفسه والدول الاخرى . فعملية الثراء بالنسبة لدولة
ما يقابلها فى كثير من الاحيان عملية افتقار لدولة أخرى وما أعنية هنا
هو البلدان المتخلفة التى تكون ما يقرب من ثلث العالم وتشعر على
الاقل بشعور تقدمى رغم بؤسها وفقرها .

فبالرغم من الخطط الجريئة التى قدمت فى حقل العمل لم تنجح
حتى الان أى واحدة منها فى تحسين مستوى معيشة السكان بطريقة
ملموسة . فالخوف من عدم الاستطاعة هو الذى يدفعهم الى التقليل من
المستويات المعيشية . ونقد حللت الاسباب التى ادت الى هذه الحالة مئات
المرات ، وكانت تصل فى النهاية الى كتابة بعض أسطر ذات الكلمات
القليلة . فيوجد اولا وقبل كل شئ « ماسميه المستر » « جاستون بوتيهول »
بالحرف الواحد ، التغيرات فى احصائيات المواليد والأمراض التى

تصبيهم » وهذا يعنى حدوث تغيير حقيقى فى المجال الانسانى ،
ذى التقدم الذى يناوىء تزايد العمال من انتاجية العددية (اذ
لم يكن يتعدى عدد الأرواح التى تقف على وجه البسيطة ٤٥٠
مليوناً فى سنة ١٦٥٠ فى حين أنه أصبح ١١٠٠ مليون بعد
قرنين من الزمان) ويرجع الفضل فى هذا الى التقدم الطبى
والصحي الذين كانا يسيران بسرعة خيالية • فالصين وحدها يوجد
بها اليوم حوالى ٦٠٠ مليون من السكان من بينهم حوالى النصف أقل
من ثمانية عشر عاماً • انهم يسرون نحو المليار فى نهاية هذا القرن •
كما أن الزيادة التى حدثت فى الهند فى عشر سنوات تتعدى شعب
فرنسا كله • أما فهم يتحدثون عنها القليل لأن نقطة تحولها كانت
أقل تأثيراً ، اذ انها أصبحت ممزقة أمام التزايد فى سكانها ، اذا قترحت
احدى النشرات الرسمية منذ عدة سنوات تحديد الحد الأدنى لقسن
الزواج بخمسة وعشرين عاماً ، ومنع المواطنين من انجاب الأطفال
لمدة عامين •

وقد أصدرت بعض القرارات المشابهة لتلك التى ذكرناها
بخصوص •• الناحية الانجابية والمرضية فى بعض الاقطار التى مازالت
تعانى حالة سوء تغذية مزمنة وتنتج بسببها بعض الآثار التى يرثى لها
اذ أننا نجد أن قدرتهم الانمائية تدخل خلال حدود ضيقة جداً
وذلك لسببين رئيسيين .

أولهما : تمسكهم بالحضارة فيما قبل التقدم الصناعى ، اذ تعتمد
معظم اقتصادياتهم على مواد أولية يعتبرون منتجين لها بشكل ضخم

ونكنهم يفرقون بها الاسواق العالمية . وفي بعض الأحوال نجدهم
يعتمدون عمليا على انتاج من نوع واحد فقط فالبتروول بالنسبة للبحر او
وايران والعربية السعودية وفنزويلا والقطن بالنسبة لمصر والسودان
والسكر بالنسبة لجمهوريات أمريكا الوسطى . وفي بعض الأحيان
يعانى هذا النوع هبوطا هائلا فى انتاجه فتتساقط جميع الخطط
الموسوعة وتنهار الآمال ويعود القطر أو الدولة محاولا إعادة
التخطيط .

وثانيهما : هو عدم كفاية قدرتهم الاستثمارية . اذ أن الجزء
المقتطع من دخلها القومى وخصص لتقدمهم الاقتصادى قد تقص الى
حد كبير لأنهم يجدون أنفسهم مضطرين على سد الحاجة الماسة التى
ينطلبها شعبهم الذى أصبح على وشك مجاعة . أضف الى ذلك أن
المساعدات التى يتسلمونها من الخارج يتكون معظمها من سلع استهلاكية
وليس من آلات أو عدد إنتاجية .

وفى نفس الوقت تستطيع الدول الكبرى بفضل الزيادة المستمرة
فى دخلها القومى أن تسمح بزيادة الجزء المخصص من هذا الدخل
للاستثمارات . وبما أن هذه الدول الأخيرة يتزايد انتاجها بدون
وضع حد له . وبما ان هذا الانتاج يؤثر فى الحياة الشخصية والعامة
فستكون النتيجة الحتمية هو زيادة هوة الاتساع بين القير والغنى
سنسر ولن تقطع . وهذا الذى ذكرته يكون فى مجموعة ناجبة
ممزرة للعالم الحديث ، ولكن لا يشعر بها أصحاب الامتيازات والثروات
واذا ما شعروا فسيكون ذلك فى القليل النادر .

ضعف الاعضاء البرلمانية .

و كانت النتائج لتلك الحالة من الأمور ، اذا ما استثنينا اعتبارات الأخلاقية نتائجاً وخيمة للغاية على المعسكر الذى يسمى نفسه بالمعسكر الحر .

ففى الحقيقة فقد خلقت هذه الحالة فى معظم الأحوال شعوراً بالحقد والحسد المتزايد من هذه الدول المتخلفة نحو هذه الدول التى تساعدها ولو بالشئ القليل . فبالامس كانت هذه الدول تنسى وتتجاهل تعاسة حظها ، ولكننا اليوم نسمع راديو موسكو وبكين يشرح لهم كيف أن السينما الأمريكية تبين لهم كل اليوم كيفية حياة « المستعمرين » ومن ثم خلق فى داخل المجال العالمى حالة تشبه حالة ما قبل الثورة التى كانت سائدة فى أوروبا فى سنة ١٧٨٩ . أما من جهة أخرى ، فإن هذه الحالة من الأمور فادت الدول الحديثة الاستقلال الى السؤال فى مدى قيمة الدساتير البرلمانية التى شوقتهم تلك الدول اليها بلا استثناء ألم يبرهنوا على أن الصين وحدها هى فى طريقها الى التغلب على تلك الخطيئة الأولى الموجودة فى القرن العشرين وهى التى تعتبر الميزان الذى يوازن دائماً بين الحاجة والثروات ، والسبب فى هذا يرجع الى أن حكامها أقاموا حولها نظاماً وستاراً حديدياً . ولكن رويداً رويداً سيعرف مكالاتهما من شربوا من كأس الحرية الديمقراطية فى فرنسا وانجلترا . ان الحرية السياسية ماهى الا وسيلة من وسائل الترف محتفظ بها للطبقات الغنية فى جميع الأقطار .

فيعلق « تبور منير » بحق على أن الانتخابات العامة لم تعمم في الدول الغربية الا بعد الثورة الصناعية الكبرى . أضف الى ذلك أن الهند التي يحكمها نهرو وكانت آخر الدول المستقلة التي احتفظت بالنظام الحر فيها ، ولكنها عرفت بعد ذلك بقليل باخفاق اصلاحاتها الزراعية وطفنت صفاتها على نظام الحكيم الذي تلا ذلك .

واليوم نرى ان الموقف قد ازداد تفاقمه بسبب العمل الذي وضعتة جمهوريات الاتحاد السوفيتي في خط مواز أمام الرأي العام في اعطاء رأيه عن مدى كفاءة نظامين متنافسين يرميان الى اشباع الحاجات الأساسية للانسان فقد وضعت في وجه الرأسمالية زعماء من بين الفقراء . فبالامس القريب قد بشر موسوليني باقامة حلف بين الدول « الدول العاملة » ضد الدول الرأسمالية . ولكن ذلك النداء لم يكن الا مجرد قوة دعائية بدون صدى . أما في خارج أوروبا فقد أصبحت اليابان بالنسبة للملايين من الرجال هي الكلمة السحرية التي ستفتح لهم أبواب الحياة التي ستكون على أقل تقدير باعثة للحياة والبقاء .

واذا ماواجهنا هذه المجموعة من الاحداث ذات التقسيمات التي تمثل في ناحية منها الدول الأفروآسيوية ، نجد ان الحلف الاطلنطي ليس أمامه مجالا للاختيار الا بين طريقين وأولهما هو أن يتقبل بلا خجل الموقف الحالي دون أن يبحث عن دواء له ، وثانيهما هو بذل مجهود حاسم للوصول الى نهاية وحل لهذا الموضوع .

ويذهب الفريق الاول في اتجاه لا يرمى الى تعيين شخص معين لحمل لواء المثل الأخلاقية بل الى تكوين نقابة من الملاك يعملون على صيانة أملاكهم والاحتفاظ بثرواتهم ومراكزهم • وهذا القرار يتضمن بدوره انهم قد شعروا بالجفاف يعلو في حلقهم وان قلوبهم قد أصابها المرض • وهذا يتضمن كذلك نهاية الحريات الأساسية التي تكمن دائما وتبقى في الديمقراطية ، تلك الديمقراطية الفردية ، والديمقراطية الجماعية التي يفضل أصحابها السخاء والاعطاء عن الأنانية والبخل . وهذا يتضمن بدوره أيضا قبولهم للصراع مع الشرف في داخل الطريق الذي اشتبك فيه المتراهنون من جهة ، والذين انتزعت ملكيتهم في الجهة الأخرى •

ولكن من غير المحتمل أن العالم الاطنطى يطبق أو يعتقد عن قصد نظرية مثل تلك • ولكننا غير متأكدين ان هذه النظرية قد تؤثر عليه جزئيا • وهذا هو ما يدفعه الى أن يمكن النظر عند اختياره بعض الدول لعقد معاهدات خارجية وكذلك بالنسبة لالقاب الأعضاء الداخلية فيه • فالكثيرون لا يعتقدون الديمقراطية الا عن كبر والاثام الشيوعى لهم يوجه دائما اليهم على صورة اتهام موجه الى مجرم غير موجود مكان الجريمة ، والتزم الصمت في بيته ، ولذلك فهي تثير في مستعمراتهم جميع أشكال المعارضات ولكي يصيغوا اسمها من جميع أنواع الاخشاب فانهم يتشجعون بشكل واضح في الدول غير الداخلة في أى شكل من أشكال التحدى ضد الغرب وينشرون ••

بيانات كثيرا ماتخذع هذه الدول ولكن بالرغم من هذا من
السهل جدا الكشف عن تقاب تفاقمهم ومداهنتهم تلك .

فانتا نجد أن هذه الدول « غير الداخلة » تمثل مليارا من بنى
الانسان يتزايدون بسرعة فائقة ارتضوا أنفسهم أن يقتربوا من الضمير
والشعور العالمى بعد أن قضوا قرونا فى العزلة السيكولوجية . فمؤتمر
باندونج ألقى أساس جبهة عالمية قوية متكونة من الشعوب الحديثة
التكوين . . . ومعظم هذه الشعوب قد حصلت من روسيا على مساعدات
غير مشروطة وان كان بعض حكامهم يعرفون انه من الممكن أن تصبح
عائقا يقف فى طريقهم - ولكن بالرغم من هذا فقد جذبوا عطف تلك
الدول نحوهم ومشاركتهم الوجدانية أكثر مما شعروا نحو الديمقراطية
الغربية ، لأنهم رأوا فيها بطلا يحمل المثل التقدمية الملائمة لتحرر
الشعوب بوجه عام - ذلك منذ اللحظة الأولى التى لا يجدون فيها
أنفسهم تحت سيطرتها . ذلك لأنهم يعرفون جيدا ان الدول
الاستعمارية السابقة التى كانت الولايات المتحدة تدخل ضمنها كانت
متضامنة فيما بينها لدرجة انها لم يكن من السهل عليها أن تترك قطعة
من الأرض فرضت عليها سيطرتها من قبل حتى انها وبعد أن تترك
تلك الأرض فهى تحتفظ ببعض الحقوق فيها .
وجوب اعطاء مساعدة ضخمة

من الكافى جدا أن أبين هنا أن عددا كبيرا من الزعماء الغربيين
ولكننى لا أقول هنا كلهم لأن معظمهم مرضى بمرض الوهم والخيال

يوصون بأن تقدم دول منظمة حلف شمال الاطلسي مساعدات ضخمة للدول المتخلفة اقتصاديا . لأن هذه الدول هي فقط التي تستطيع أن تساعد على الهروب من اغواء الشيوعية وفتنتها وتبعدهم عن العقيدة الراسخة من أن الغرب متحفظ ورجعي ويعتبر نفسه عدوا لجميع التقدمات الاجتماعية . وفعلا حمل لواء هذه الدعوة كثير جدا من الأعضاء المشتركين في الحلف وكانت في مقدمتهم إيطاليا وتلتها فرنسا فلقد حذرهم الجنرال ديغول من سلطته في هذا المضمار لأنه انتهر كل فرصة كانت تحين له فيه ، فقد استهل أعماله في الجزائر فكون جماعة تقوم بتنفيذ خطة استثمارية غرضها الخدمة الانسانية وهذه الخطة تتفق تماما والمعنى الذي نرمى اليه .

وأول ما يجب أن نضعه أمام أعيننا هو عدم وجود إثارة المناقشات في هذا المجال حول المؤسسين لهذه السياسة ، فالشخص الوحيد الذي يستطيع أن تتحاشى تكوين تحالف عالمي ضد الرأسمالين والقضاة التام عليها هو ذلك الذي عنده الرزانة التامة حتى لا تقلب بين يديه الحرية رأسا على عقب - ولكن ليست المسألة مجرد توجيه بل المسألة في أعماق جذورها هي مشكلة اتساع ذهني واستخدام طريقة للوصول الى الهدف المنشود .

ولقد وصل الى حل أول سؤال وكانت الاجابة عليه بالنص . إذ توجد بعض الدول المشتركة في تقديم المساعدات للدول النامية التي ترفع علم منظمة حلف الاطلسي على أراضيها . وكان هذا كافا جدا

بالنسبة للعلم على أن يمحو كل مالمديه من جاذبية • ففي الحقيقة لهذا العلم شهرة غير محدودة في خارج المجال الذي يحميه ، ولذلك فهو بدعوا الى الشك في جميع المناطق التي يغطيها . الا تذكر ماذا حدث عند نشر « مبدأ ايزنهاور » أى بمعنى آخر برنامج المساعدة التي وجهتها الولايات المتحدة نحو دول الشرق الأدنى التي كانت مشكوكا فيها بالنوايا الاستعمارية بالنسبة لموقفها من مشكلة السويس • فيبين القضاء السريع عليها على أن الشعوب التي أنت للاستيلاء على استقلالهم والقضاء عليه يهملها أولا وقبل كل شيء ألا تعرض للشبهات في مقابل لاشيء ، فهم دائموا الخوف لتلا تشتريهم تلك الدولة بمساعداتها .

أما اتحاد جمهوريات الاتحاد السوفيتى والصين فهم شديدو الحذر جدا ولذلك فهم دائموا التأكيد بأنهم لا يفترضون أى شروط ولا يرمون الى أى مآرب سياسية بمساعداتهم المالية والفنية التي يقدمونها في مقابل أثمان رخيصة للغاية ولحسن الحظ للغرب اذ ظهر سلوك الكرملين عن سخاء لم يكن يفكرون فيه من قبل اذ أثار رأينا بأنهم قد أوقفوا مساعداتهم ليوغوسلافيا وفنلاندا والجمهورية العربية

ولا يمكن أن تمكن فرصة الغرب في شيء الا في البرهنة على عدم اكترائهم أو احتمالهم ، اذ انهم الغوا برنامج المساعدة من داخل مجال الحرب الباردة وأوحوا الى موسكو بعمل انساني عالمي داخل اطار هيئة الأمم المتحدة ولذلك فقد رأينا تردد هؤلاء الذين ينتظرون شيئا من وراء مساعداتهم في الادلاء بأصواتهم أو الموافقة على هذا المشروع ، ولكن يجب أن يعلموا انه ليس هناك حلا آخر .

خطة المارشال الحديثة

لسوء الحظ أن المشكلة التي تواجهنا اليوم هي مشكلة مقدار الخامة الحسنة التي يجب أن تتفق ، فالحسنة قادرة بكل تأكيد على تخفيف الآلام الوقية ، ولكنها غير قادرة على تغيير البناء الاقتصادي والاجتماعي أو الحالة السيكولوجية . . السائدة . ولذلك فيجب التفكير في شيء له اعتباره . ذلك لأن هذه المساعدة . . ستبقى حلقة في داخل نطاق الحرب الباردة وستعتبر عملية مقاومة ضد الشيوعية وإذا وضعنا تلك الخطة تحت عدسة المقارنة وقارناها من الناحية الانتقامية فإننا سنجدها خطة ناجحة ذلك لأن خطة المارشال قد ساعدت على رفع المستوى الاقتصادي في الجزء الأعظم من الدول الأوروبية . ولكن لم تنجح هذه الخطة إلا في بعض الأجزاء الموجودة فيها بعض التشييدات الحديثة التي لا يفعلون فيها إلا إعادة وضع الماكينات في الطريق بعد إزالة بقايا الحرب . أما في الحالات التي تكون فيها الدول متخلفة إلى حد كبير مثل اليونان وتركيا ، فإن فاعلية خطة المارشال لم تكن كافية لتغيير طبيعة اقتصادياتهم ولكن أدخلتهم في الحقيقة في غمرة عنصر الصناعة وهذا بدون شك عمل عظيم جدا كان واجبا عليهم أن يواجهوه ولقد كانت النتائج التي وصلوا إليها هي :

(١) أن المساعدات التي تقدم للدول المتخلفة اقتصاديا لا يمكن أن يكون لها أي معنى إلا إذا كانت مساعدات ضخمة ، وذلك

إذا وجدت تلك المساعدات .. الوسائل السليمة للخروج من مخازنها دون الالتجاء الى الشيوعية .

(٢) ان هذه المعونة ستفقد فاعليتها تماما إذا ما فكر المتقدمون بها الى وضع شروط لا تطاق تتعلق بعجبهم بأنفسهم لتقدمهم الحال .
لأنه في هذه الحالة سيفسرون هذه المعونة بأنها عبارة عن طريقة مقنعة الغرض منها إعادة اقامة البناء الاستعماري من الداخل ، وبذلك ستكون عبارة عن اغواء لهم لادخالهم في غمار الحرب الباردة لأنه في هذه الاحوال لن يمكن أن تحدث مثل هذه المساعدات الا اذا فهموا أن الغرض منها هو التقسيم ، مثلما قال المسيو « فرانسوا ميرو » ان عظمة الاتحاد السوفيتي تظهر في مساعدته لدول كثيرة بالرغم من أن مستوى المعيشة فيه هو نفسه لم ترتفع الى مستويات المعيشة الموجودة في الدول الغربية ، ولقد أظهرت الصين نواياها في السبر في هذا المضمار وهي لا تملك في يدها الا وسائل نقل في مجموعها آلاف المرات عن تلك الموجودة في الغرب . وبهذا فهي تجعل الشعوب التي تساعدها تعتقد في انها تعطيهم جزءا مما تحتاجه هي نفسها لسد احتياجاتها . وفي نفس الوقت نجد أن الغرب لا يفعل شيئا سوى انه يعطي جزءا بسيطا من الفائض عنده في حين انه يخصص جزءا كبيرا من انتاجه للتسليح وينترك الفائض الانتاج الزراعي يتعفن في داخل مخازن الغلال أو يرمونه في أعماق البحيرات الكبرى ان هذا بالطبع عمل ضخم ذلك الذي نقوم به وهو يكلف كلامنا غالبا . ولكن هذا هو ثمن الحرية .

الفصل الحادى عشر

استحالة تحسين الاوضاع

ان الغرض الوحيد الذى تألفت من أجله حلف منظمة شمال الاطلنطى هو ضمان الحرية والتماسك اتمام بين اراضى الأعضاء الداخلين فيه . ومن ثم تشييط عزم المعسكر المعادى عن استخدام القوة بأى وجه من الوجوه . وهذا هو التبرير الأول للاتاج الحياالى للأسلحة التى ينتجها الحلف . ولكن لايجب عليه أن يتمسك بهذه الناحية فقط لأن الواجب هو تطلعه الى المستقبل والأمل فى السلام .

ولقد سمعنا فى أيام كثيرة أن بعض القادة يرددون دائماً أنهم يستطيعون وانه من الواجب عليهم « أن يكسبوا الحرب الباردة » وهذا التعبير استخدمته كثير من القادة وعلى رأسهم الرئيس ترومان فكيف كان تقدير هؤلاء الناس بالنسبة للمستقبل ؟ اننى أظن أنهم لم يوجهوا تفكيرهم المحدود الى هذه الناحية ولكن بالرغم من هذا فلم ينس بعض الناس أن يؤكدوا لنا أن الغرب سينتهى به المطاف بالحصول على السيادة فى الناحية العسكرية وستجعله قادرا على

اضطرار الاتحاد السوفيتى الى سحب قواته من الأراضى التى يحتلها بدون وجه حق دون الالتجاء الى الحرب • ولكن هذا الحيل الجميل سرعان ما اكتسحته غبار ذرات القنبلة الهيدروجينية السوفينية • ومن جهة أخرى يوجد عدد ضخم من المتأملين يضعون آمالهم على الانقسام الداخلى فى داخل الامبراطورية الستالينية والتى يجب أن تنقسم بعد موت الطاغية •

وكانت الأسباب التى تدفعهم الى هذا الاعتقاد هو اثورة والهيجان غير الطبيعيين اللذان جاءا بعد ثورة يونيو سنة ١٩٥٣ فى برلين الشرقية وتقريرات خروشوف الخاصة بجرائم ستالين ، وثورة بولونيا فى أكتوبر ، وثورة المجر التى تبعتها وظهور الدلالات الأولى ضد الاتحادية بين الطبقة المتعلمة الروسية ولكن الطريقة التى أعاد بها المستر خروشوف الأحوال الى نصابها وموقفه الذى دل على أن موقفه الأجل يستطيع الوقوف على أرض صلبة قد أدى كل هذا فى سرعة البرق الى خذلان المتفائلين .

أما بالنسبة للمستر فوستر دالاس فقد اعترف بنظرية عميقة الجذور وهذه النظرية هى التى تؤمن بسياسة الجذب الطويل وتبعا لهذه النظرية يؤمن السياسيون بأن النصر سيأتى أخيرا لمن يبقى ويصمد طويلا •

وقد أضاف المستر دالاس الى هذه النظرية اعتقاده الصادق فى الله ، اذ قال : بما ان هذه الشيوعية ناقضة لتشاريع الله فانه سيأتى يوم

يقرب تختفى فيه هذه الشيوعية أو تتغير معالمها . وهذا هو الذى دفعه الى التعبير عن رأيه بصراحة دون ماسخرية بأنه يأمل فى مجيء يوم يجد فيه القادة الذين اجتمعوا فى الكرملين نجوما أكثر من الحلفاء حول حدودهم لتنتهى بتحالف بين ألمانيا المتحدة ومنظمة حلف شمال الاطلسي ، ذلك الحلف الذى سيكون الطريق الاول للتعبير عن نواياه الطيبة .

ونادرا ما رأينا الاطلسيين يتقاسمون أفكارا سوداء فيما بينهم فلقد رأيناهم مثلا وهم مختلفو المدارك والمفاهيم حول تحركات وسكنات السياسة السوفيتية ، وكذلك وجدناهم مختلفين فى وجهات النظر حول الخطوات التى يجب أن يتخذوها فى مناوراتهم المختلفة ولكنهم وجدوا أخيرا انه يجب عليهم الاعتراف بأن الغرب كله يجب أن يحتضن المنهج الذى تسير عليه منظمة حلف شمال الاطلسي والذى اتخذته هدفا للدفاع عنه ، والواجب عليه كذلك أن يحتضنها أكبر وقت ممكن .

التوقف

ان ماشير اليه نظرية التوقف بالضبط هو « التزام السكان » وهذا هو ما قاله الحلف ومن المحتمل انه لم يقل شيئا غير هذا . وهذا الكلام سابق على النتائج التى كان يرمى اليها الحلف ولكننا رأينا انه فى سنة ١٩٤٧ قد عرض المستر جورج كينعان لسياسة الحلف موهبا

وفي اعادته النظر للشئون الخارجية ارتأى وضع الأسس الآتية للعلاقات الأمريكية السوفيتية يجب أن تكون العناصر الأساسية التي تقوم عليها السياسة الأمريكية المواجهة للاتحاد السوفيتي على أساس توقف طويل المدى ، يجعلها السعيد ، ولكن يصونها الثبات واليقظة لجميع الاتجاهات الروسية نحو التوسع ..

ولقد رأوا انه من الواضح جدا ان الضغط السوفيتي ضد الدساتير الحرة من العالم الغربي هو شيء يجب أن يحد منه بتطبيق الخدمة واليقظة على قوة معارضة له تقوم على عدة مواقع جغرافية وسياسية تتغير باستمرار تبعاً لتحركات ومناورات السياسة .. السوفيتية ..

واليوم أصبحت نظرية التوقف التي دفعت الولايات المتحدة الى اتخاذ بعض الخطوات الحاسمة في اليونان وتركيا ، والى اتخاذها خطة المارشال أصبحت موضوع نقد كثير من النقاد وعلى وجه الأخص المستر جيمس بيرنهام الذي أصبح في نظر الأمريكيين رسولا . وكان يعتقد انه بمجرد اعلانه « الهزيمة للشيوعيين » انهم سيتبعون نصائحه . ولكن لسوء الحظ كتب أحد مقالاته عن « التوقف » في جريدة التحرير قائلا فيها لقد نجح الشيوعيون في تضامنهم وبلورتهم لذلك الذي حصلوا عليه ، وعلى ذلك فان نصرهم العالمي التام مؤكد كل التأكيد .. وكان قد كتب هذا المقال بعد أن علم بقليل أن المستر خروشف قد أصبح رئيسا للوزراء .

ولكن هل سيؤدي تبني سياسة فيرنهام الى احداث تغييرات في مجرى التاريخ ؟ فلقد شجعت حلوله التي رفضت فيها التصديق رسميا على الحالة الراهنة على زيادة حركة المقاومة والى عدم قبولها أى تهديد يوجه ضدها ، ولم يتركوا - أى فرصة حتى يسير الحلف الطريق أمامهم أو يعرقلهم ذلك الحلف الذى يسلك دائما الطريق الا صوب - ولم يتأثروا كذلك بموقف المعارضين الامريكيين تجاه الديمقراطيين الذين كانت فى يدهم السلطة حينذاك ، الذين كانوا متهمين دائما باتباع سياسة التهدئة وجهها لوجه مع انكرملين .

الجذب الى الحلف

بين القادة الجمهوريين فى خلال مدة الانتخابات التى تمت سنة ١٩٥١ - فى خطبهم العديدة الطريق نحو « التوقف » فهم يقولون ان هذه العملية تحتاج الى قدرة عظيمة ، وبما ان السلطة ستكون فى أيديهم فسيكون فى استطاعتهم « جر » الشيوعيين الى « الورا » وأخذت أوروبا بأكملها هذا البحث على محمل الجد فلم تخف أبدا مخاوفها من الأخطار التى قد يجريها النصر التام « للحزب الكبير القديم » على السلم العالمى . ولكنها كانت خاطئة . لأن الناخب الأمريكى كان يرى بوضوح انه أعطى صوته « لايك » لأنه أراد أن يحصل على السلم فى كوريا . ومنذ وصول المستر فوسر دالاس الى رئاسة مجلس الدولة وهو يطمئن العواصم المتحالفة الواحدة وراء الأخرى اذ قال لهم ، انهم اذا اعتمدوا عليه فى المقاومة الجديدة ضد

الضغط الشيوعي اذن فلا يجب أبدا أن يتباهى الخوف اذا مارأوه
يدخل العالم أجمع فى مغامرة جديدة •

ومنذ تلك اللحظة ونزل النلن على مياسة « الجر الى الورااء »
وأصبحت لم تعد سوى مجرد ستار فقط يحمله الشيوعيون لمصلحتهم
لاستكارهم للأهداف التى يرمى اليها دعاة الحرب •

وكان فى هذا الوقت قد بدأت الخطوات الاولى فى التطبيق ولكن
كانت معظمها تحت ستار ورقائى • واذا كانت الولايات المتحدة مشغولة
جدا بالشكوك القانونية التى أثارتها سقوط حكومة آربينز فى جواتيمالا
وحكومة مصدق فى ايران لأنهم كانوا يشعرون بأنهم قد فتحوا
أبوابهم على مصراعها للنفوذ السوفيتى • وهذا السبب نفسه الذى
أحدا بالولايات المتحدة الى تدبير انقلاب فى شرق الأردن فى سنة
١٩٥٧ حتى تنتزعها من أنصار عبدالناصر الذى كانت تشكك فيه
حينذاك على أنه محب للشيوعية ، ومحاولتها البائسة فى ابعاد سوريا
عنه • وفجأة أصبح الحزب اليسارى المتطرف على مقاعد السلطة
ولم يقم أى انتقام جدى ضده الا فى سانت - مارين - قد حدث
انقلاب سياسى قلب حكم الجبهة الشعبية . وذلك بالمساعدة
السرية التى قدمها المستر آلان دالاس •

والآن لقد رأينا أن عملية « الجر الى الورااء » حينما تواجه
الشيوعية وجها لوجه فهى تلاشى كليا ومن هذا نرى انها ليست
موجودة الا فى الحديث وبعد حادثة المجر جاء البرهان على مدى

الضعف الذي وصل اليه الغرب حينما عجز عن تقديم مساعداته الى بعض الثائرين الذين أثارتهم دعايته على حمل السلاح ، وكان لابد أن تختفى تلك الكلمة من قاموس كلماتهم .

وحدث تطور مماثل في خطة السعي الدبلوماسي ففي سنة ١٩٥٥ أثار الرئيس ايزنهاور في مؤتمر القمة الذي اجتمع في جنيف مشكلة « تنفيذ اتفاقيات يالتا » أي بمعنى آخر إعادة الحرية السياسية لشعوب أوروبا الشرقية التي اغتصبت منهم بالقوة والحقيقة انه لم يصمم على هذا القول ولم يستغرق وعد الشرف أكثر من ساعتين وكان يعرف كل واحد من قبل انه لن يصيبه الغرور أو الوهم وكان هذا ظاهرا عند استهلاله الحديث وكان يعمل كل جهده على ألا يشبط عزيمة ملايين الناحيين اللذين كانوا عبيدا في البلقان . وبعد ذلك بمرور أعوام ثلاثة حينما أعاده الحديث عن مقابلات رؤساء الحكومات لم تجد باريس ولندن أي صعوبة في ارجاع واشنطن عن عزمها في وضع هذه المسألة على بساط البحث وفي سنة ١٩٥٩ لم يجرؤ أي فرد على أن يتحدث عنه .

إعادة توحيد ألمانيا

من قراءة اقتراحات ومذكرات الحلفاء نجد انهم يظهرون رغبة عظيمة في مسألة إعادة توحيد ألمانيا التي اذا ما تحقق توحيدها فانها ستسجل في ديوان المجهودات في خطة « الجذب الى الورا » اذ انها

سعلن نهاية الحكم البيروقراطى السوفيتى على سبعة عشر مليون من
الامان . ولكن هل عقيدة الامان أنفسهم اعظم من عقيدة الحلفاء .

اتنا نرى كثيرا يؤمنون ايمانا عميقا بأنهم مبرورون من هذا
الانقسام فعلى أى حال يعتبر هذا التقسيم مضعفا لدولة يرون فيها
« قلب أوروبا المسعور » والتي لا يؤمنون بأبدية ايمانها بالديمقراطية .
وهناك آخرون يؤمنون بالعكس اذا انهم يشكون فى أن الاحتفاظ
بدرولتين منافستين سيجنبهم من الدخول يوما من الايام فى حلقة من
الصراع .

ونكن الذى يهمنا فى المبدأ هو وحدة المانيا وهذه الوحدة
أعتقد الكثيرون فى عدم امكان وقوعها منذ زمن طويل ذلك لأنهم
يفضلون بقاء المانيا منقسمة ذلك لأنهم يرون انه من الأفضل بقاء
ذلك الجزء الغربى من المانيا داخلا فى منطقة حلف شمال الاطلسطى
بقولهم نعم ان الموقف الحالى ليس محبوبا بأى حال من الأحوال
ولكنهم يعرفون على أى حال الى أى جانب يجب أن ينضموا . فهم
يعرفون انه لو اجترأ جندى روسى واحد وسار خطوة واحدة على
الخط انفاصل بينهم فهذا يعنى الحرب . ان هذا ليس بكثير ولكن يكون
بعيدا عن الحدوث . ان الحالة الراهنة تجمعنا الآن من أى اتفاق
يسعى الى خلق موقف غامض فى قلب أوروبا النسابض قد يكون
مصدرا للمحادثات بعد ذلك .

ولما كانت الحالة هكذا فقد وجدنا الروس أنفسهم يتجدثون
عن الحالة الراهنة « هل يسعون هم الآخرون الى التحدث عن الوصول
الى اتفاق ؟ ان هذا سيعتبر بالنسبة لعملية « التوقف » توضيحاً بالنصر
ولسوء الحظ يبدو أن هذا التغيير به معنى يختلف تماماً بالنسبة للمستمر
خروشوف عن ذلك المعنى الذى يفهمه الغرب فقد لاحظ المستر والتر
ليمان فى احدى محادثاته الطويلة مع المستر خروشوف ما يلى •
بينما نحن نفهم « الأوضاع الراهنة » على انها الحالة الموجودة
فى لحظة معينة فهو يفهمها على أنها عملية التغيير الثورى نفسها فى
ساعة حدوثها • فهو يرغب منا أن نفهم اثورة لا على ماهى عليه
ولكن على ما ستكون عليه • »

وتتعرض «نيمونوفو» فى احدى مقالاتها العظيمة الواضوح
لنظرية الرسمية المضادة باسم اسحق ايرماشر « ان الاعتراف بالحالة
الراهنة يتطلب أن نرمى الأمل الكاذب الذى يراودنا عندما نطلب
من التاريخ أن يعود بنا الى الوراء الى العصر الذى كان فيه الاستعمار
هو سيد العالم ان المعسكر الاشتراكى باق وسيبقى وسيقدم
انه القوى اليوم وسيقوى فى الغد • ان الدول الاشتراكية لاتنسى
أبدا تحقيق مبادئها كما انها لاتسمح لأى فرد كان أن يعوق سيرها
الى الامام •

ان اليوم الذى سيحصل فيه الغرب على دورة من التغييرات
التاريخية فسبخلق قاعدة صلبة يقوم عليها التنظيمات السلمية ، من

أجل الاستقرار العالمى ، هذا هو بالضبط المغزى الذى ترمى اليه اليوم
• الحالة الراهنة •

وهزت هذه الافكار كل هؤلاء الغربيين الذين أرادوا أن يلصقوا
صورة الانسان الطيب الذى يوجه أكثر فأكثر نحو سيد جمهوريات
الاتحاد السوفيتى « صراع القرن » انه تحد اقتصادى كامل من جميع
الوجوه موجه بطريقة خاصة وسيتهى بالنصر للمبادئ الأفضل
والأكثر فاعلية •

فكل يوم يدفعنا المسر خروشوف الى وضع نهاية للحرب
الباردة ولكن من ذا الذى تسبب منذ اجتماع الكرملين ولمدة خمسة
عشر عاما متوالية برغبة من موجاته الفكرية ومصالحه الشخصية فى
خلق فترات من الاسترخاء ، فترات من التوتر ؟ فاذا كانت الحالة
العالمية قد تحسنت بعد موت ستالين فان السبب فى هذا لا يرجع الى
تغيير الغرب لموقفه ولكن لان روسيا قبلت فجأة الموقف فى كوريا
والنمسا ، وهذا هو الموقف الذى رفضت أن تقبله لسنوات متتالية
مهما كلفها من ثمن • ذلك لانها دفعت برييتها الصين وفيتنام الى
الاتفاق فى جنيف على شروط تعتبر شبيهة بالشروط الاساسية
بالنسبة للغرب •

ويمكن أن يذهبوا بعيدا فى القول ويقولوا أن السوفيت
يتكاسلون ويتراخون فى الاوقات التى يريدون أن يثبتوا وجودهم
فيها • فمجالات الدعاية والسياسة هى المجالات التى يمكن أن تحول

فيها الأرنب الى شبوط بسهولة • فيملك راديو موسكو المقندرة
الفائقة على أن يشكل على حسب رغبته مفهوم أى فعل تقوم به
الدول الغربية أو أى بيان سياسى تصدره منظمة شمال الاطلنطى
سواء أكان ذا غرض بناء أو ذا اثاره هدامة • فمثلا قبل رحيل
المستر خروشوف الى الولايات المتحدة كان من المفهوم طبعاً أن
رحلته يجب أن تقدم على أنها رحلة ناجحة ذات نتائج باهرة للبيان •

المفهوم اليوغوسلافى

ربما يعترف الاتحاد السوفيتى يوماً ما بالانتصر الساحق
للاشتراكيين ولكن فى صورة أخرى ، ولقد فتحت له يوغوسلافيا
طريقاً واسعاً فى هذا الميدان مما سيعطى له الفرصة على الخروج من
داخل سياجه السياسى دون أن ينظر خلفه الى الحتمية الماركسية
وقيودها • وسيكفيه بعد ذلك أن يعترف مثلهم أن هذا الانتصار
ليس مجرد انتصار معسكر واحد ولكنه انتصار نتج من الاحداث
التقدمية على وجه هذه البسيطة ، ولكن على هيئة جماعات ذات
أشكال مختلفة ومنظمات ذات شكل جماعى واليوم الذى ستعم فيه
وجهه النظر هذه فى موسكو ، لن يكون مجرد هدنة مسلحة
ولكن سيكون السلم الحقيقى الذى نسعى اليه جميعاً •

ولكن هل من الجنون أن نأمل فيما يمكن أن يكون لها يوما

ما تأثير عظيم في أرضنا ، ان الدراسة الموضوعية لسلوك المسير
يكثا خروشوف منذ ارتقائه سلم السلطة ترك لنا مجالا لرؤية
الناحية الاخرى من اليد : اذ أنه رجل يبحث باخلاص جعل
العلاقات بين بلده والبلاد الاخرى علاقة طبيعية ولكن ليس ندبه
الفرصة حتى يتكلم كثيرا في هذا المجال بوضوح أكبر وأعظم .

من هو في الحقيقة أعظم من ذلك المؤسس اعظيم لمذهب
«فرقة العسكرية» الذي أقيم على أساس الأسس الاخلاقية
لستالين ، تلك الأسس التي فرضها فرضا على جمهوريات الاتحاد
السوفيتي والدول التابعة له ؟ ومن هم هؤلاء الذين غيروا البلدان
بدلا من بلدان مستعمرة مستغلة الى بلدان محمية ومساعدة ؟ من
ذلك الذي فتح السجون ، ووضع نهاية للارهاب ورفع الستار
الحديدي رويدا رويدا ؟ من هو الذي اعترف بأن مستويات المعيشة
أعلى بكثير في الدول الغربية وأن أول مايجب أن تحاول الجمهورية
السوفيتية هو اللحاق بهذا انقطاع .

وقد أوضح هذا البرنامج علانية رضاهم بالموت السياسي
وعدم رضاهم للموت الجسماني ، وفي الحقيقة فانه مازال يتهدده
خطر ان عظيماني أولهما : تعطش الشعوب الشديد الى الحرية تلك
الشعوب التي تقاد مثل العبيد فأصبحوا يشعرون باليأس والمرارة
في أعماق نفوسهم ، وثانيهما تيقظ أعدائه وخصومه الذين كانوا
على كراسي السلطة من قبله ، واستعدادهم للتسير حتى ولو مع

الشيطان • ألم يحدث ذلك في أماكن أخرى ؟ ألم تلق بولونيا
ومن بعدها المجر نير الذل والهوان من على أكتافهم ولم يجسد
المسمر خروشوف نفسه مكانا آخر يمكن أن ينقذ مكاته فيه إلا أن
يتدخل في بودابست بطريقة وحشية ، وبين في أكثر من مناسبة
أن الخطب التي يلقيها لم يقصد بها التأثير على الولايات المتحدة ، كما
أنه أخفض أصبعه مرتين في يونيو الذي تلى ذلك • انه لولا
أخلاقه التي ربيت على المنافسة والتي دفعته الى استدعاء اللجنة
المركزية لاتخاذ قرارات عاجلة ولولا مساعدة الجنرال جوكوف
الذي كان يشكره من وقت لآخر لاقناعه بالتراجع كان خروشوف
اليوم في عالم النسيان • ولكن منذ ذلك الوقت وهو مواظب على
القاء رماحه ، يلقي في كل مناسبة ببعض منها وخصوصا في خطبه
قاصدا بذلك نهضة الميقظين ولكن القصد الذي يكمن وراء ذلك
هو الاحتفاظ بحالة الخمول والاستكانة الداخلية والخارجية • ولقد
وصلت به الحال بعد رجوعه من واشنطنون الى أن يعلن في بكين
أنه سيكون أقل واقعية ، اذ انه سحاول أن يجرب بالقوة مندى

الاستقرار في ظل النظام الرأسمالي •

يرد المشككون بأنه لا يوجد أي تغير في الحقيقة سوى أن سيد
جمهوريات الاتحاد السوفيتي الجديد أصبح أكثر تفاؤلا من سابقة اللعين
كما أن مجاح قديفته قد اقنع بأنه لن يخاطر بشئ ، كبير في الناحية
العسكرية ، ذلك لانه لا يشك أبدا في سيادة نظامه الذي يطبقه •

واليوم كالامس مازال الكرملين هو الذى فى المقدمة وان الجبهات الباردة هى مقاومة الجانب الآخر المعادى ، ولكن اذا عمل خروشوف معروفا فهو من الافضل له ان ينسحب من المغامرة ، فمعسكر الارهاب الذى وجه ضد تركيا فى خريف سنة ١٩٥٧ انتهى بنهاية طيبة دون ان يعرف أحد أسبابها . لانه كان فى ذلك الوقت مشغولا يضرب كيموى بالقنابل . ولقد رأينا أنه حينما يظهر الغرب علامات التردد والخوف يزداد قلبه فرحا وسرورا ، فهو يتفوق فى استخدامه بطريقتين خاصتين وهما :

الاولى منهما وتتصب فى أنه لا يلوح أبدا باستخدام صاعقه الا فى الوقت المناسب حينما يصبح من الواضح جدا أنه لا لزوم لاستخدامها . فقد انتظر المستر خروشوف ثمانية أيام حتى أظهرت لندن وباريس ترددها فى مسألة السويس ثم تكلم بعد ذلك عن قذائفه ووجه انذاره فى مرة أخرى حينما كان متأكدا كل التأكد من أن امريكا لا تطمح فى التدخل فى العراق أكثر مما لها وكان قد عبر ذلك بصوت مخزين لم يتقاض أجره حتى الآن .

وقد كان فى كلا الحالتين يتقدم بحجة انقاذ العرب المساكين الذين هددتهم الاستعمار .

أما الطريقة الاخرى فهى طريقة المقصم وقد استخدمها بنجاح

كبير وعلى وجه الأخص في جنيف ، فقبل رحيل المستر خروشنوف وضع بعض الشروط العنيفة لمطالب لها اعتبارها • ولكن لكى يظهر عن بعض ميوله الى التوفيق اكتفى بأن يخفف من وطئها بعض الشيء وبالرغم من أن الحلفاء لم يطلبوا شيئا بالمرّة ، إلا أنه لم يكن أمامهم طريق آخر لإثبات حسن نيتهم إلا التنازل عن بعض هذه المطالب وفعلا نجحت المناورة الى حد كبير ذلك لانهم قبلوا وجودهم في حالة مؤتمر وزراء الخارجية في دولة (جمهورية ألمانيا الديمقراطية) حرموها من كل شيء حتى وجودها ولكن أعطوا لها بعض التعويضات التى أعادت كل شيء الى ما كان عليه ، بل وأعطوا لها بعض الامتيازات كذلك •

أخطار الاعتكاف

واليوم لانجد شيئا يحكمه حكما فاصلا بين هذين الموقفين . ولكن من الواجب أن نقول أن كلاهما له بعض الحقائق التى يعتمد عليها ويقوم على أساسها ، وإذا ما سلمنا بهذا القول فاننا سنجد فى هذين المعنيين الحاليين البديلين الذين وصل اليهم الكرملين فى تحليلاته الأخيرة للاحداث الجارية ، أى بمعنى آخر الطريق الذى سيسلكه الغرب • وقد فعل الغرب خيرا حينما اتخذ فى حسابه أخيرا مناقشة الأفكار الخلقية للسياسة السوفيتية • ولقد أصبح رجال السياسة فيه وخبراؤه سادة فى فن كشف الخدع والشباك التى دائما ما تشكلها الاقتراحات المتخذة فى الكرملين • فهم لم يتعودوا على تقديم وجهات

نظرهم في هيئة مناقشات ولكنهم قادرون دائما على مقاومة أى نوع من أنواع الضغط . وكثيرا ما ينسون السوفيتية ولكن من الصعب جدا اكتشاف عدم وجود أغراض لهم . وكانوا على حق بكل تأكيد حينما لم يرخوا أن يقللوا من ضررهم واحتياطهم طوال المدة التي لم يثبت فيها حسن نية العدو . ولكن لا يجب عليهم أن يتمادوا في اتخاذ موقف الرفض أو أن يتخذوا موقف الشك مما سيعطى المعسكر المعادى القدرة على أن يلصق به سوء النية منذ ولادته ، ولذلك يجب عليهم أن يبحثوا دائما على البواعث والدوافع التي ترجع بهم في صراع من أجل السلام لانهم بدون ذلك سبضطرون الى الانتكاس والرجوع خطوة خطوة الى الخلف .

وان ذلك الذي حدث في ألمانيا لمليء بالدلالات والمفاهيم ، ذلك لاننا رأينا جبهة متماسكة استمر بقاؤها عشر سنوات في وجه سياسة سوفيتية معادية ، ومع هذا فقيام هذه الجبهة لا يرتكز على اساس قوى ، فمؤسسوها يراضون انفسهم بأن يؤكدوا أن الموقف في منتهى النضوج وأن حقوق الحلفاء غطاها « الغبار » وبعد أن أعلن الغرب انه لن ينسحب خطوة واحدة مهما عصفت به الرياح ، رأينا ان يسرج دوابه وينسحب عديد المرات .

ومن ثم فاننا لانجد فقط استخالة في بقاء الحالة الراهنة الى الابد ولكن أيضا هناك سؤال نود أن نوجهه الى المستر دالاس وهو عما اذا كان من الممكن أن تبقى حالة التوقف هذه على قيد الحياة . ولقد

رأينا أن كل ماتمر به الديمقراطية الغربية من فترات عصيبة يرجع الى سوء استعمالها عن محاولة المنادين بها ان يقيموا منها سبدا يحاربون به الأعداء • وسيصبح من المستحيل بمرور الزمن أن يتقدم الانسان خطوة واحدة الى الامام لانهم شعروا بالتمثيل يسرى في أقدامهم ، فارتفعت الاصوات من كل جانب منادية على هذا الموقف وتلك السياسة التي اكتفت موقف الحلفاء • ١

انه بدون شك سيكون يوما عظيما ذلك الذي تصحح فيه الأوضاع • ولكننا قد عرفنا الآن مدى قوة الاتحاد السوفيتي الروسي وعلمنا أنه قد أصبح من الناحية العسكرية سدا منيعا لا يخترق • اذ ان روسيا قد وضعت على الاقل أسلحة مدمرة على نطاق واسع مساوية لتلك الموجودة في الجبهة الاخرى أما من ناحية الاسلحة التقليدية فقد تفوقت فيها الى حد كبير فان ذلك الذي وصلت اليه الجبهة الاخرى ولا يبدو عليها أي علامات تدل على الانحلال الداخلي • ولو أن تلك الافكار والآراء التي تنادى بها كانت قد وردت على خاطر الدول الغربية لكانت تلك الدول حققت نصرا كبيرا في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية • أضف الى ذلك أن الاسلام ليس ضد الجماعة وهو الدين الذي يعتقدون في أنه القنطرة التي لا يمكن تعديها • ولذلك فقد أخذت روسيا في رسم حركة دائرية حول الغرب الغرض منها الحقد والضعينة أما الدوافع التي قوتها فهي مركز روسيا المدعم القوى • فالنظام الديمقراطي نفسه ذو القدرة الفعالة على خلق المبررات

على رفض الشيوعية هو نفسه يعتبر في نفس الوقت أحد العوامل التي تجعل من السهل على الشيوعية الدفاع عن نفسها . لان وجود المعارضة الدائمة يضعف من مقدرة المقاومة • اذ أنها تبسط أمام أعين العدو كثيرا من الاسرار التي كان من الافضل أن يجهلها •

واليوم نرى أن فكرة الزيادة في الاسلحة تشعر يوما بعد يوم بثقل وضخامة التهديد الموجه اليها • ان موقفنا اليوم يشبه في كثير من نواحيه موقف أثينا حينما وقفت في مواجهة امبرطه او موقف البيزنطيين حين حاصرهم الاتراك • ولكن على اقل تقدير فانا نعرف تمام المعرفة أنهم لن يستطيعوا كسب الحرب الباردة ، ونحن نعتقد أنه من المحتمل جدا أن يفقدوها •

الفصل الثانى عشر

لا قاهرين ... ولا مقهورين

انا ترى شيئاً •• فى التاريخ السياسى يمكن اعتباره عظيماً جداً •
انا ترى •• السياسيين يعبرون المحيط الأطلنطى ليقولوا « نعم »
أو يعبرون ليقولوا « لا » •• ويقضون سنة من الخير أو سنة من
الشر على ضوء عشرات المؤتمرات العالمية التى يعقدونها • ولقد وضعت
هيئة الأمم المتحدة تحت أرجل محبى السلام سجاداً من العجسم
يسرون عليه • وفى نفس الوقت تولد عالم جديد من الخبراء من الذين
لهم خاصة يتحدثون بها وتقاليد يسرون عليها ، وهم يحاولون التدخل
والتصرف على ما يحيط ببعض المشاكل الفنية المعقدة من غموض ،
ولذلك فهم لا يحاولون الاكثار من مناقشاتهم ومفاوضاتهم مهما كانت
الحال ، ولكى يظهروا أهمية الدور الذى يقومون به أعطيت لهم السلطة
المطلقة التى يتمتع بها الوزراء مثلما كان يحدث فى الماضى •

وفى الحقيقة لم تعط مجهودات هؤلاء الخبراء أى نتائج تذكر
حتى الآن •• فالمشكلات الضخمة مازالت حتى الآن على حالها لم
تتغير وعلى وجه الأخص تلك المشاكل التى مازال الغرب والشرق

يتصارعان ويتعارضان فيها • ومثل هذه المواقف تجعل الانسان لايجرؤ
أبدا على التفكير في أنه في الامكان أن يمضى وقت طويل دون أن
تنشب الحرب ويشتعل اوارها ، وتمتد في هذا الإشتعال في خمس
سنوات على الأقل فالمانيا وكوريا وفيتنام وفلسطين والصين كلها دول
انقسمت الى نصفين ، ولكن الدول الاخرى ترفض الاعتراف بالحكومات
السياسية التى فى يدها السلطة منذ عشر سنوات ويعلنون ذلك ببساطة
اذ أنهم لم يتفقوا بعد على أصلهم أو على ميولهم •

فعندما ابتداء قيام الحرب الباردة امتلأت روح الشر بأجساد
جميع الحراس المتيقظين وأخذ كل فرد منهم يبين مدى ضعف موقف
الآخرين • أما اليوم فانتا نجد أن الآراء أصبحت تسكن الحوارى
الضيقة حتى أن الحكومات تدخل اليها لكى تأخذ دورها فيها •

ولكن مهما يكن الامر فان الامور ستتغير قريبا كان ذلك أو
بعيدا • فسيأتى يوم لن نجد فيه أشباح حرب فى الجزائر ، لأن الحرب
ستزوى وتموت وسيأتى يوم ستختفى فيه المشكلة الالمانية من الوجود
ان الأشياء تتغير لأن طبيعتها هى التغير •

منهيم المستر خروشوف

يبدؤ أن المستر خروشوف يمتلىء بالأفكار المحددة النجوىات
المرسومة جيدا عن التغيرات التى يمكن أن تحدث • فاعتقاده الراسخ
فى النصر العام للشيوعية لا يبرهن فقط على أن هذا مجرد اعتقاد

فلسفى از اعتقاد فلسفى از اعتقاد غامض فى تفوقه الحارق على النظم
اننى يفوم عليها المعسكر المنازىء بل يبرهن على أنه يعتمد على نظرة
راضحة فى مستقبل جعله العلم مضمونا بالنسبة له ، بل ومؤكد بين
يديه • وهذا الادراك يعوز اليه لسوء الحظ قادة حلف الاطلنطى •

وابيك المثل الاول : ألمانيا ، امامن جهة ألمانيا فلاننا نجد أن وجهة
نظر الحلفاء الخاصة بها بسيطة ومنطقية وتتفق وقوانين الشعب الذى
هو واقع تحت ادارتها فيجب اعادة توحيدها بعد اجراءات انتخابات حرة
يقرر بعدها اى اتجاه تتخذه فى سياستها الخارجية ، فاما ان تحالف
مع الغرب واما ان تحالف مع الشرق واما ان تبقى على الحياد •

ووجهة النظر هذه معقولة وجميلة ، ولاتوجد اى عقبة تحول
دون تحقيقها سوى عقبة واحدة وهى استحالة تطبيقها الا بعدموافقة
المعسكر المضاد • وهذا بدون شك عقبة كبيرة ، ذلك لانه ليس له
اى مصلحة فى ذلك كما انه لا يوجد الوسائل أو الطرق التى تجبره
على ذلك ، كما ان السبب الذى يروونه لا يستهوى نفوسهم •

ولم تكن وجهات النظر بالكرملين أكثر بساطة من ذلك، فهى
تنحصر فى نقطتين أولهما ، تقوية النظام القائم فى ألمانيا الشرقية
وفصل بون عن الغرب بكل وسيلة ممكنة •

ومن ثم خلق موقف دبلوماسى متشابك جدا يرمى الى :

١ - الاعتراف بالحكومة القائمة فى بانكو •

٢ - القضاء على زابن الجسر الغربى القائم فى برلين •

وتتقدم الجمهوريات السوفيتية خطوة خطوة نحو هذا المضمار
بينما جمهورية ألمانيا الديمقراطية تسير الى الامام نحو اظهر
شخصيتها العالمية • ويعترف الرئيس ايزنهاور «بشذوذ» الحالة
الموجودة في برلين اذ أن الخلفاء يقبلون التقليل من حقوقهم هناك
كما أنهم لم يعودوا الى الاهتمام برجال السياسة في بون الذين قاموا
برحلة الى موسكو •

ويأمل المستر خروشوف في أن يثبت يوما ما على قدرة فاعلية
النظام الذي يطبقه في ألمانيا الشرقية وبذلك يدفع الغرب الى تعديل
حكمه الجماعي المعادي لنظامه هناك ، ولكننا لانعتقد أن المستر
اديناور سيقبل أن تربط دولته بالدول الغربية التي هو نفسه يشك
فيها • ولكن من المحتمل أن تابعيه لن يكون عندهم نفس صلابته أو
نفس اعتقاداته • ومن ذلك فانا نشعر في أحيان كثيرة انه من
الواضح جدا بالنسبة لألمانيا أنه من الصعب جدا على حمايتها ومن غير
المستطاع لهم البتة تنفيذ الوعد الذي أخذوه على أنفسهم ويعيدون
توحيد ألمانيا •

ولكن سينشق جيل جديد وسينسى هذا الجيل الاحتقار والحقْد
والقسوة التي خلقتها الحرب ومن بعدها الاحتلال الروسي ، وبذلك
نزول تلك الأشياء من بين نفوس الألمان والروس ، وبعد ذلك تتدلع

في المحيط الألماني أزمة اقتصادية فتضع نهاية للمعجزة الألمانية بأن يسير ملايين العاطلين نحو الطريق الذي يقود الى الشيوعية ويطالبون بها رأيهم في ذلك أنها هي التي ستقودهم الى التقدم وهي الطريق الذي سيفضلون السير فيه ، ومن المحتمل أن هذه الفكرة قد جاءت الى الطريقة السوفيتية ولذلك فهم يزيدون من تقديرهم للفرصة التي ستحين لهم أكثر من اللازم • ولكن على كل حال اننا نرى أنهم ينظرون الى المستقبل نظرة طويلة الأمد اللازم ، وهذا هو بالضبط نقطة الضعف الفظيعة التي يتألم منها حلف شمال الاطلنطي •

واليك مثال آخر : فلنقل اليك شيئاً عن البلدان التي قيل عنها متخلفة اقتصادياً أن هذه الدول لاتعرف لها عدواً أكثر عداً من الاستعمار ، والقضاء عليه يعطيهم كل الحق في قبول المساعدات السوفيتية ، ولكن اذا ما حصلوا على استقلالهم وضمنوه فانهم سرعان ما يتبينون انهم لم يتغيروا في شيء لانهم قد حصلوا على استقلالهم السياسي في حين انهم مازالوا يعتمدون في خططهم الاقتصادية على الغرب ، ومن ذلك نجد أن الصراع قد تحول من صراع ضد «الاستعمار» الى صراع ضد «الاستعمار» ومن البعث أن نقول أن المساعدات والتشجيعات لاتقل أبداً من جهة جمهوريات الاتحاد السوفيتي • فهي تتقدم بها الى بعض الشعوب الذين ينظرون اليها باعجاب وكبرياء •

ولكن فى الحقيقة فانها لاتغير فى داخلتهم شيئاً ، فمن المفهوم جدا أنها لاتغير شيئاً فى ظروف الكتلة المتكتلة من الشعوب التى أوحى اليها الاستقلال وأوحت اليها الحضارة التى سرت فى عروقها بالأمل فى حياة أفضل فى حين أن السوفيت ليس عندهم لا النواة ولا البناء ولا الطرق المالية اللازمة لمواجهة هذه الاحتياجات الضخمة •

وهذا هو السبب فى أن الفراغ أصبح يغمر سريعاً القوانين الديمقراطية لصالح دكتاتورى الحرب • ذلك لان الخطب الشعبية والقوميين المتعصبين يعطون الفرصة لهؤلاء الدكتاتوريين أن يردعوا كل المطالب الشعبية عن هذا الطريق ولكن يجب أن نعرف انه من اللازم أن يبقى هذا الردع لمدة طويلة ومن ذا الذى يستطيع اذن أن يقدم فى برنامج دقيق كل الدقة مدحاً واطراء على البراهين السوفيتية التى جاءت عن طريق الصراع والاضطهاد ، ومن ذا الذى يستطيع أن ينادى بالمركز الأعظم للاتحاد السوفيتى والصين لنجاحهما فى هذا المجال ؟

انه لن ينادى بهذا الا الشيوعيون أنفسهم ، ومن جهة أخرى نجدهم أنهم يتحاشون طرق أجنحة الطيور قبل أوانها • الا انهم يتدخلون بطريقتهم الخاصة فى داخل الدولة ، فنتظر بامعان الى ذلك الذى يحدث فى جاكارتا وبغداد ، وانظروا ماذا يفعل الغرب تجاه ذلك • انه يقدم الحسنة والصدقة على هذا يوجد أمامنا وجهتان مختلفتان ، أوروبا من جهة والعالم الباقى أجمع من جهة أخرى •

ولكن يجب أن تأخذوا في حسيبانكم أن هذا العالم يكون الجزء الأكبر من الكرة الأرضية ولكننا نرى أن قادة المعسكر الغربي قد أعدوا خطة محكمة وواضحة جدا للغرض الذي تنتظره في المستقبل وبعد كل ما عنده حتى تؤتي ثمرها •

ولكن الحقيقة أنها خطط خاوية وبعيدة كل البعد عن التصديق بل قد تكون عكس ما يتصورون اذن لا مكان عندنا حتى نعجب من تفاؤل مستر خروشوف المتزايد ولا الانهزامية التي يعترف بها قادة الغرب دائما •

ابتداء التفاخر والتباهي

يوجد ضد كل تهديد مباهاة مضادة له، ومن ثم يجب على الجانب الآخر أن يجدها، فقوتنا الدفاعية قد أظهرناها فعلا، ولكنها غير كافية • ويستنكرون هذه القوة الموجودة في الجبهة الأوروبية لبطء حركتها • أما في خارج أوروبا فهي غير قادرة على تفادي المفاجآت غير اللطيفة التي تتطلب الوصول إليها استخدام قوة الذراع ضد المعسكر المعادي، بعد قيام هيجان أو ثورة لعدة ساعات في بلد للغرب ضد المعسكر المعادي، بعد قيام هيجان أو ثورة لعدة ساعات في بلد للغرب فيه مصالح مثل العراق مثلا التي تعتبر قوة وحصنا للمعسكر الغربي، ولكن الهجوم الذي اختاره المستر خروشوف في هذا المجال لم يكن يرمي إلى أي أمل ولا يمكن أن يحمل أي معنى

الا اذا استخدم من طرف من طرفي الجيوش المتكافئة ولكننا وجدنا
أن رفض الجيوش الجماعية بالادلاء بأى رأى هو الذى يبنى مجد
وشرف الجيش الغربى •

واليوم نجد ان السياسة الغربية دائما ماتعمد على تخيل خطط
نظامية جماعية ملفقة لانظار المولعين بالمنطق والفلسفة ، فى حين انها
فى الحقيقة بعيدة كل البعد عن جذب هذه الانظار لأن غرضها
هو لفت أنظار السوفيت أنفسهم أو نجدها تتخذ قرارات وتعقد
اتفاقات محدودة وهذه الاتفاقات تبين التواضع فى مجموعها ، ولكن
لا يجب أن تطعن فى مجموع هذه الاتفاقات لانه بالرغم من تخيلات
هؤلاء الخبراء الا انا وجدناهم يشربون الناحية السيئة من الاشياء ،
فقد وضعوا مثلا نهاية للحرب فى كوريا والهند الصينية وحرروا
النمسا من الاحتلال الاجنبى وعملوا على استقرار الامور فى الشرق
الأدنى • ولكن لم يفعلوا شيئا عظيما فى الشرق الأدنى لان عملياتهم
كانت عبارة عن وضع بلسم لتهدة الجروح ، وأصبح الصوت الوحيد
الذى نسمعه من الغرب هو ذلك الصوت الذى يريد أن يبين عدم
فائدة الحرب الباردة • ونادى بوجوب قيام هدنة طويلة ينادون فيها
على الانسانية من جميع أطراف العالم ويدعونها الى التراضى والاتفاق
وتكريس نفسها الى المشاكل الحقيقية التى تعترض الحياة والتى تعتبر
السد العظيم أمام الكثير منهم ، لانه ليس من الضرورى أن يتحامل
معسكر على معسكر آخر ، وسيكون الحل سهلا جدا لان الملايين
البشرية ستجد نفسها تستعد للحرب العظمى لن يعتقد فيها أى انسان

انه يضحي بنفسه فقط من أجل لاشيء بل سيشعر فيها كل فرد بأنه جزء من خطة عالمية انسانية تسعى الى تقدم البشرية •

ومثل هذا التغيير الشامل لا يمكن أن يتم بقوة الذراع والحن الوحيد هو أن يستعد السوفيتيون انفسهم الى تقبل هذه الفكرة ولكن يبدو أنهم بعيدون كل البعد ولكن اذا ما اتخذت منظمة حلف شمال الاطلسي خطوة ايجابية ومعقولة من جهتها تكون نتائجها الاولى لها التأثير الفعال على البشرية أجمع فبدون شك لن تموت أهمية هذه الخطة وتأثيرها على الدول المحايدة •

ولكن الشيء الاهم من هذا هو عملية تجميع جميع العناصر الداخلة في سياسة ايجابية ثم تشكيلها تشكيلا مبسطا ودقيقا بحيث أن تصبح طبيعتها مفهومة لكل فرد يتحدث عنها جديا فعلا ، وبهذا العمل سيكفون عن انتظار وقوع معجزة بعد صراع طويل ومرير لانهم قادرون على ايجادها الآن •

وعلى هذا يجب عليهم أن يقوموا باتخاذ قرار مزدوج يقضي بإقامة مصلحة للاستعلامات وبإقامة منظمة للاستهلاك السياسي • وستقوم مصلحة الاستعلامات بغرض توضيح ماهية العالم الغربي ، وهل يجب أم لا يجب أن يشترك هذا العالم في منظمة حلف شمال الاطلسي وان تحاول على وجه الاخص أن تبين ذلك لقادة الاتحاد السوفيتي ، انه من السهل جدا أن تستنكر الحرية التي يستخدمها هؤلاء في تناولهم للحقائق ، ولكن لا يقل عن تلك الحقيقة وضوحا هو أن استخدام هؤلاء الحقيقة وتناولهم لها يختلف اختلافا كبيرا عن

تناولنا نحن لها ، ووجه الاختلاف الاساسى هو انهم أكثر اخلاصا منا نحن انهم لا يكذبون ولا يخدعون لانهم يعتقدون أن نظامهم القائم يتفوق كثيرا على النظام الرأسمالى ، فخروشوف نفسه كان ابنا لمثلة رثة الحال ، وشاهد عيان للسنوات الاخيرة لحكم القياصرة أصبح الآن أحد السידین العظیمین اللذین يحکمان أعظم امبراطوريتين فى العالم ، بل ومركزه أقوى من الآخر لانه هو الذى صنع أعجوبة التغير فى داخل روسيا .

ولكن ماذا يعرف هو عن العالم الحر ؟ فجميع الدول الغربية التى قابلته وجها لوجه أجمعت على كذب المزاعم التى يعرضها فى مواضيعه ، وكانوا يحاولون بهذا أن يلقى على الأقل بعض الافكار عند عودته للولايات المتحدة وهذه هى الخدعة التى رأيناها فى عالمنا خلال الزيارات القليلة جدا الى جنيف أو لندن بعد اتصالات عر المحيط بين السفراء والشخصيات الهامة فى موسكو والتى لم يكن لها سوى الصورة الهزلية التى تشبه ماكان يحدث فى الماضى وهو أبهة وفخامة الزيارات الرسمية ، والامتيازات المعطاة للرؤساء مع تقطيع أوصال الشعب فهل يعلمون أن المناصب الاجتماعية لها تأثير فعال فى الدول الكبرى الحديثة ، وهل يمكنهم أن يعرفوا دون أن يتعكر صفوهم أن الاتجاه نحو التوحيد العقلى ونحو التقدم الاقتصادى ليس له حدود فى تلك الدول التى يسمونها ديمقراطية شعبية ... لقد سمعنا المستر خروشوف وهو يخطب فى كاتويس فى يوليو سنة

١٩٥٩ بين المنجمين البولونيين قائلا لهم : حينما كنت شابا عملت في أحد المناجم التي كانت مملوكة لبعض الرأسماليين الفرنسيين ، وكانت الاحوال لاتطاق بالمرّة ، وبعد ذلك قرأت «النمو» لزولا وقد فهمت منها ان الاحوال في جميع المناجم الرأسمالية تدل على أن الاستغلال واحد •

ولكننا نظن أن كثيرا من كتابه كانوا يعملون في مناجم فرنسية وهم في استطاعتهم أن يقولوا له أن المقارنة بين المناجم الرأسمالية وبين المناجم البولوتية الشيوعية الكافرة على الدوام بالدول المشتركة في حلف الاطنتي ويعربون عن استعدادهم على المزيد من مسؤوليات الامم المتحدة أكثر قليلا على أساس عقد اتفاق مع المعسكر السوفيتي،

وفعلا سار الغرب نحو هذا الاتجاه وحقق نجاحا فيه • إذ نشروا برنامجهم الذي ينادى بالذرة من أجل السلام الذي قاد الى تأسيس وكالة ذرية عالمية في فيينا وهي فرع من «بنك التجارب» الذرية وكانت المؤتمرات التي انعقدت بعد ذلك تمتلئ بهذه الروح ومن أمثال هذه المؤتمرات مؤتمر السنة الجغرافية الطبيعية العالمية ومؤتمر المنطقة الجنوبية ، وكانت ترمي هذه الروح الى تبديل مشاركة الدول في حلقات المنافسة القائمة على القارة السادسة في العالم ، فقامت الولايات المتحدة وحلفاؤها بدعوة الدول المشتركة في الامم المتحدة على قدم المساواة حتى يكونوا نواة لشركة واحدة يشترك فيها المعسكران من أجل اكتشاف الفضاء الذي قد يمنح استخدام

أنواع من الأسلحة فيه ، ولكن الاتحاد السوفيتي لا يوافق ولكن ليس هذا سبباً كافياً حتى يمنعنا من التصميم على هذه الفكرة •

نزع السلاح

لقد عقدت الأمم المتحدة اجتماعات عديدة بشأن نزع أسلحة بطريقة لم نعتدها في أي مشكلة أخرى ، وأظن أن مجرد ذكر هذه الكلمة كافٍ جداً لإثارة كثير من الشكوك والتكتمات • لأنه بالرغم من المؤتمرات العديدة التي حققتها الأمم المتحدة لهذه المشكلة منذ خمسين عاماً لم تنجح لافى الحرب العالمية الأولى ولا الحرب العالمية الثانية •

ولكن لا يجب أن نجعل من فشلنا في الماضي مقياساً لنا في المستقبل فلم يوجد شخص في الماضي لم يشعر في قرارة نفسه بمصائب الحرب • ولذلك يجب أن نجد الوسائل للقضاء على أهدافها والوسائل على منعها • فكثير من الناس لا يفكرون اليوم في الالتجاء إليها ، ولو حتى قدر وحدث تغيير مفاجئ في الأفكار الإنسانية ولكن يبدو أن الفردية التي امتلأت بها القلوب في عصر الذرة هي التي تثير شمعهم في هذا الطريق •

إن النفقات على الأسلحة ليست كبيرة إذا ما اعتبرناها كضمان ضد وقوع خطر ذي قيمة أكبر ولذلك فإن ضخامتها لا تناسب أبداً والخطر العظيم الذي نحفظنا منه ، ولكن لا يستطيعون أن يفهموا

هؤلاء الذين يعيشون في الجبهتين انهم يجب أن يتخذوا قرارا
مشتركا للتقليل من النفقات عليها فهذا هو ما قاله رئيس أركان الحرب
المستر ديفيد للمستر اينزنهاور وخروشوف وهذه هي نفس الفكرة
التي كان يمتليء بها المستر ادجار فور حينما اقترح في جنيف في
سنة ١٩٥٨ تحديد نسبة مئوية متساوية للميزانيات الحربية • وكان
من الطبيعي أن يصيحوا فيه جميعا قائلين : ميزانية ، ان من أسهل
الاشياء في هذا العالم هو أن يغش الانسان في الميزانية ، ولذلك فمن
الافضل أن تجعل من النفقات العسكرية شيئا منفصلا عن الميزانية
ولكن من المحتمل انهم لم يكتشفوا الاتجاه الذي كان يرمى اليه
اتنا نرحب بكل الافكار والآراء التي ترمي الى التقليل من نفقات
الحرب وخصوصا اذا كانت تلك النفقات ستحول الى مساعدات •
فبدون شك مثل هذه الاقتراحات ستقابل بدوى عظيم •

ان الشيء الوحيد الذي يشمل عملية المناقشة حول نزع
السلاح هو الخوف ذلك لان كل انسان يريد أن يراعى مصالحه
بأى شكل كان ، فمن جهة الغرب فهم يقفون على الموقف الحقيقى في
الكرملين ويشكون في أنهم يريدون دائما أن يتخرقوا جميع
المنوعات • أما السوفييت فهم أقل خوفا من المخالفات الطارئة
الفجائية التي قد يرتكبها شركاؤهم في محادثاتهم ، لانهم يميلون
دائما الى تسليح أنفسهم بالجاسوسية والدعايات ، وهذا هو الذى قاد
رئيس مجلس الوزراء على التصميم على اتخاذ الضمانات التي تضمن

اتنفيذ والتي تعطى لآخرين الفرصة في الحصول على ميزة.
الاقتراحات التي تبدو من الظاهر أنها اقتراحات بناءة •

ونجد على ذلك أن مشكلة نزع السلاح ستصبح مشكلة فنية
في مثل هذه الظروف وعلى هذا فنجد ان السؤال الآن أصبح موجهاً
الى الخبراء عما اذا كانت هناك أى وسيلة فعالة تضمن العهود الموقع
عليها بدون ارغام الكرملين على قبول نظام رقابة يكون بالنسبة لها
حملاً ثقيلاً عليها • وهذا هو سبب الفشل الذى قابله ممثلو الدول
الكبار الثلاثة في محاولتهم تسجيل سبعة عشر مادة في معاهدة واحدة
تمنع التجارب الذرية •

ولقد كان فى البطء الذى سارت عليه هذه المحادثات معنى
عميقاً إذ أن الاقطاب الثلاثة كانوا فعلاً قد اوقفوا التجارب الذرية
وعلى ذلك كان كلما مر وقت أطول كلما أصبح من الصعب على أى
منهم استئنافها خوفاً من المسؤولية التى ستقع على عاتقهم .
لقد كرسوا لهذه الفكرة وقتاً كانت تتطلبه مناقشات أخرى
خاصة بمشاكل أكثر تعقيداً من تلك ، ولن تكرر منظمة حلف
الاطلنطى مرة ثانية انها تأمل فى الوصول فى المستقبل الى نزع سلاح
عام وشامل • كما انه من العجيب أن يعتقد الانسان فى أنهم يستطيعون
الوصول الى حل نهائى للمشكلة اذا ماخلطوا بين جميع خيوط
المشكلة وينادون كما كانت تفعل دائماً الحكومة الفرنسية بأنه لن
يمكن أن يكون هناك نزع سلاح الا اذا كان نزعاً شاملاً وموضوعاً

تحت الرقابة لانهم فى الحقيقة لن يحصلوا على هذا الهدف الذى أعرب المستر خروشفوف عن تعضيده له فى حديثه الذى ألقاه فى الامم المتحدة فى سبتمبر سنة ١٩٥٩ اذا ما اكتشفوا جميع الطرق الحساسة التى تقود اليه الصبر والأناة وعلى وجه الأخص تلك الطرق التى تسمح باقامة رقابة لمنع حدوث أى هجوم مفاجئ ، حيث انها مستقود بدون أى تعب القاذفات الحربية الى أهدافها ، وقامت محاولات من أجل الوصول الى مفاوضات بشأن هذا الموضوع تبعا للوسائل الفنية البحتة التى نجحت بالنسبة للتجارب الذرية فى خريف عام ١٩٥٨ • ولكنها برعان مائزوت وبالرغم من هذا فيبدو اليوم أماننا وجود بعض الوسائل للاسترشاد بواسطة الرادار وهى كفيّة لاقامة رقابة محكمة •

تجربة اقامة الرقابة

ان التعقيدات التى تكثف مشكلة الرقابة وأهمية هذه المشكلة بالنسبة لنا فى تقليل الأسلحة الى الحد الأدنى ، جعلت من حل هذه المشكلة أمرا مستحيلا قبل اجراء تجربة على منطقة محدودة فى نطاق ضيق ، وهذا هو احد الاهداف التى حددت بحكومة منديس. فرانس الى اقتراح اقامة وكالة للرقابة على الأسلحة فى داخل نطاق اتحاد غرب أوروبا • وكان يعتقد أن نجاح مثل هذه المحاولة سيكون برهانا ودليلا واضحا بالنسبة للشرق تجعله يقبل اتساع منطقة الرقابة • ولكن لسوء الحظ كما عرفنا لم يكن لتلك الوكالة وجودا الا وجودا نظريا •

ان فكرة تجربة الرقابة كانت موجودة منذ زمن بعيد وكانت تلجأ اليها بريطانيا من وقت لآخر لاقامة رقابة على المنطقة الأوروبية وكان المستر ماكميلان هو آخر المدافعين عنها ، وكانت صيغتها المملة سببا في أن جعلت الحلفاء يعارضونها ويرفضونها وقتيا وقد خلقت بهذا في أوروبا في الدول القائمة على جانبي الستار الحديدي جوا ساهم في ابقاء تقسيم ألمانيا كما هي مما حدا به أعضاء حلف منظمة شمال الاطلسنطي الاصرار على عدم الرجوع فيه • ومن المحتمل أن النقاش لم يكن نقاشا فاصلا كما كان يبدو وعلى الأخص حينما فكرنا في بعض التنازلات التي نعطيها لأشياء أكثر تعرضا للخطر ولكن من المحتمل كذلك انهم رأوا في ذلك الوقت الوجه الآخر من التجربة التي مرت بها أوروبا ولكن لايمكن أن يكون الشرق الأدنى ذلك الشرق الذي يخضع لرحمة الاحداث التي تقع بالحدوث أن يكون هو الارض الاولى التي تقام عليها التجربة •

ففي الحقيقة أن في هذا الجزء من العالم دلالات تلقائية على أنه هو الجزء الذي يمكن أن تسميه بالدول غير الداخلة في النزاع وبمعنى آخر أنه جزء خارج تماما عن حقل الحرب الباردة فالقرب هو الذي وضعه خارجها وفي نفس الوقت يبدو أن الاتحاد السوفيتي أنه قد أوضح لنا بجلاء أنه ليس في حاجة الى خدمات الشرق الأدنى • وهذا هو المعنى الذي نفهمه من القرار الذي اتخذته مجلس جامعة الدول العربية في شهر أغسطس في سنة ١٩٥٨ والذي وافقت عليه الامم المتحدة بالاجماع •

وما من شك أن الدول الغربية تستهمل هذه العملية لأنها
ليس عندها أى نية فى الوقوف فى وجهها ، وتستطيع اليوم أن تساهم
بتضامنها بأن تقيم حاجزا تحت رقابة فصائل الجيش حتى تمنع
بذلك قيام أى اعتداء بين العرب واسرائيل •

وكلمة عدم الاكتراث أو عدم الاشتراك هى كلمة أخطأ
الغرب فهمها حينما ترك الكرملين يستغلها بمفرده اذ كانوا على حق حين
أظهروا أن عملية (نزع الذرة) ماهى الا غش وخداع وانها لن تؤدى
الى أى أمن اضافى بالنسبة للانسانية او حتى لتلك الدول المنتفعة
بها ولكن يجب عليهم أن يساندوا المبدأ الذى ينادى بالقليل المتزايد
للاعضاء الداخلين فى حرب باردة • على أن يظهر كل عضو رغبته
بصراحة فى وضع نهاية لهذه الحرب الباردة •

وستكون هذه مجازفة على ورقة لعب جميلة تتمتع بها أوروبا
الوسطى ، واليوم سمعنا من أحد الاشخاص بعد وقوع عدة حوادث
انه لو رغبت الدول السوفيتية فى فرض الحياد على ألمانيا لأمكنها ذلك
لأنه سيكلفها بعد أن تقبل اعادة توحيدها عن طريق انتخابات حرة
أن تضع شرطا عند التوقيع بعقد معاهدة سلم تقضى بانسحاب جميع
القوات وتعلن فى نفس الوقت بحياد مشابه لذلك الذى حصلت عليه
شرط يقضى بأن ألمانيا المعاد توحيدها يجب أن تكون منزوعة السلاح
كما يمكنهم فى نفس الوقت أن يتخللوا ماذا سيحدث لو أن ألمانيا
رغبت فى اقامة بعض المنظمات الاقتصادية والسياسية الغربية على أن

يأخذوا ضمانا من حلف شمال الاطلسي على عدم التدخل وبجلاء
قوات الحلف عن أراضيها • ولما كانت ألمانيا الغربية أكبر بكثير من
حيث المساحة وأغزر من حيث السكان من ألمانيا الشرقية فسيمكنهم
بعد ذلك أن يحددوا ذلك الحياض العسكري الى وسط أوروبا بأكملها
بحيث تشمل ألمانيا وبولونيا •

وتشيكوسلوفاكيا (أى المنطقة التي اقترحت روسيا نفسها أن
تتركها طبقا لخطه راباكي) وأن البدء فى فكرة كهذه والتي فكر
فيها كثير من الخبراء الغربيين فى جنيف لكفيل بأن يثير
عجب العالم وان يقنعهم برغبة الغرب البناء ولكن تلك الفكرة لم
يتمسك بها أحد وخصوصا لأن الخبراء العسكريين لمنظمة حلف
شمال الاطلسي حكموا على أرض معركة الحرب الأوروية بأنها
ضيقة جدا لدرجة تصيب الدفاع عنها اذا ما احتلت ألمانيا •

وبما أن الحالة هكذا فقد أصبحت الاستراتيجية المرسومة أى
استراتيجية الدفاع عن جميع أراضي الدول الاعضاء هى احدى المواد
التي يقوم عليها ايمان منظمة حلف شمال الاطلسي •

ووجهة النظر هذه هى وجهة لها قيمتها بكل تأكيد واذا
ما أضفناها الى أفكار أخرى فانها ستساهم فى ايقاف جميع المحاولات
الجدية التى ترمى الى الخروج من المأزق الحرج والتي تعطى الحرية
للشعوب التى تستكر العبودية دون أن تعمل على وضع نهاية لها
فالبرنامج الذى سيحاولون تحقيقه سيشتمل على أفكار كانت

قد سار على نهجها الكثيرون ولكن على مدى محدود • أما من جهة
الروس فهم لن يتضايقوا اذا . ماأخذوا يكررون للابد نفس
الاسطوانة فهذه ليست هي المرة الاولى التى تستولى فيها فكرة على
الشعور العام • فدائما ماتعتمد الحرفة على محترفيها لانه يجب جذب
الانتباه على وجه الاخص ، وان يعطى للاقتراحات المقدمة شكلا
يمتلك اللب ، ومقنعا بقدر الامكان ، وان تطبع فى النفوس شعورا
بان ذلك البرنامج الذى تحتويه يمكن تطبيقه بسهولة فائقة وانه من
المستطاع لكل فرد أن يساهم فيه ويعتبره ملكا له ، وانه اذا ماوضع
فى طريق النفاذ البطيء الجزئى ستؤدى طبيعته الى أن يخرج العالم
من الحرب الباردة المملة بدون قاهر أو مقهور •

واليوم الذى سيقنع فيه العالم أجمع بهذه الفكرة فانه لن يعتبر
منظمة حلف شمال الأطلسى فى هذه اللحظة عبارة عن نقابة لها
هيول استعمارية ولكن سيعتبرها الحارس الأول فى صراعه من أجل
السلام . ومن الممكن أن السلام الذى سيحصل عليه حينذاك يكون
سندا نهائيا له فى بحثه من أجل هدنة دائمة •

خاتمة الكتاب

مالذى يبين فى ميزانية حلف الاطلنطى مواطن القوة ومواطن الضعف ؟ لقد حانت الفرصة الى تلخيص ما شتمل عليه فى كل من الناحيتين •

ناحية القوة •• الاسلحة النووية •• الانجلو أمريكية التى وضعت لعدة سنوات فى مخابىء الطوارىء فى الدول الغربية •

الشعور بالخطر : الذى يدفع الدول الى التغلب على الخلافات التى تنشأ بينهم لأنهم هم فى الحقيقة الذين يصنعونها وذلك لانهم يجب أن يمثلوا أمام الدول الشرقية جبهة متحدة ومتضامنة •

- وجود روح اطلنطية •• وهى التى تسمح لهم بالوصول الى حدثها فى جميع أوجه الصراع الذى ينشأ بين أعضاء الحلف ، وهذا يعنى أن حلف الاطلنطى لا يلعب مجرد دور ثانوى فقط لانه يجد شيئاً فشيئاً الحلول للمشاكل التى تعترض أعضاءه مثل مشكلة تريسته مثلاً ، أو مشكلة لامار ، أو قبرص ، ومشكلة فرنسا وألمانيا اللتان أحاطتا بشبح الحرب لمدة طويلة •

— المصادر المادية والمقدرات الفنية: التي أدت الى امتزاج الحلف
والى الوحدة الجغرافية السياسية القوية التي لم يوجد مثلها أبداً على
وجه البسيطة •

— الاحتفاظ بالميزان السياسى والاقتصادى والاجتماعى لدول
الاعضاء والاحتفاظ فى كل منها بسياسة تقدمية تؤدى الى تقدم الدول
رويدا رويدا حتى تصل الى اعماق مشاكلها الرئيسية • وفى أوروبا
على الأقل يوجد ملايين من الناس لا يشعرون فقط بتضامن أهدافهم
وبوحدة مثلهم ولكن أيضا يبحثون على المكشوف عن تحييتهم عند
نجاحهم ضد غزيتهم •

نواحي الضعف

عدم كفاية الاسلحة التقليدية التي تضع الغرب فى حالة ضعف
فى جميع التجارب التي يمر بها فى حرب الاعصاب بحيث انها لا تترك
له سوى أن يختار بين طريقتين وهو إما أن يستسلم وإما أن يهدد
بالالتجاء الى الأسلحة الابدائية الجماعية •

نقص الناحية التخيلية فيهم ودوران ديناميكية سياستهم دائم
حول الناحية الدفاعية فقط •

— الصورة المحزنة التي أعطتها الدول الاطلنطية عن نفسها فى

العالم أجمع : قيام نقابة الأمن التي لاتفكر الا فى حماية امتيازاتها بالرغم من دعوتها الانسانية •

- عدم المقدرة القانونية بالنسبة للديموقراطيين فى التغلب على المصاعب التى تواجهها وان يمنعوا كليا غريمهم من استغلالهم •

- استمرار بقاء المشاكل الاستعمارية التى تعوق الحلف فىمن يتصارع بجيوش متكافئة مع جيوش جمهوريات الاتحاد السوفيتى الذى تصدره الشبب القوميون •

الانعدام الدائم لاي نظرة كاملة الى المستقبل ، وكذلك انعدام وجود الوسائل العملية للخروج من الحرب الباردة التى عدلت عن السير فيها والعمل على كسبها وبعد التوقيع على الحلف بعشر سنوات توازنت هذه القوة وهذا الضعف على وجه الاجمال ، أما اذا كان هناك شئ فسيكون من السهل ادراكه ، أما اذا كانت النتيجة نتيجة ايجابية ففي هذه الحالة سيبين الحلفت قوى طبيعية تدل على نجاح مختلف الوجوه • اما اذا كانت النتيجة سلبية فانه سيتحلل فى هذه الحالة وسيجد أعضاؤه فوائد أكثر لهم فى أن يكونوا جزءا فيه وفى الحقيقة فانه من المهم جدا أن يفرق أن منظمة حلف شمال الاطلنطي قد عارضت فى مشكلة السويس ، وهذا برهان على أن كل الدول تشعر بضرورة وجوده •

ولكن الذى نريد أن نعرفه هو كم من الوقت سيستغرق ذلك

الشعور ان هذا لا يعتمد على شيء الا عليه هو نفسه • ان المرونة
الحالية في السياسة السوفيتية اذا ما استمرت على ذلك لمدة طويلة ،
فستؤدي بدون شك الى اتخاذها اكثر من أى تأثير معسكر قوى •
فأى فشل سياسى فانه يترك لنا برهاناً واضحاً جداً على أن الولايات
المتحدة لا تنظر فى أى حالة كانت أن تخاطر بأى مخاطرة لان النتيجة
ستكون واحدة فى جميع الاحوال •

ولكن ما الذى سيحدث ، لانه من المحتمل أن الضغط السوفيتى
سيستمر تحت نفس الشكل الذى يمثل : التماسك والعزم وبعض
الضوضاء المفاجيء ونعتقد أن الاحداث التى وقعت فى الاشهر الاخيرة
قد تسبب فى اضطرابات كثيرة وسيعتمد المستقبل الى حد كبير على
المقدرة التى ستظهرها منظمة حلف الاطلنطى أو عدم المقدرة على
اعادة تكوين نفسه • ومعنى ذلك أنه يجب على الحلف أن يعالج بعض
الضغط الذى أشرنا اليه آنفاً ، وعلى وجه الاخص فى مجال الاسلحة
التقليدية ولكن المشكلة فهى سيكولوجية أساساً •

وأول كل شيء يجب على حلف شمال الاطلنطى أن يكف عن
أن يعتبر نفسه كفاية ، ويعد نفسه بشيء يشبه الأبدية ، ويجب أن
يكون هدفه الأساسى هو السلام أو على الأقل عقد هدنة فى الحرب
الباردة التى لا ترى شيئاً فيها يدل على الانسانية ولكن لا يمكن أن
يتنازلوا عنها •

كما يجب عليه كذلك أن يضع مسؤولياته في اقمسه ، لأنه
لا يمكن أن يحد نفسه بيته جغرافيه محددة ، وان يعمل في جميع
الشرؤف على حنف معسكر لا يدل عرضه الوفيق بين الدول ويهوم
يعمله في مجال الامم المتحدة والمؤتمرات الدولية وان يفعل منسب
فعل المستر نيلسون حينما زار الاتحاد اسوفييتي • وعليه ان يدرر
في جميع المناسبات انه يجب على البشر اجمع ان ينفدوا جنسهم
في هذا النصف الثاني من القرن العشرين من الاف الهديدات التي
تجسم على صدرهم مثل الحرب والعبودية والجوع والمرض والفقر
وليدعو الدول الاخرى على الدوام وعلى الاخص الداخلة في المعسكر
الاشتراكي ان تتحد معه لتحقيق هذا البرنامج اندي ليس امامه اي
فرصة للنجاح الا باتحاد أهل الارض جميعا ، وليصمم على رغبته
في أن يعطى للامم المتحدة الفرصة في وضع نهاية للصراع الحالي
واظهاره للمسؤولية الأساسية التي تؤدي الى الا من الجماعي ، وعليه
كذلك أن يقترح نزع السلاح نزعاً كلياً خاضعاً للرقابة • وان يقام
مجلس للأمن يستحق هذا الاسم ، وأن يكون بوليسا دوليا ويضع
أمام هيئة الامم المتحدة كذلك خططا تحمل هذا المعنى •

ويجب بعد ذلك على الدول الاطلنطية أن تعطى مثلاً على الوحدة
بأن تعذف عن المشاجرات التي بينها وعن المشاعر الخاصة ، ومن
أجل ذلك المجتمع الذي وعدت بنياته والذي وضعت دول أوروبا
الست نواته • ولن يكون في ذلك اليوم أي وجود لمشاكل المساواة
أو مشاكل الادارة ، وليضع حداً كذلك لعمليات النقص التي كثيراً

ما نحدث بين شروطهم ومبادئهم التي ينادون بها ، فكثيرا من التردد
يحمل نتائج ابعاد مما لنا تصورها ، وان وقف حزب شيوعي
هنا او هناك انما لا يبرهن الا على شيء واحد ، هو خوفهم ، او عدم
نصهم في الشعب او عدم احترامهم للحقوق الديمقراطية

ولا يوجد أي نظام في العالم يمكنه ان يتنازل عن ابوليس ،
ولكن يمكنهم ولو مرة واحدة ان يضعوا ابطالا بشريين ويلجأون الى
الطرق التقليدية التي ورثوها عن الجستابو ، وفي الحقيقة فان هذا
المطلب بعيد جدا . حتى يتم الغاء الامتيازات المعطاة للعدد الكبير من
الاغنياء البيض على هؤلاء الفقراء الذين يعتقدون (بدون وجه حق)
بانهم مخلوقون لخدمة اجناسهم . وذلك بنشر مبادئ الحرية بينهم
وتشعرهم بان الديمقراطية تحتفظ لهم بمرکز احسن وعيشة
افضل وذلك بتقسيم اثروات بينهم تلك الثروات التي لهم فيها حق
امتلاكها .

ولكن ان ما يهمهم (الدول الغربية) على وجه الأخص هو
وحدة مصائرهم وفهمهم بأن هذا المصير مصير مشترك بينهم . ان
التفوق لا يقاس في ساحة المعركة أو في باقات الزهور . (ان تفوقنا
هو تفوق طريقتنا في الحياة وفي حريتنا الفكرية والعملية وفي قوة
كفائتنا وقدرتنا على تغيير وجه البسيطة دون أن تحوله قبل ذلك الى
معسكرات تركيز) .

وهذا الموقف ليس نتيجة لحضور بعض الجنسيات ، ولكنه هو

الحل الوحيد الذى يتصف به العقل الواعى • انه نتائج الأيام الطويلة
التي جعلها المفسرون ضرورة واجبة علينا • ان الحرية السياسية
يجب أن تتوج •

ان السبب الحقيقى لوجود منظمة حلف شمال الاطلسي هو
حفظ مستقبل الحرية ليس فقط بالنسبة لهؤلاء الذين ينعمون بها
فعلا بل كذلك للآخرين وعلى ذلك لا يجب أن يكون الحلف من
المحافظين كما كان يبدو فى كثير من الاحيان بل يجب أن يكون
من المتحررين المتقدمين • فهذه هى فرصته الوحيدة فى الرد على
التحدى الموجه ضده وامامه طريقان محدودان اما النجاح واما
الفشل •

الهيئة قناة السويس

تعلن هيئة قناة السويس « إدارة الأشغال » عن طرح أعمال الصيانة والتشغيل السنوية المبينة فيما يلي ، ويمكن الحصول على نسخة من مستندات كل عملية من مكتب المناقصات والعقود بإدارة الأشغال بالاسماعيلية نظير دفع الرسم المقرر قرين كل عملية : وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلي منهما بالشـمـع الأحمر ويذكر به اسم العملية وتاريخ فتح المظاريف ويعنون المظروف الخارجى باسم السيد / رئيس وعضو مجلس الإدارة المنتدب - هيئة قناة السويس (إدارة الأشغال) بالاسماعيلية .

* عملية أعمال الصيانة وتحسينات بسيطة بمبنى الهيئة - تاريخ فتح المظاريف - الأربعاء ٢٠/٥/٦٢ وثمان المستندات ١٠ جنيهات ومصاريف البريد ٧٥٠ م وقيمة التأمين الابتدائى ١٠٠٠ ج .

* عملية صيانة التكسيات والجسور والصفاف بمنطقة بورتوفيق - تاريخ فتح المظاريف الثلاثاء ٥/٦/٦٢ وثمان المستندات ٢ ج ومصاريف البريد ٣٠٠ م وقيمة التأمين الابتدائى ٢٠٠ ج .

* عملية استخراج وشحن رمال خشنة وناعمة من محاجر الهيئة - تاريخ فتح المظاريف الأربعاء ٦/٦/٦٢ وثمان المستندات ١ ج ومصاريف البريد ١٠٠ م وقيمة التأمين الابتدائى ١٠٠ ج .

طبع بمطابع
الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبید بروض الفرج
تليفون ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٢١٦٢٥



١٥٧ شارع عبيد — روض الفرج
تليفون : ٤٥٣٤٦ — ٤٥٤٠٥ — ٣١٦٢٥

Bibliotheca Alexandrina



0683296

العدد ٢٦٤ (ممتاز)